

سلسلة كتب من ادب المطاريد/9

ثرثرة فوق سقف العالم

من حواديت المجاهدين العرب في افغانستان

1979 ـ 2001

جرديز

تساقط المدن و سقوط النظام

مصطفي حامد

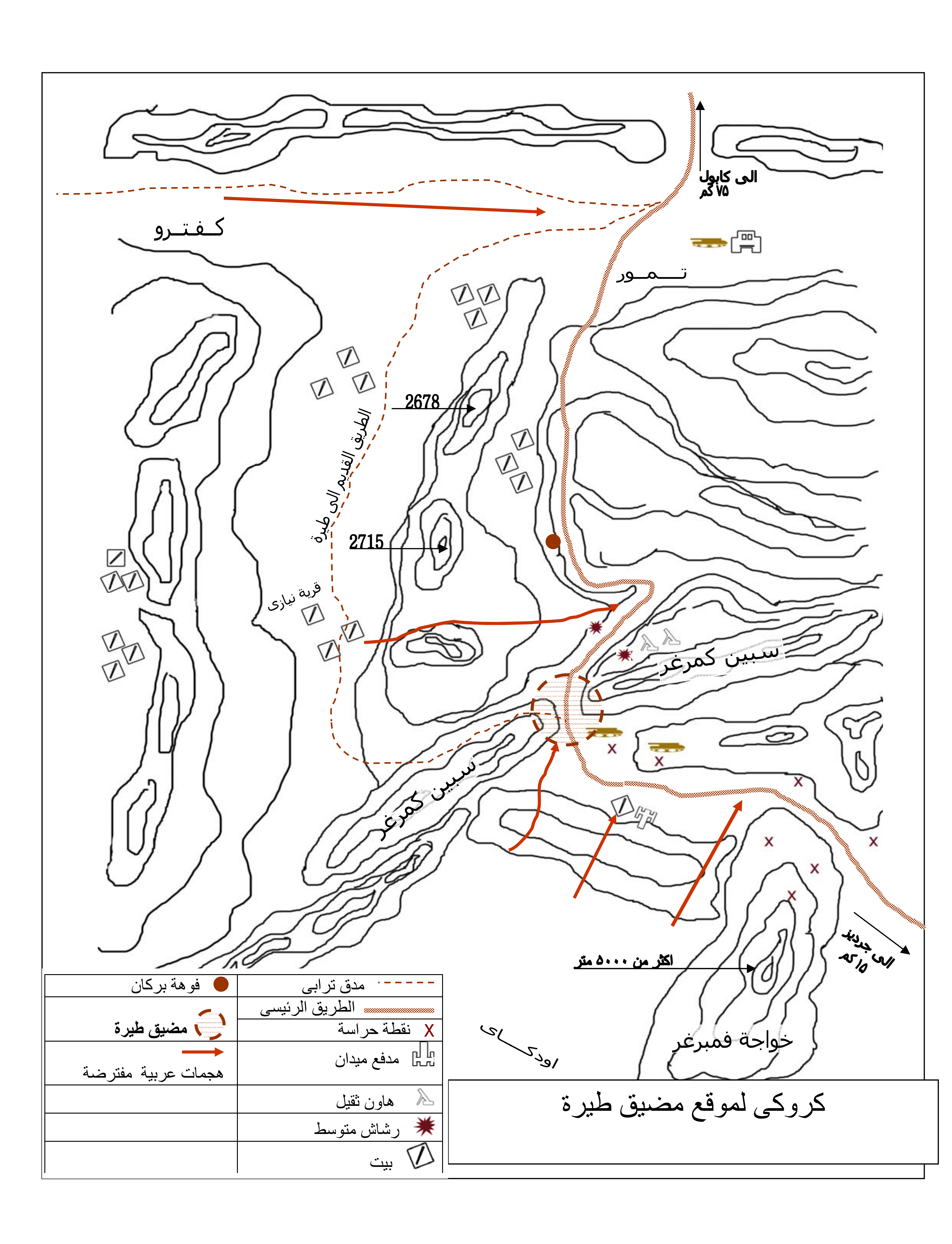
الكاتب فى سطور

- مصطفى حامد .
- من مواليد مصر **١٩٤٥** محافظة الشرقية – مدينة بلبيس .
- تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام **١٩٦٩** .
- عمل فى الصحافة خلال فترة السبعينات، فى عدد من الصحف الأهلية فى أبوظبى .
- كتب عن الجهاد الأفغانى وشارك فيه منذ عام **١٩٧٩** قبل التدخل السوفيتى .
- فى **١٩٨٥** أقام مع أسرته فى باكستان . وعمل هناك مديرا لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتى عام **١٩٨٦** .
- أقام فى أفغانستان منذ عام **١٩٩٣** وحتى الحملة الأمريكية عام **٢٠٠١** م.
- تعرف عن قرب على عدد من الشخصيات العربية الهامة التى عملت فى القضية الأفغانية مثل الدكتور عبد ا عزام وتميم العدنانى وأسامة بن لادن، الذى يعتبرة صديقا شخصياً له .
- له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعا . وتدور حول تجربة العرب فى الجهاد الأفغانى ، الذى عاصره منذ بدايته وحتى نهايته .
- تعرف عن قرب على حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
- من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلى ما قبل الحرب الأمريكية على أفغانستان .

****

سلسلة كتب من أدب المطاريد:

١ – ١٥ طلقة فى سبيل ا   ٢ – معارك البوابة الصخرية
٣ – خيانة على الطريق   ٤ – الحماقة الكبرى أو حرب المعيز
٥ – المطار ٩٠   ٦ – صليب فى سماء قندهار
٧ – **حرب المطاريد غير التقليدية**
٨ – **فتح خوست** : حفل تتويج لحرب العصابات الأفغانية
٩ – **فتح جرديز وسقوط النظام.**
١٠ – **مشروع طاجيكستان**: الجهاد يتحرك من نهر شمل إلى نهر جيحون
الضربة الأمريكية للمعسكرات العربية: أحداث الليلة الأخيرة



الى كابول
٧٥ كم
كـفـتـرو
تــمــور
2678
2715
الطريق القديم الى طيرة
قرية نيازى
سبين كمرغر
سبين كمرغر
اكثر من ٥٠٠٠ متر
الى جرديز
١٥ كم
خواجة فمبرغر
اودكـــاى
فوهة بركان
مدق ترابى
الطريق الرئيسى
مضيق طيرة
نقطة حراسة
هجمات عربية مفترضة
مدفع ميدان
هاون ثقيل
رشاش متوسط
بيت
كروكى لموقع مضيق طيرة

فهرس

*****

<u>الخرائط والصور :</u>

إسألوا جغرافيا التاريخ:
هل حورب الشيطان بشيطان مريد؟
واسألوها:أى شئ يغسل العار..
ندى الوردة أم دم الوريد؟
واسألوها مرة أخرى:
أجاءت ثورة من ثروة يوما؟
وهل جاء نصر بالبريد؟

"الشاعر أحمد مطر"

****

مقدمة: الإغلاق أولا

الغنيمة فى العرف القبلى هو ذلك الشئ الذى له سعر فى السوق . لذا كانت أطنان الوثائق الحكومية،التى غنمها المجاهدون بعد إستيلائهم على مدينة خوست، لا تجد من يرفعها من فوق الأرض سوى هؤلاء الذى إستخدموها لأغراض طهى الطعام والتدفئة

* كان حقانى الوحيد الذى أهتم بتجميع وثائق الإستخبارات وخصص مجموعة من رجاله لتصنيفها وتلخيص ما بها . وذكرنا أنه إستفاد من ذلك فى فتح الطريق أمام قواته للإنتقال من خوست لمهاجمة جرديز مباشرة فقد تصدى له بعض الصناديد ، مطالبين بنصيب مبالغ فيه من غنائم حرب لم يشاركوا فيها. ليس هذا فقط بل طالبوا "برسوم" عبور من قواته فى إنتقالهم من خوست إلى جرديز !!.

كانت محتويات وثائق الخاد ، خير وسيلة إقناع لهؤلاء حتى يفتحوا له الطريق ويغلقوا أفواههم ، وإلا طمرتهم سيول الفضائح التى تحويها الوثائق عن قضايا إخلاقية مشينة بل وقاتلة فى الأعراف القبلية .

* بعض أفراد مجموعتنا الذين ذهبوا لإستطلاع الموقف بعد فتح مدينة خوست مباشرة،عادوا بكمية كبيرة من الأوراق والوثائق الحكومية. لم تكن ذات فائدة لنا سوى خريطة عسكرية تفصيلية لجرديز والطرق الواصله إليها خاصة من طرف كابول .

جلست مع طاقم مجموعتنا الأساسى فوق الجبل نتأمل الخريطة كى نحدد دورنا فى معركة جرديز القادمة .

كان رأيى حتى قبل وصول الخرائط إلينا أننا يجب أن نشارك ، بل أن نكون القوة الأساسية فى عزل جرديز عن كابول ، بإغلاق الطريق بينهما . ثم كانت النادرة المشهورة بيننا بأن المجاهدين يتحركون لأجل "الفتح" ونحن مهمتنا "الإغلاق" .

وبدلا عن إغلاق المطارات علينا هذه المرة أن نغلق طريقا استراتيجيا .

جلسنا بحماس ندرس الخرائط . وتم بالفعل مبدئيا تحديد نقاط تركيز المدافع أو الراجمات ونوع وعدد القطع المطلوبة .

وبسرعة إعتمدنا الفكرة كخطة مبدئية إلى أن نتحرك لإستطلاع المكان ميدانيا .

كان لحاجى إبراهيم دورا مرموقا فى الخطة القادمة، فمنطقة العمليات قريبة من مسقط رأسه "شاهى كوت" ، كما أنه فى بداية الجهاد شارك فى هجوم ناجح للإستيلاء على أحد الجبال المشرفة على الطريق الذى نقصده.
هدفنا هو مضيق "طيرة" شمال جرديز وهو أكثر المناطق حيوية وصعوبة ، وهو الأنسب لتأمين الطريق أو لقطعه. لذا كانت التحصينات الحكومية قوية على ذلك المضيق وإلى الخلف منه وأمامه لعدة كيلومترات.

هجوم سريع وخيانة باكستانية

كان حماسنا للعملية كبيرا وثقتنا فى النجاح لا تتزعزع . كتبنا مبدئيا قائمة بالأسلحة والذخائر والمعدات والأفراد المطلوبين للعملية . حتى نعمل على تهيئة الممكن منها حتى قبل الإستطلاع . على إعتبار أن تلك الخطوة هى الأصعب فى كل العملية نظرا لإنعدام الإمكانات لدينا ، وإعتمادنا الكامل على "إحسانات " الآخرين .
ظهر لنا فيما بعد أن مصداقيتنا قد إرتفعت بعد عملية "المطار الجديد" التى كانت إحدى الفقرات الهامة فى فتح مدينة خوست، ولم ننتبه إلى ذلك فى وقتها.
ولكن عندما شرعنا العمل فى مشروعنا الجديد "مشروع إغلاق طريق جرديز/ كابول" كان قد تجمع تحت يدنا أفضل قوة عربية على الإطلاق ، تشكلت فى الحرب الأفغانية ـ بكل أسف كنت سببا فى ضياع فرصة لا تعوض إذ رفضت التحرك مع حملة جرديز وجلست ممتعضا فى بشاور أمارس الكتابة فى مجلة "منبع الجهاد" التى يصدرها حقانى .
وفى الحقيقة أننى لم أتصور ان يبدأ حقانى العمليات إلا فى الربيع المقبل أى شهر أبريل على أقرب تقدير ، وذلك لصعوبة إنتقال تلك القوات الكبيرة ، والأسلحة والعتاد التى كانت بكميات غيرمسبوقة . هذا إلى جانب المعضلة المالية التى يعانى منها.
وبالتالى توقعت أن يواجه مشكلة فى الطعام والمحروقات. ثم هناك مشاكله مع القبائل التى إعترضت طريقة بمطالب تعجيزية من الغنائم .
ثم مشكلة داخلية فى موضوع توزيع الغنائم وقد تحدثنا عنها سابقا . كما توقعت أن تكون الذخائر الثقيلة غير كافية لإقتحام المدينة التى هى أكبر بكثير وأقوى من خوست وأقرب إلى العاصمة كابول .
إلى كل ذلك أضيفت المشاكل السياسية والأمنية مع باكستان والولايات المتحدة التى بدأت تكشر عن أنيابها ، بل وتمارس "العض" من وراء حجاب .
ثم هناك الشتاء القارص الذى يبدأ مبكرا فى جرديز وينتهى متأخرا جدا . والمعارك كما توقعت لا يمكن أن تكون خاطفة لأن الإمكانات المتوفرة لا تسمح بذلك .
كل ذلك جعلنى على ثقة من أن حقانى لن يحاول إقتحام المدينة بل سيعمل طبقا لسياسته المفضلة "قضمة قضمة " .
كان حقانى قد أخبرنى بعد سقوط خوست مباشرة أنه سيهاجم جرديز فى أسرع وقت قبل أن تحصن الحكومة المدينة . فقد صدمهم فتح خوست فوجهوا قوتهم كلها صوب

جرديز لمنع سقوطها ، وإذا لم نهاجم سريعا سيكون الوضع فى الربيع القادم صعب جدا .
ظننته فى البداية متحمساً أكثر من اللازم . وظللت على توقعى أن جرديز موعدها الربيع القادم، وإبريل تحديدا .
ولكننى فوجئت به يشن هجوما رئيسيا فى أكتوبر ـ الفرصة الأخيرة قبل سقوط الثلوج ـ وأنه حطم إثنان من خطوط الدفاع، فى صدمة هائلة فى يوم واحد ووصل إلى حافة المدينة ، لولا، كالمعتاد، خيانة باكستانية إستخبارية منعت سقوط المدينة .
والمصيبة أن الخيانة حدثت فى نفس المنطقة التى كان من المفروض أن نعمل فيها ، وفى نفس البرنامج ـ أى إغلاق مضيق طيرة ـ ولكن بدلا من ذلك حولت المخابرات الباكستانية المشروع إلى مشروع حماية الطريق من السقوط ، وتمكين القوات الشيوعية من عبوره بحرية وفى اللحظات الحاسمة .
وإتبعوا نفس التكتيك الذى إتبعوه معنا فى "المطار الجديد"، حين تبنوا مع القائد البدوى "وزير" مشروع إغلاق المطار الجديد . ولكن لولا إصرارنا على أن ننفذ من جانبنا ذلك المشروع ، بكل مخاطره ، لما تصدى أى آحد للمطار الجديد ، فلم تكن هناك أى قطعة مدفعية متخصصة لذلك الغرض . وحتى الكومندان وزير لم يظهر له أثر لا فى العمل ضد المطار ، ولا فى العمليات الأرضية الآخرى ، وكأن الأرض إنشقت وإبتلعته . وكما ذكرنا فإن باكستان سلمته كمية كبيرة من الصواريخ على حساب عملية المطار كما قال لنا وكما شاهدنا بأنفسنا.
ولكن عمليا ظهر أنه أخذ تلك الصواريخ حتى يتخلى عن تلك العملية وقت الجد فينكشف ظهر المجاهدين ، وتستطيع كابول أن تنقل ماتشاء من قوات وذخائر إلى خوست للدفاع عنها .
وعلى نفس الشاكلة عملت المخابرات الباكستانية فى موضوع قطع طريق بين جرديز وكابول . فجمعت عددا من قيادات المنطقة من أحزاب مختلفة وأعطتهم كميات كبيرة من الذخائر والصواريخ، ولكن أحدا لم يحاول جديا بذل أى مجهود . بل أطلقوا بعض القذائف على الصخور وانصرفوا محملين بآلاف الصواريخ .
لقد أعطتهم باكستان " ثمن الخيانة ".
المهم عندما بدأ حقانى فى تحريك قواته صوب جرديز ، وصاحبته مجموعة أبوالحارث كاملة ، وفى أعلى معنويات ممكنة بعد نصر خوست الكبير ، والذين كانوا من نجومه الساطعة . لم أكن ضمن ذلك الموكب المبارك ، فى واحد من أشد المواقف حماقة فى حياتى .
السبب هو أننى كنت فى حالة من الغضب الشديد ـ والمكتوم ـ لما حدث مع أسرتى فى ميرانشاه ، أثناء إنشغالنا فى الجبهة .
وكما حدث فى عملية المطار القديم مع أسرتى منذ ستة أشهر تقريبا ، تكررت أحداث التعديات على بيتنا بشكل أكثر كثافة وعدوانية . وكان ظاهرا تواطؤ إدارة مضافة

العرب القريبة من البيت ، وكذلك لجؤ عناصر ، أوقيادات ، من المعتدين إلى مكاتب حقانى نفسها كما حدث فى المرة السابقة أيضا .
إضافة إلى وجوه تسكن فى نفس المنطقة ، ثم عناصر من الإستخبارات الباكستانية ، لا تخطئ العين تمييز هويتهم .
كل ذلك مستمر ولمدة شهر أو أكثر وحتى فتحت خوست ولكن أحدا لم يبحث فى الأمر أو يتتبع خيوط العملية . فشعرت بعملية تواطؤ كبرى ، وأن حقانى لم يبذل جهدا كافيا للدفاع عن أسرتى ، أو أن الجهات المتحركة فى الموضوع كانت أكبر من قدرته على المواجهة .
فقررت الإنزواء فى بشاور وعدم المشاركة فى أى عمليات بعد ذلك . وكان ذلك أكبر أخطائى فى أفغانستان، بل فى حياتى كلها . فعندما تحريت عن مجهود قطع طريق جرديز كابول فى وقت المعركة (اكتوبر١٩٩٠)، أيقنت مدى الجريمة التى إرتكبناها نحن بغياب مجموعتنا عن ساحة المعركة لأداء تلك المهمة تحديدا .
فشل هجوم حقانى على جرديز ـ رغم أنه تقدم على الأرض كثيرا ، وأصبح على حدود المدينة. ذهبنا لإستطلاع المنطقة المرشحة لقطع الطريق، فوجدنا أن العملية ممكنة جدا وبأكثر من صورة ، أى أن عملية قطع الطريق بالمدفعية هى أمر ممكن جدا ، وبأنواع مختلفة من المدافع . كما أن التقدم أرضا صوب الطريق وقطعه بالإحتلال المباشر فى نقاط معينة ، هو أمر ممكن أيضا وبالإمكانات المتاحة لدينا ولدى حقانى تحديدا .
بقى أن نكرر مرة آخرى أن عدم قطع الطريق كان السبب المباشر لفشل الهجوم على المدينة . وأن قوات حقانى عندما عبرت خط الدفاع الأول ثم الثانى فى قفزة واحدة مذهلة ثم وصلت إلى الطوق الخارجى للمدينة ، كانت قوات كابول قد وصلت فى نفس اللحظة إلى الطوق الخارجى ، فى قوة كثيفة من المشاه والدبابات ، فأمر حقانى قواته بالعودة سريعا إلى آخر مواضع من التلال التى أخذوها من العدو، وترك المناطق المنبسطة. وبذلك أنقذ قواته من خطر التطويق والإبادة وإحتفظ بماكسبه فى بدايته القوية للمعركة. ولكن المدينة أفلتت من بين يديه وكان عليه الإنتظار حتى الربيع كى يستأنف الهجوم مرة أخرى ،ولكن أمام جرديز جديدة أشد منعة مما سبق .
إن النظام فى كابول وضع قى جرديز قواته الإستراتيجية من المشاة والمدرعات . وعندما إستسلمت المدينة فى شهر أبريل التالى (١٩٩٢) هالنا ما شاهدناه من أسلحة وذخائر وجنود .
لكن القوات كانت قد إنهارت معنويا بالفعل ، ولم يعد هناك أحد ـ حتى فى كابول ـ يثق فى قدرة النظام على الاستمرار، فبدأ التداعى التدريجى للمدن الرئيسية كما سنذكر لاحقا .
ولا شك أن سقوط خوست كان عقد المسبحة الذى إنقطع فانفرطت الحبات تباعاً بمجرد الحصار وبلا هجمات إقتحامية .

وكان الرئيس "نجيب ا " يدرك ذلك تماما ، حتى أنه صرح بنفسه فى إذاعة كابول قبل بدء معركة فتح خوست أنه سيستقيل ويسلم البلد للمجاهدين إذا تمكنوا من فتح خوست . كان يقول ذلك متبجحاً ولكنه أصاب كبد الحقيقة .

فى٢٥ ديسمبر١٩٩١ أعلنت موسكو رسميا إنتهاء الاتحاد السوفيتى وتم طى الأعلام الشيوعية من فوق الكرملين . وإستقلت الجمهوريات السوفيتاية ,وإنتهت الشيوعية بالفشل فى عقر دارها .

ولكن أمريكا كانت مصرة على بقاء الشيوعية فى أفغانستان ، وأستمرار الحرب فيها ضد الإسلام عدوها الجديد ، فبعد أن إنتهت الحرب الباردة على الشيوعية ، أعلنت فى ذات اللحظة الحرب الساخنة على الإسلام على إتساع العالم ، وفوق الأرض الأفغانية على وجه الخصوص ، وضد المجاهدين العرب على وجه أشد خصوصية ـ لكونهم تجسيدا نادرا وغير مرغوب فيه لمفهوم "الأمة الإسلامية" التى تمارس فريضة الجهاد كأمة واحدة وليس كأوطان رسمت الصلبية حدودها وفرضت محدودياتها . هؤلاء الشباب سيكونون فى المنطقة العربية كابوسا يرهب إسرئيل ويهدد الأنظمة العربية التى تحمى وجود اليهود فى فلسطين وبالتالى سيهدد "مصالح" أمريكا فى المنطقة .. وعلى رأس هذه المصالح تفوق إسرائيل كقوة عظمى إقليمية تسيطر على العرب، ونهب النفط العربى لصالح الشركات الأمريكية، وسحق الشعوب العربية بعد مسخ هويتها الدينية والثقافية.

جولاب مرة أخرى..

سنتذكر الآن بداية الهجوم على جرديز فى (سبتمبر/ أكتوبر١٩٩١) .

كانت البداية مع جولاب ومجموعته من البدو "جماعة الشهيد منان". وقد عرفنا دورهم الأسطورى فى فتح خوست قبل ستة أشهر.

كان الجميع يعرف أن حقانى يحشد قواته للهجوم على جرديز، ولكن لاأحد يعلم بالضبط متى وكيف سيتم الهجوم، وإحتفظ الرجل لنفسه بالسر. ولكنه كاف رجلين بمهام سرية.

الأول هو شقيقه الأصغر خليل، وكا نقول عنه دوما "لايفل الحديد إلا خليل".

المهمة كانت تحديد وتجهيز مواضع للدبابات تستطيع منها أن تطال الخط الأول للعدو أسفل جبل "ستى كندو".

كان ذلك سهلا يسيرا على خليل خبير الدبابات، وقد شاهدنا إنجازاته الإعجازية هو وشقيقه إبراهيم فى عمليات فتح خوست بالدبابات.

والمهمة الثانية كلف بها جولاب، وكانت تبدو هى المستحيل بعينه. فالعدو كان قد سيطر منذ سنوات على إحدى القمم الشاهقة وإستحكم فيها. القمة واقعة فى عمق مناطق المجاهدين، وتدافع عنها قوات من الصفوة تموِنهم طائرات الهيلوكبتر.

حاول حقانى ورجاله إستعادة تلك القمة عدة مرات ولكنهم فشلوا. أقنع حقانى نفسه أن الموقع الحكومى مزعج لكنه قليل الضرر. فليس فوقه أسلحة ثقيلة، إذن هو موقع ترصد، وبما أنه فى موقع منعزل ومرتفع أكثر من اللازم فقدرته على الرؤية محدودة. ثم أنه فى هجومه القادم سيدفع قواته فجأة وبسرعة إلى مواضع القتال، فلن يستطيع العدو تدارك الأمر.

فى أحد جلساته مع قياداته الميدانية سأله جولاب إن كان سيهاجم أولا ذلك الموقع المرتفع قبل بداية العمليات.أجاب حقانى أن المهمة صعبة وقد يفهم منها العدو أن هجومنا على المدينة وشيك بينما من الأفضل تركه فى حيرة.

أجاب جولاب أنه يمكن الإستيلاء على القمة قبل وقت قصير من الهجوم فلا يستطيع العدو فعل شئ. ولم يكن جولاب يعرف موعد الهجوم.

فسأله حقانى إن كان يستطيع الإستلاء على القمة قبل غروب شمس هذا اليوم.

أجابه جولاب أنه يستطيع ذلك. ضحك حقانى، وهو يعلم صدق وشجاعة جولاب وجدارته بأن يفعل مايقول.

فوعده حقانى أن هو فعل فسوف يعطيه ورجاله مكافأة مجزية حددها لهم . تحرك جولاب على الفور ، وحقانى لايكاد يتصور إمكان نجاحه. ولكن عند غروب الشمس جاءت مكالمة لاسلكية من جولاب إلى حقانى يقول له أنه ورجاله فوق القمة وهم يسيطرون عليها تماما .

كان حقانى مندهشا ولا يكاد يصدق ، فطلب من جولاب أن يطلق من موقعة قذيفة (أر بى جى) حتى يتأكد من وجوده هناك .

وما لبث أن رأى حقانى والجميع الطلقة تلمع وتنفجر من فوق ظهر الجبل. فكبر الجميع مهللين ضاحكين ساجدين شكرا ، وهنأ بعضهم بعضا كأنهم فى عيد.

وعند الصباح بدأ الهجوم على الخط الأول للعدو، والذى بدأ الهجوم هذه المرة كان خليل فى دباباته. لقد أندفع خليل فجأة إلى موضع كان حدده سلفا وحيث لم يتوقع عدو أو صديق صعود دبابة إليه أو إستخدامه فى تمهيد مدفعى للهجوم .

وبضرباته المحكمة أصاب خليل ودمر جميع النقاط الهامة لأسلحة العدو الثقيلة ورشاشاته . فر الجنود مذعورين ، فاندفع رجال حقانى من أماكنهم التى إستحكوا فيها منذ الفجر ، وإحتلوا خط الدفاع الأول للعدو فى وقت قصير . وكان عبارة عن سلسلة من التباب القوية .

لجأ جنود العدو إلى خط الدفاع الثانى عن المدينة ، فسادت فوضى نتيجة إنضمام هؤلاء الزوار المهزومين المرعوبين .

كان رجال حقانى قد بدأوا فى إستخدام ما تركه العدو من هاونات ومدافع ، مع ماالديهم من أسلحة ثقيلة فى ضرب خط الدفاع الثانى وهو أيضا عبارة سلسلة من التباب . وما لبث ان إنهار هو أيضا ، وفر منه الجنود نحو المدينة عبر جسر يشكل حاجزا بين المدينة وما يليها من مواقع عسكرية. إستحكم رجال حقانى بشكل جيد فى خط الدفاع الأخير عن المدينة وعند العصر إنطلقوا منه صوب المدينة مقدرين أن معنويات العدو فى إنهيار وأن جنوده فى حالة ذعر وفرار يمكن الإستفادة منها ودخول المدينة عبر الجسر .

وبينما طلائع رجاله يهمون بعبور الجسر كى يصبحوا فوق أرض المدينة ، علم حقانى أن مضيق طيرة لم يغلق وأن قوات العدو عبرته بالفعل ، كما شاهد رجاله قرب الجسر أن قوات جديدة وتعزيزات بالدبابات والجنود قد وصلت المدينة

وأصبحت أمامهم . فأمر رجاله بأن يتوقفوا عن التقدم وينسحبوا فورا إلى خط الدفاع الأخير ويستحكموا هناك . وكالعادة فى أوامر الإنسحاب التى تأتى بعد نشوة أنتصار كبير غير متوقع ، تذمر البعض وفكر آخرون فى عصيان الأمر . ولكن لم يحدث شيئ من ذلك وما أن وصلوا إلى المكان المحدد لهم ، حتى رأوا طوفانا من الدبابات والمشاة يعبرون الجسر وينتشرون فى الجزء الصحراوى الفاصل بين النهر ومواقع المجاهدين. تمركز العدو هناك وأحضر مدافعه وهاوناته وأخذ لساعات يدك خطوط الدفاع التى تركها صباح هذا اليوم .

كانت خسائر المجاهدين فى هذا اليوم محدودة جدا . واستشهد عدد من العرب من جماعة أبوالحارث ممن شاركوا فى فتح خوست .

قال بعض الكومندانات القدماء ممن حضر الهجوم أنه لو تمسك المجاهدون بالأرض المنبسطة الواقعة بين النهر وخط الدفاع الأخير الذى استولوا عليه، وصمموا على إقتحام المدينة ، لإقتلعهم هذا الهجوم الرهيب ولما عاد منهم احد .

بسبب الشتاء تجمد الوضع على الأرض على هذه الصورة بدون أى تغير يذكر إلى أن إستسلمت المدينة فى إبريل من العام التالى . ولكن الإشتباكات لم تكد تنقطع بين الطرفين فى حرب إستنزاف إستمرت حوالى ستة أشهر .

تفاصيل متفرقة عن معركة جرديز:

- قرار الهجوم على جرديز إتخذه حقانى وأركان حربة فى إجتماع عقد فى مقر كتيبة العمرى فى خوست بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٩١.

قبل الهجوم بثلاث أيام قامت مدفعية المجاهدين بقصف مركز لعدد كبير من أهداف العدو الحيوية فى جرديز. وردت مدفعيات العدو برد معاكس على مواقع المجاهدين. وعندما خمد العدو وبدأ رده المدفعى يهمد ويضعف شن المجاهدون هجومهم الرئيسى، عند الفجر.

- الهجوم الرئيسى بدأته كتيبة أبو جندل (التى بدأت هجوم فتح خوست) فى الخامسة صباحا فى ٣٠ سبتمبر ١٩٩١ .
- كان الهجوم كاسحا بشكل غير عادى، وبدأ من أعتاب سلسلة جبال ستى كندو، وتوقفت أمام الحد الأول للمدينة، وكان التقدم حوالى ١٥ كيلومتر تقريبا. وكان لدبابات المجاهدين الدور الأكبرفى تدمير إستحكامات العدو . سبب توقف الهجوم عند مدخل المدينة، كان عدم إغلاق مضيق طيرة، فوصلت التعزيزات من كابول إلى الخط القتال الأول مباشرة.

* من الغرب حاول المجاهدون فى زورمت التقدم ولكن الطائرات أفشلت الهجوم.

* من الشرق، فى منطقة سيد كرم، وهى منطقة يسيطر عليها جماعة حكمت يار، قصف المجاهدون أحد المواقع بعدة آلاف من قذائف الكاتيوشا، فهرب العدو.ولكن المجاهدين لم يتقدموا للإستيلاء على الموقع. وفى آخر اليوم عاد العدو إلى مواقعه.

* تكلمنا عن المهزلة المؤامرة فى الشمال عند مضيق طيرة. وكيف رتبت المخابرات الباكستانية إفشال الهجوم على المضيق.

* من كل ما سبق يتضح أن إختراقا كبيرا حدث فى جنوب الجبهة بينما الموقف ظل على ما هو عليه فى باقى المحاور. لهذا أخبرنى حقانى أن ذاك الوضع كان من أسباب إيقافه للهجوم ، لخشيته من ضرب مجنبات قواته المتقدمة، وربما أدى الأمر إلى تطويقها، خاصة، وكما ذكرنا أن أمدادات ضخمة قد وصلت من كابول وتحشدت أمام قواته فى تلك اللحظة الحرجة.

<u>شهداء الفتح من العرب:</u>

كات جماعة أبو الحارث هى الجماعة العربية العربية الأساسية فى جرديز. ومشاركة الجماعة هناك كانت إمتدادا لمشاركتها فى معارك فتح خوست. إلتحق بالجماعة بعض أفراد من جماعات أخرى ولكن بصفة شخصية. إستشهد من جماعة أبو الحارث حوالى ١٣ مجاهدا فى تلك المعارك، أغلبهم من الشباب الجدد . وهو عدد كبير نسبيا

إذا قورن بخسائر الجماعة فى معارك أخرى. وكان ذلك سببا إضافيا لنجاح الثورة البيضاء التى أطاحت "بأبو الحارث" المؤسس التاريخى للمجموعة.

يمكن إعتبار ذلك أول نجاح لعمل ديموقراطى فى مجموعة جهادية وإن كانت غير تنظيمية، أى غير قائمة على بيعة للأمير.ولكن ذلك النجاح الديموقراطى أفقد المجموعة بوصلتها الإستراتيجية التى يمثلها شاب نصف بدوى ذو فطرة مرهفة وحساسة، شبيه بالحمام الزاجل أو الخفاش القادر على تلمس طريقه الصحيح فى الظلام الدامس.

وفى النهاية أودى ذلك النجاح الديموقراطى بالقائد العسكرى الفذ للمجموعة " أبو معاذ الخوستى" وكذلك بعدد كبير من أبطال المجموعة ثم بالمجموعة نفسها، فى الفتنة الطائفية المسلحة حول كابول(التى كانت مجرد تجربة صغيرة لما يحدث فى بغداد، فى عهدها الأمريكى، وراح فيها أعمدة المقاتلين العرب وعلى رأسهم أبو مصعب الزرقاوى، صديق العملاق "أبو معاذ الخوستى" وتلميذه)

لاننسى أن ذلك الإنقلاب الديموقراطى الأبيض فى جماعة جهادية عربية صغيرة مطمورة فى مجاهل الجبال الأفغانية، كان يربض خلفة تحفيز، أو فلنقل تحريك، من قوة إقليمية بترولية عربية، وجماعة إسلامية ضخمة حليفة لها.

وهكذا هى كل الثورات البيضاء والمخملية، يربض خلفها التحريك والتحفيز الخارجى، سواء كان ذلك فى جماعة أبو الحارس، أو حتى فى جورجيا وأوكرانيا.

- **<u>من جماعة أبو الحارث كان من الشهداء:</u>**

من الجزائريين ثلاثة هم: إبن الجراح ـ عبد القهار ـ تبع . ومجاهد جزائرى رابع من مكتب الخدمات الذى أسسه الدكتور الشهيد عبد ا عزام. وهو الشاب أبو بنان (عبد الناصر خضر ـ ٢٩ عام ـ من مدينة سطيف بالجزائر).

ومجاهد صومالى ـ ومجاهد إيرانى . ومجاهد خليجى هو سالم الراشدى.

وعدد من مجاهدى الأردن منهم الصديق "أبو أحمد" وكان معنا عضوا فاعلا فى مشروع المطار٩٠ فى مجال الإتصال اللاسلكى ، الذى كان بحق عصب العملية كلها.وقد أصيب بقذيفة هاون غرناى أثناء إقتحام الخط الأول للعدو.

- جهة أفغانية مجهولة، وفى حادث غامض أثناء المعارك، تمكنت من إغتيال ثلاثة من مجاهدى الجماعة الإسلامية المصرية فى جرديز. ولم يتكشف شيئ من أسرار العملية.

لوجر/كونر ـ ضربة مزدوجة

لا أظن أن محافظتى لوجر وكونر الأفغانيتين جمعهما حدث واحد طول التاريخ الأفغانى . ولكن نجاحات المجاهدين فى باكتيا فى عامى ٩٠ـ ١٩٩١ والتى توجها فتح مدينة خوست جمعت المحافظتين فى برنامج واحد هدفه إجهاض نجاحات باكتيا ، ومنع فتح عاصمتها جرديز .

كما نلاحظ فى الخريطة فإن لوجر تفصل ما بين باكتيا وكابول . وهى محافظة زراعية فى معظمها رغم وجود صحراء "بابوس" فى الجزء الغربى منها. فى تلك المحافظة واحد من أهم مناجم النحاس فى العالم وكان مهجورا منذ نشوب الحرب. أما محافظة كونر فهى محافظة جبلية وعرة تقع على الحافة الشمالية من الحدود بين أفغانستان وباكستان ـ وغابات كونر مكسوة بالأشجار وفى جبالها مناجم معلومة ومجهولة للأحجار الكريمة . ومع ذلك ليس للمحافظة قيمة إقتصادية تذكر فى إقتصاد البلاد . الميزة الأهم لمحافظة كونر ليس الجبال والأشجار والأحجار الكريمة ولكن كونها معقلا لأتباع المذهب السلفى فى أفغانستان وهذا ما يزيد الولاية عزلة فى الوسط الأفغانى ، إلى جانب العزلة التى تفرضها الطبيعة الجبلية وندرة الطرق ، وقسوة مناخها فى الشتاء. أشهر العلماء المجاهدين فى كونار كان مولوى جميل الرحمن. بفضل الدعم السعودى الكثيف تحول مولوى جميل الرحمن إلى واحد من أهم القادة فى أفغانستان ، كان فى بداية عمله الجهادى زميلا لمولوى يونس خالص ضمن واحدة من أوائل المجموعات البارزة فى الجهاد من العلماء الميدانيين ، ومعهم حقانى وآخرين . بحثا عن المسانده المالية إنضم جميل الرحمن "وإسمه الحقيقى محمد حسين" إنضم إلى الإتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان ، بقيادة عبد الرسول سياف ، الذى غيرت السعودية إسمه إلى "عبد رب الرسول" سياف أثناء زيارته الأولى لها فى صيف ١٩٨٠ .

****

السعودية فى كونر

ومثل جميع العلماء والضباط والقاده الميدانين الذين إلتحقوا بذلك التنظيم "الجهادى" إنفصل جميل الرحمن عن العمل القتالى الميدانى ، وتفرغ للمهرجانات الدعائية فى بشاور ، حيث تهافت عليه مئات الشباب السلفى من المملكة ، وأقاموا للرجل مملكة فى بشاور تضارع مملكة سياف ، من بيوت ضيافة للعرب والأفغان وسيارات ومجلة فاخرة من الورق المصقول الملون ، ومدارس لتعليم "العقيدة الصحيحة السمحة" على يد مدرسين مجازين سعوديا . وركب الزعيم وكبار مساعديه سيارات "الباجيرو" الفخمة المصفحة ذات الدفع الرباعى .
آثار "جميل الرحمن " حسد جميع قادة المنظمات بما فيهم سياف نفسه فآدى ذلك إلى إنفصال "جميل" عن "سياف" وعمل منفردا وقد آثار ذلك التضخم المالى لدى الرجل وجماعته إلى حنق أفغانى عام حتى على المستوى الشعبى ، وزاد شعورهم بخطورة العرب على عقائد الأفغان الأحناف المتصوفين .
يدعى الأفغان الأحناف أنهم الأغلبية فى كونر ، والسلفيون يدعون نفس الشئ . وما أن تشكلت الحكومة المؤقته "الثانية" عام١٩٨٩حتى تزاحمت الأحزاب على كونار لإنتزاعها من أيدى جميل الرحمن وجماعته السلفية ، وكانت القوات الشيوعية قد إنسحبت من كل الولاية تقريبا فيما عدا مواقع على الحدود مع محافظة جلال آباد.
بدأت إنتخابات لإختيار حكام مراكز الولاية، فتطورت كالعادة فى المجتمعات القبلية، وحتى غير القبلية،إلى معارك حرب باردة ثم ساخنة ، ثم "تصويت" بالرشاشات فالمدافع وماتيسر من دبابات. يشتد "التصويت" وينخفض، ولكن الظروف الدولية تحتم إستمراره وربطة بالمسار العام للقضية الأفغانية حيث أن الحرب الأهلية مطلوبة ، وعلى جميع المرتكزات الممكنة العرقية والمذهبية والحزبية .
كانت تلك وسائل هامة إتبعتها أمريكا ـ سيدة المسرح الدولى بلا منازع ـ كى تمنع حلا إسلاميا فى أفغانستان .
تكلمنا فى هذه السلسلة من الكتب عن أن الولايات المتحدة وضعت نصب أعينها فى أفغانستان إقصاء مفهوم "الجهاد" عن الحرب الدائرة وتحويله عمليا إلى" فوضى قبلية شاملة " تعصف بالمجتمع وتدمر الدولة .
وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير ، وإن بقت لافته الجهاد مرفوعة خفاقه لكنها شكلية فى معظم المدن ، حقيقية فى أيدى القليل من الرجال هنا وهناك ، ومع ذلك نجحوا فى تحقيق الكثير.
منذ الانسحاب السوفيتى (فبراير٨٩) تزايدت وتيرة تجهيز حرب داخلية بين العرقيات خاصة البشتون العرقية الأساسية والتى رفع راية حربها الزعيم الاصولى "جلب الدين حكمتيار" وعرقية الطاجيك "الفرسوان" ، أى الناطقين باللغة الفارسية ، ورفع رايتهم نجم الإعلام الدولى فى أفغانستان بلا منازع الزعيم الميدانى "أحمد شاه مسعود " المحسوب رسميا على حزب الجمعية الإسلامية بزعامة "برهان الدين ربانى" والمصنف أصوليا "حسب التقويم الغربى المزيف دوما" .

كانت صدامات حكمتيار/مسعود مستمرة داخل أفغانستان منذ وقت مبكر جدا ـ تارة تحت شعار قتال حزبى ، وتحت شعار عرقى (بشتون /فرسوان) تارة آخرى .

صنـاعـة الفـتنـة

تصدر "حكمتيار" مكان الصدارة فى الحرب المذهبية العقائدية فى كونر (آحناف/ سلفيون) فحمل الراية فى مقدمة الأحزاب التى شاركت عن بكرة أبيها للتصدى للخطر الوهابى فى كونر!!. فما هو السبب ؟؟. رغم أن أموال السعودية هى عنصر أساسى لهؤلاء المقاتلين وزعمائهم فى بشاور.

ليس غريبا الآن فى عصرنا الحادى والعشرين أن يفهم الناس كيف أن المال السعودى يمول الحرب كلها والمتقاتلين على الطرفين فوق الأرض الإسلامية لأجل حرق مسيرة الجهاد ولحرق الشعب الأفغانى ، بل وقضية الجهاد فى أفغانستان ـ بل ومطاردة المسلمين وفكرة الجهاد فى العالم كله ـ تحت إشراف وأوامر وتخطيط أمريكى كامل .

تصاعد القتال فى كونر بشكل كبير ومفاجئ على إثر فتح مدينة خوست.

وقتها إستنتجت أن أمريكا تطرح على المجاهدين برنامجا للإقتتال الداخلى بديلا عن برنامج الفتوحات التى يسير فيه حقانى، وحقق فيه نجاحاً لم يكن يتوقعه كثيرون ، وهو كبير لدرجة تهدد المسار الأمريكى فى أفغانستان .

سبب هذه الريبة هو أننى كنت قريبا جدا من عمليات الحشد حول خوست قبل معركة الفتح ـ وعلمت عن قرب موقف قيادات الأحزاب "الجهادية!!" فى بشاور ـ وكيف أنهم عرقلوا عملية الحشد بتهديد أتباعهم بشكل مكشوف حتى لا ينضموا إلى برنامج العمليات الجديدة. ولكن ما أن تم فتح خوست حتى تداعت أحزاب بشاور إلى القتال فى "كونر" ضد "سلفية" جميل الرحمن . وتمت عملية حشد جماعى وحماسى لأتباعهم وتحريكهم صوب "كونر" ـ على عملية لم أشاهد له مثلا سوى فى "المعركة الكارثة " فى جلال آباد عام ١٩٨٩ ـ (انظر كتاب الحماقة الكبرى) .

إذن هى حتما كارثة جديدة من نفس الطراز يجرى التحضير لها فى كونر.

ولكن العملية كانت أعقد من ذلك، فالمستهدف لم تكن كونر فقط بل الهدف الاساسى كان فى محافظة لوجر .

فبعد أسبوعين بعد فتح مدينة خوست تقدمت القوات الحكومية يوم عيد الفطر وإحتلت جميع المواقع الإستراتيجية فى لوجر ، وآمنت طريق الإمداد الواصل من كابول إلى جرديز "عاصمة باكتيا". تسبب ذلك فى صدمة للجميع فى خوست . وتصوروا أن القوات الحكومية قد تواصل تقدمها من لوجر إلى جرديز ثم خوست نفسها من أجل إستعادتها . حتى على مستوى مجموعتنا الصغيرة ومن حولها من العرب بدأنا نتحدث عن إحتمالات تقدم القوات الحكومية ، وطرق التصدى لها ، ذلك بعد أن كنا نتحدث عن برنامج عملياتنا فى جرديز.

ولكن كيف تمكنت القوات الحكومية من الإستيلاء على لوجر بهذه السهولة والسرعة؟ كالعادة هناك تواطؤ، أو خيانة، أو بيع وشراء، على إختلاف وجهات النظر ـ ولكن الأمر تم بالتراضى وبلا قتال .
لم يفاجأ أحد فى لوجر بالأمر سوى بعض المجموعات العربية قليلة العدد ، والتى إنسحبت فى اللحظات الأخيرة ، لأن أحدا لم يخبرهم بشأن الصفقة المعقودة .
أما باقى المجموعات الأفغانية فقد تم إضعافها بشدة خلال عدة أسابيع سابقة بغرض "حشدها" فى كونار لمواجهة "الخطر السلفى"!! .
أقوى المجموعات فى "لوجر" كانت كتيبة "لشكرإيسار" التابعة للحزب الإسلامى ، "جلب الدين حكتيار ". وهى كتيبة حديثة التشكيل جيدة التدريب والتسليح . والأخطر أن الذى يقودها هم مجموعة من الشباب المثقف المتحمس والجاد،وقد حققوا إنجازا جيدا فى إعداد الكتيبة وحققوا بها نجاحات عسكرية، بما آثار قلق قائد الحزب"حكتيار"، خاصة وأن هؤلاء الشباب بدأوا يتحدثون عن استراتيجيات الحزب العسكرية والسياسية والتنظيمية. وبدأت قواعد هامة من الحزب ومن خارج كتيبة "لشاكرايسار" تتأثر بهم وتلتف حولهم. حكمتيار تبنى برنامجا تدريجيا من أجل التخلص من هذا "الخطر" الذى يهدد صلاحياته المطلقة داخل الحزب . فبدأ فى إضعاف الكتيبة الجديدة بتقليص إعتماداتها المالية والتسليحية ، ثم بتشتيت قواتها فى مناطق متفرقة لا ضرورة لها . وكانت الخطوة الأهم والأخطر هى سحب تلك الكتيبة من لوجر ـ فانفتح بذلك الطريق للقوات الحكومية صوب جرديز ـ وأرسل الكتيبة لحرب السلفية فى كونار فانفتح بذلك باب جديد للفتنة والحرب الأهلية بما يفتح الباب واسعاً للحل الأمريكى الجاهز للتطبيق .
كل ذلك قام به حكمتيار ـ كما قام به آخرون بناء على الأوامر الباكستانية ، والتمويل السعودى .
وهو برنامج شاركت فيه جميع الأحزاب بلا إستثناء الأصولى منها والمعتدل، السلفى منها والحنفى. وذلك حقا مثار دهشة وتساؤل خطير !! .
بعض قيادات لوجر ـ من كتيبة " لشكر إيسار"ـ وآخرون من خارجها رفضوا أوامر حكمتيار بترك لوجار والتوجه للقتال ضد السلفية فى كونار.
هؤلاء كانت قواتهم ضعيفة لم تستطع إيقاف الإجتياح الحكومى، ولكنهم ساعدوا العرب المتواجدين فى كونر على الإنسحاب الذى تم فى ظروف صعبة لم تكن فى الحسبان وتحت ضغط الهجمات من الأرض والجو ، مع خطر التطويق والأسر .
ولكن الجميع نجحوا فى الإنسحاب بخسائر قليلة جدا ولم يؤسر آحد .
هؤلاء الذين رفضوا أوامر "الحزب" جرت معاقبتهم لاحقا وشتت " الحزب " شملهم حسب تعبير أصحاب المشكلة أنفسهم .

صـقـــر لـوجـــر

منذ فتح خوست إرتبطت مسيرة العمليات فى جرديز بشكل وثيق بمجريات الأحداث بمحافظة لوجر المجاورة والتى تفصلها عن العاصمة كابول .
وبعد أن إنتهت الحملة الأولى التى شنها حقانى على جرديز بإنتصار جزئى من جهة القطاع الجنوبى ، واستيلاء حقانى مساحات هامة لا بأس بها فى ذلك القطاع . ولكن إقتحام المدينة فشل للأسباب السابق ذكرها .
بدأنا فى التجهيز للإشتراك فى الحملة التالية على المدينة ، والتى لن تبدأ سوى فى الربيع على أقل تقدير نتيجة لظروف المناخ .
كان طبيعيا أن نتصل بالعرب العاملين ـ أو يمكن أن يعودوا للعمل فى لوجر ـ فقد كان لكل محافظة عشاقها من العرب إشتهروا بالمكان وإشتهر المكان بهم . حتى أن بعضهم إكتسب لقب المكان الذى يعشقه جهاديا ـ مثل ذلك الشاب الرائع "أبومعاذ الخوستى" ـ رحمه ا ـ وغيره كثيرون وهناك مجموعات أطلق عليهم إجمالا لقب المنطقة ـ مثل جماعة أو مجموعة خوست ـ وهو لقب أطلقوه فى بشاور على مجموعاتنا منذ عام ١٩٨٥، وسقط اللقب بعد إستشهاد صديقى عبدالرحمن المصرى عام ١٩٨٨.
ثم إرتبطت خوست بمجموعة "أبوالحارث الأردنى" . وهكذا كان الحال فى مناطق كثيرة خاصة قندهار . ومناطق فى الشمال مثل بنشير وقندوز ومزارشريف وغيرها.
فى ذلك الوقت ماكان يمكن الحديث عن كونر أو العرب فى كونر دون الحديث عن أهم الشخصيات العربية التى إرتبطت بتلك المحافظة .
أنه "أبوعبدالرحمن الكندى" ـ وهو مصرى يحمل الجنسية الكندية وحاصل عى درجة جامعية فى علوم الكومبيوتر .
هذه الشخصية تستحق كتابا منفردا ـ شأن كثيرين شهدتهم تجربة الجهاد فى أفغانستان ـ على الأقل تجربته فى لوجر خاصة كانت تستحق التسجيل . وقد حاولت ذلك فى عام ١٩٩٧عندما جمعتنا الظروف مرة آخرى فى جلال آباد بعد عودة بن لادن وجماعته وبداية الهجرة العربية الثانية ـ والأخيرة ـ إلى أفغانستان تحت وطأة المطارات الدولية لهم .
حاولت تسجيل تجربة "فتح لوجر" مع أبوعبد الرحمن ولكن ظروفنا لم تسمح سوى بجلستين أو ثلاث بعدها توقفنا وتركته يسجل تجربته منفردا على أن أحصل على الشرائط لاحقا لكن ذلك لم يحدث بكل أسف .
حصوله على الجنسية الكندية جعله فى وضع أفضل نسبيا من الناحية الأمنية ـ ولكنه كان متابع بشكل دقيق من جانب عدة أجهزة أمنية منها جهاز أمن بلده الأصلى ـ مصر ـ وجهاز أمن بلده بالتجنيس ـ كندا ـ وجهاز أمن بلده بالإقامة ـ باكستان ـ وربما كان هناك آخرون أيضا لأن الشبكة الأمنية الدولية التى لاحقت المجاهدين العرب الذين عملوا فى أفغانستان والتى أسستها الولايات المتحدة منذ عام١٩٩٣ كانت واسعة جدا ومتشعبة .

أبوعبدالرحمن الكندى أو " أحمد خضر " وهذا هو أسمه الأصلى إستشهد بعد إحتلال أمريكا لأفغانستان بعامين تقريبا ـ حين قتلته القوات الأمريكية الباكستانية فى حملة ملاحقة عسكرية ضد هؤلاء العرب والمسلمين الفارين من أفغانستان إلى مناطق القبائل الباكستانية الحدودية .
فى هذه الحرب أيضا تم أسر أحد أبنائه ويدعى عمر (١٣عاما) وشحنه إلى معتقل "جوانتانامو" وكان عمر قد قتل جنديا أمريكيا أثناء هجمة أمريكية على مكان به مجموعة من الأطفال العرب ، فاستقبلهم الطفل بقنبلة يدوية. عبد الكريم الإبن الآخر والأصغر سنا أصابه جنود الإمبراطورية الأمريكية بطلقة فى عموده الفقرى تسببت له بشلل لدائم.
ومازال عدد من الأطفال العرب معتقلون فى "جوانتانامو". وجميعهم متقاربون من فى العمر ولا يدرى أحد ماهى "التهم الإرهابية" الموجهة إليهم .
قابلت "أبوعبدالرحمن الكندى" لأول مرة فى بشاور عام١٩٨٦ وكان حديث الوصول من كندا ـ ويؤسس لمشروع إغاثى إسمه "التحدى" .
كان الإسم مناسبا لشخصيته وطموحاته . من لقائنا الأول رأيت فيه شخصا حاد الذكاء قوى الجسم والإرادة، ذو شخصية قيادية وطبيعة إجتماعية منفتحة مع رقة وتهذيب ، و لديه دوما أفكاره الخاصة التى لا يطلع عليها أحد إلا فى الوقت المناسب .
تحصيله الأكاديمى وهجرته إلى كندا إلى جانب تكوينه الجسمانى المتين أكسباه خبرة فى الحياه وثقة عالية فى النفس، وشعرت فيه بميله القتالى العالى .
كنا قريبان فى السن ، لذا فإن حرب١٩٦٧ وهزيمتها حفرت فى عقولنا ونفسياتنا نفس الأخاديد العميقة . كان هو يعيش فى القاهرة وقتها ، وتلقى بعد الهزيمة فى إنشاص تدريبا عسكريا فى مدرسة الصاعقة ليكون ضمن تجهيزات الدفاع عن القاهرة، فى حال تقدم نحوها الجيش الإسرائيلى. كنت وقتها أتلقى تدريبا فى معسكر أبوقير فى الإسكندرية لمواجهة إحتمالات مماثلة كانت شائعة وقتها. بل قيل عن تسلل وحدات كوماندوز إسرائيلة إلى المدينة قادمة من ليبيا ومن البحر .. كان مناخ الإنهيار مناسبا لإشاعات كثيرة وإحتمالات أكثر.
قابلت "أبوعبدالرحمن الكندى" فى مشروعه الذى شاركه فيه الدكتور عبدا عزام الذى كان فى ذروة تألقة كرائد إسلامى عالمى للجهاد فى أفغانستان .
غادر أبوعبدالرحمن إلى كندا لجمع التبرعات ، وعند عودته إلى بشاور وجد نفسه خارج نطاق المشروع . ونشب خلاف شديد بينه وبين الدكتور عزام إنتهى بالانفصال فأسس "الكندى" مشروعه الخاص الجديد وهى مؤسسة إغاثية تحت إسم "المؤسسة الإنسانية للإغاثة " وظلت مؤسسته نشطة فى أفغانستان حتى سقوطها تحت تحت الإحتلال الأمريكى عام٢٠٠١م .
كان" أبوعبدالرحمن الكندى" يرى فى القائد الأصولى حكمتيار أملا أفغانيا آوحدا ، وكان ذلك كافيا لأن يجعل مساراتنا فى أفغانستان مختلفة .

وعسكريا كان يرى أن محافظة "لوجر" الزراعية الأنسب لتركيز الجهود العربية عليها لكونها على حدود محافظة كابول .
كنت أخالفه فى ذلك أيضا . فالأرض الزراعية تصلح لحروب العصابات ولكن الجبال أفضل بكثير . فالجبال تقدم دعما طبيعيا للمقاتلين الأقل تجهيزا وتدريبا وأعدادا ـ والأرض الزراعية تحتاج إلى معرفة أوسع بالوسط السكانى وشبكات الرى والصرف ، وبأحوال ريفية كثيرة لا تتاح للأغراب من أمثالنا . كما أن تجهيزات العدو الحديثة خاصة طائرات الهيلوكبتر والآليات يمكنها فعل الكثير من الأعمال وإحداث الكثير من المفاجآت التى لا يمكن أن تتاح لها فى الجبال .
عمل "الكندى" بشكل مباشر فى العمل العسكرى فى لوجر، واستطاع إستقطاب عدد محدود من العرب للعمل هناك بشكل دائم ، إلى جانب العرب الجوالون الذين لايدرى أحد من أين يجيئون ولا إلى أين يذهبون. حقق الكندى ومجموعته العربية العديد من النجاحات العسكرية المحدودة ،وأمد مجموعات الأفغان هناك بإمدادات كثيرة من الطعام والملابس والأدوية حتى يغريهم بالبقاء أحيانا وبالتعاون سويا مرة آخرى .
وأيضا لم تكن النجاحات كبيرة، ولكن علاقاته الشخصية بالجميع كانت جيدة وتتيح له حرية حركة كبيرة .
واستطاع تكوين علاقة مميزة مع القيادات الشابة لكتيبة "لشكر إيسار" ولكن حكمتيار سرعان ما فتك بالكتيبة وقياداتها. والغريب أن تجربة مماثلة ظهرت لدى تنظيم سياف "الإتحاد الإسلامى" ولاقت نفس المصير . وهذه ظاهرة متخلفة منتشرة فى القيادات الفاسدة ولكن الإستبداد المتحكم داخل التنظيمات،والأوصياء الخارجيون ماكانوا يسمحون لتحرك شبابى صحيح أن يظهر أو يؤثر .
عقدت عدة إجتماعات مع "الكندى" ومساعده وذراعه الأيمن فى لوجار "أبوتراب المصرى" وهو أيضا من الروائع العربية فى أفغانستان ، ذو جدارة وجرأة نادرة وأفكار لامعه فى العمل العسكرى .
كاناعاتبين بشدة على ما حدث فى جرديز"فى حملة أكتوبر٩١" لأنه لم يتم بالتنسيق مع قيادات لوجر ومعهم . كان كلامهم صحيح جزئيا لكون أن هناك قيادات من لوجر شاركت بالفعل فى برنامج قطع الطريق بين جرديز وكابول عند مضيق طيره ، وهو مضيق تابع إداريا فى محافظة لوجر رغم قربة الشديد من جرديز . ولكن كان واضحا أن حقانى كان بعيدا عن ذلك البرنامج رغم خطورته فقط إستحوزت عليه الاستخبارات الباكستانية حتى أفشلته عمدا.(كان ذلك خطأً كبيرا من حقانى).
ويبدوا أن حقانى كان واثقا أكثر من اللازم بإمكان إقتحام سريع من جانب القطاع الجنوبى إلى مركز المدينة مباشرة فى وقت قصير قبل حتى أن تصل أى إمدادات من كابول حتى لو أن مضيق طيره كان مفتوحاً.
عملت مع "الكندى على ترتيب أوثق بين حقانى وقيادات لوجر التابعين لحكمتيار وسياف بدون المرور على قيادت بشاور .

جلست مع أكثر هؤلاء الذين رشحهم الكندى للعمل مع حقانى. كانوا بالفعل متحمسين لعمل مشترك مع حقانى ، وقالوا صراحة بأن قيادات بشاور أفرغت لوجر بخيانة الهدف منها إجهاض التقدم الكبير فى خوست، وتحولوا بلا مبرر إلى فتنة مشبوهة فى "كونر" للحرب ضد السلفية وجميل الرحمن .

فى إجتماعات متوالية مع قيادات لوجر بما فيهم ضباط "لشكرإيسار" قدم هؤلاء تصورات للعمل العسكرى المقبل وكانت تصورات معقولة وفعالة ـ لوتم تنفيذها وهو ما لا يحدث كالعادة . قال هؤلاء أن العمل فى حاجة إلى خمسمئة مجاهد مع توفير تجهيزاتهم وإمداداتهم أثناء المعركة .

وكنت أرى العدد متواضعا جدا فى وقتها وصارحت الكندى بذلك ولكنه أكد أنه رقم معقول جدا بل زائد .

وقد أثبتت الأحداث صحة نظرته لأن الذى حدث فعلا بعد ذلك هو أن "لوجر" تم فتحها بواسطة عدة عشرات فقط.

بل أن صاحب المبادرة فى ذلك الفتح وبطله الحقيقى كان "أبوعبدالرحمن الكندى" نفسه ويمكن وبلا مبالغة القول بأنه فاتح محافظة لوجر الحقيقى .

وأنى لأعجب كيف أن هذا الحدث الهام والفريد مر هكذا مرور الكرام بدون أى تعليق ولو عابر حتى من الاعلام "الإسلامى!!" سواء فى بشاور أو غيرها .

والسبب بالطبع هو الطابع الحزبى والتمويل الحكومى العربى لذلك الإعلام سواء بشكل مباشر أو غير مباشر .

و"أحمد خضر" رغم شخصيته الفريدة كان كعادة معظم عرب أفغانستان ، عزوفا عن إظهار أعماله ودورة ـ ويكره الإعلام ويتشكك فيه . كل هذا يمكن تفهمه ولكن الأسوأ هو العزوف عن الكتابة وعن تسجيل الأحداث، والغفلة عن حق المسلمين فى الحاضر وفى المستقبل فى معرفة ما حدث لكونه جزء من تجاربهم التى يجب أن يستخلصوا الدروس منها، كى تتراكم التجربة على مر الزمان والأجيال وتتعاظم ، وإلا أصبحنا أمة بلا تاريخ ولا تجارب فنفقد المستقبل أيضا .

سنتحدث فى موضع قادم عما حدث فى "لوجر" عند فتحها (فى هذا الكتاب أنظر فقرة: لوجر ـ الصقر ينقض) .

إغتيال الزعيم السلفى

ولكن نعود مرة أخرى إلى الفتنة المذهبية فى "كونر" وأظن الذين هندسوا فتنة "لوجر" كان فى ذهنهم أن تكون كمينا لعرب أفغانستان ، وأن يتورطوا فيها بشكل جماعى كما حدث لهم أن تورطوا فى كمين جلال آباد العسكرى (انظر كتاب الحماقة الكبرى).

ولكن رده فعل عرب أفغانستان كان مفاجأة لمهندسى الفتنة .

فأنهم وإن تعاطفوا مع إخوانهم سلفيو"كونر" إلا أنهم لم يحملوا السلاح إلى جانبهم. كان المطلوب أن يحدث فى كونر ما حدث فى جلال آباد وأن تحدث مذبحة جماعية للعرب هناك ولكن على يد الأفغان الأحناف هذه المرة وليس على يد الجيش الشيوعى أو أن يتحول الأفغان "المجاهدين" فى كل الجبهات إلى ذبح من عندهم من "إخوة عرب" إنتصارا لأخوانهم أحناف كونر الذين يتعرضون للعدوان " الوهابى" الكافر .
لم يحدث هذا ولا ذاك وظلت فتنة كونر أفغانية صرفة وإنكشفت عورات مشعلى النيران .وهم فى الظاهر المعلن أحزاب بشاور . وكان المطلوب أن تكون الفتنة طبقا لمعادلة (كل الأفغان ضد العرب) .
جاء الحل من طرف جماعة حكمتيار " حزب إسلامى " ، وكان يعيش ضمن دوائرهم شاب مصرى هو "عبدا الرومى" يعمل صحفيا فى مجلة الجهاد التى يصدرها مكتب الخدمات فى بشاور. كان الشاب شديد العاطفة والحماس ومستعد لفعل أى شيئ لخدمة الإسلام .
أقنعته دوائر حكمتيار أن دولة الإسلام على وشك أن تقام على أرض أفغانستان على يد حزب إسلامى لولا هذا "جميل الرحمن" الذى أشعل الفتنة فى "كونر" التى تحررت بتضحيات الحزب ثم جاء هو كى يطرده منها ، بينما ليس لجميل الرحمن أى مجاهد قرب كابول أو خارج كونر نفسها فهو لن يقيم دولة الإسلام فى أفغانستان وهو غير قادر، كأقلية، أن يقيمها حتى فى لوجر. كانت تلك الدعايات لا يكررها الحزب فقط بل تقولها الماكينات الدعائية لكل منظمات بشاور "الجهادية !!" المعتدل منها والمتطرف "بالتقيم الأمريكى طبعا " .
هذا /على الأقل/هو ما حدث . فذهب الشاب إلى كونر بصفته الصحفية لمقابلة جميل الرحمن وهناك وعند آذان الفجر والشيخ يتوضأ للصلاه قتله الرومى بمسدس كان يخبئه فى ثيابه . أنتهت بذلك مهمته ووقف ساكنا حتى جاء الحارس وبدلا من أن يلقى القبض عليه أطلق عليه النار وقتله على الفور. ولم يكن ذلك مفهوما ولا مبررا، فلم يكن الرومى مسلحا ولاكان ينوى المقاومة أو حتى الهرب كان ساكنا تماما .
كان ذلك دافعا للشك بأن الحارس نفسه كان جزءا من جريمة الإغتيال ، كونه قطع كل الخيوط التى تربط الرومى بباقى أطراف الجريمة .
فى مثل تلك الأحداث لا يظهر الجانى أبدا لأنه معروف تماما ويحظى بمباكة نافذة للغاية. هكذا كان إغتيال ضياء الحق ثم عبدا عزام ثم جميل الرحمن ثم.. إلى ما لا نهاية .
فى بشاور دعانى إلى مكتب جميل الرحمن أصدقاء من طاقم مجلة "المجاهد" التى تصدرها الجماعة وكنت قد كتبت لهم عدة مقالات عام ١٩٨٩. دعونى لحضور إجتماع موسع للإستماع إلى شهود حضروا الحادث أو كانوا قريبين منه جدا . حضرت واستمعت وكتبت معظم ما دار فى الجلسة ـ وآثار ذلك حفيظة وشكوك العديد من السعوديين الذين حضروا الجلسة . وكنت الوحيد الذى يكتب وقتها .

فى اليوم التالى دعونى أيضا لإجتماع حول مشاكل إختيار زعيم للجماعة حتى يخلف جميل الرحمن . وكان واضحاً فى الجلسة أن ذلك شأنا سعوديا حكوميا بحتا وليس شأنا سلفيا ولا أفغانيا .
إنصرفت بعد نهاية الجلسة فتعرضت لموقف حرج مع مجموعة من السعوديين العابسين الذين أدركونى فى سيارة ضخمة مليئة بالغلاظ الشداد .
السيارة المنطلقة مثل القذيفة توقفت بشدة إلى جانبى تماما ، ولفت "الإخوة " نظرى ـ بحدة ـ إلى أن ثيابى مسبلة وأن الواجب رفعها فوق الكعب ـ أدهشنى الأمر ونظرت إلى الوجوه العابسة، ومن طريقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالسيارة الرنج روفر الضخمة فأدركت أنها معركة مرتبة على وشك الشروع . ولكن بلباقتى المعهودة تملصت من معركة لا أريدها ولم أخطط لها سلفاً .
وساعدنى بالطبع أن الثياب الأفغانية التى أرتديها من السهل رفعها فوق الركبة فى ثوان ، ثم هى تتولى إسبال نفسها بعد دقائق. إقتنع الغلاظ بصعوبة وإنصرفوا عابسن بسيارتهم الصاروخية، التى يبدوا أنها مخصصة لمهام إستخبارية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.
لكن المؤسف أن الأوراق التى سجلت فيها الجلسات ، وكانت كل جلسة تستغرق عدة ساعات ، قد فقدتها جميعها بعد ذلك بأشهر، وكانت تصلح لإعداد رواية بوليسية سياسية من الطراز الأول لو أنها كانت فى يد كاتب محترف .

فلنأخذ بعض من مقتطفات أوراقى التى سجلتها حول "لوجر" فى ديسمبرعام١٩٩١:
{{ أجمع كومندانات لوجر على أن محافظاتهم قد تم تسليمها بخيانة واضحة وذلك فى أعقاب فتح خوست .
الحزب(حكمتيار) سحب معظم قواته النظامية (لشكرإيسار) حتى لا تنفرد كقوة لها قرار بعيدا عن الحزب وخفض تعداد القوة وأبعد المعارضين .
وأثناء عيد الفطر (منتصف إبريل٩١) كان معظم القادة خارج لوجر. و"لشكرايسار" إما فى كونر لقتال جميل الرحمن أو مبعد مشتت ومستنزف القوى.
هاجمت القوات الحكومية وسيطرت تماما على "ممرتنجى" والطريق الفرعى فى صحراء "بابوس" ، وأقامت طوق دفاعى لمنع تسلل المجاهدين إلى تلك المواضع بحيث صار الطريق فى مأمن }}.
(الإثنين ٢ديسمبر٩١) :
تقابلنا فى الثامنة مساء مع أبوعبدالرحمن الكندى وأبوتراب المصرى وتكلمنا طويلا عن الوضع فى لوجر. وكانوا عاتبين على عدم الإهتمام بها وتنشيطها قبل بدء عمليات جرديز . فهمنا الوضع هناك بشكل أفضل وقالا بأنه فى الغد سيجتمع قادة لوجر فى مكتب الكندى فى "هيئة الإغاثة الإنسانية " . وإتفقنا على موعد اللقاء فى

اليوم التالى ، على أن أتصل بالشيخ جلال الدين ، الذى كان فى مدينة روالبندى منذ يوم السبت الماضى .

الثلاثاء ٣ ديسمبر٩١ :

حقانى وصل إلى ميرنشاه. سألحق به لتحديد موعد للقاء قيادات لوجر وأبوعبدالرحمن ، الذين سيحضرون إليه هناك .

شرح لى أبوعبدالرحمن فكرتهم عن العمل ومتطلباته التى بدت متواضعة للغاية (٥٠٠شخص لكل برنامج لوجر) طلبوا أن يساهم الشيخ بعدد٣٠٠مجاهد بكامل تجهيزاتهم ناقشت أبوعبدالرحمن فى تواضع العدد فقال بأنه زائد .

إقترحنا أن يكون العمل كله مترابطا من جرديز إلى مضيق طيره إلى "محمد أغا" فى لوجر. مع تواجد إتصال لاسلكى مباشر بين قيادة لوجر وقيادة جرديز .

{ سنرى لاحقا كم كان هذا الإقتراح خطيرا على بساطته ، ولو أنه طبق لتغير موقف أفغانستان كلها. وهذا العمل كان فى مقدور العرب أن ينفذوه بسهولة واقترحت فى تلك الأيام على أسامة بن لادن ومساعداه أبوحفص وأبوعبيده أن يقيموا مركزا للإتصالات بين جرديز ولوجر تحت إشرافهم لتنسيق العمل وشئون الإمداد ـ ولكن ذلك لم يحدث وعملت كل جبهة منفرده وبدون أدنى تنسيق أو تبادل معلومات ، وكان الوضع العسكرى مشرف على نهايتة،بينما الوضع السياسى الجديد تشكله القوى المعادية لنا .

وكان فى مقدور الجبهتين جرديز ولوجر لو أن بينهما مجرد تبادل معلومات أن ينتهى الوضع العسكرى والسياسى لصالح المجاهدين بشكل كامل ونهائى ولكن كم كان مستوانا تافها !! }.

إقتراح آخر بحشد قوة العرب خلف المشروع . وذلك بالإتفاق مع قادة الإتجاهات العاملة (القاعدة ـ الجماعة الإسلامية المصرية ـ جماعات المغاربة) وأخذ موافقة مبدئية منهم .

لكن ظهر إقتراح أقوى وافقنا عليه بأن نحصل على موافقة نهائية على مشروع متكامل يتم وضعه بعد الإنتهاء من إستطلاع مضيق طيرة ومناطق لوجر .(كنت مكلفا بهذه الفقرة) .

وضع التبرعات أصبح بائس جدا بعد فتنة كونار ، وقنوط علماء السعودية فى الحرم على القادة الأفغان ، وإصدار الفتاوى ضدهم .

((كان ذلك من التأثرات المطلوبة من هندسة الفتنة فى لوجر . أذ أن علماء فى السعودية ـ علماء البنتاجون ـ الذى أفتوا بوجوب الجهاد فى أفغانستان بالنفس والمال ، غيروا الفتوى الآن بعد أن إنتهت الحرب الباردة بين الكتلتين ، وأصبح البنتاجون فى غنى عن خدمات "المجاهدين" الذين أصبحوا الآن "إرهابيين " فسحب علماء البنتاجون الشرعية من الجهاد فى أفغانستان منذ إنسحاب السوفييت١٨٨٩ .. فلماذا "القنوط البنتاجونى" الآن؟؟)) .

قال أبوعبدالرحمن الكندى أن أمرا رسمياً باكستانيا صدر إلى هيئات الإغاثة الدولية بعدم عبور الحدود إلى أفغانستان ـ وأن الجميع وافقوا ماعدا الفرنسيين الذين عارضوا علنا وقالوا :

سندخل إذا كانت هناك حالة إنسانية واحدة تستدعى مساعدتنا . (كان أحمد شاه مسعود هو المعنى بذلك ، فقد كان يحظى بعناية فرنسية خاصة ـ بل كان هو نصيب فرنسا من الغنيمة الأفغانية التى تنهشها ذئاب أوروبا ـ ولكن مسعود مع ذلك لم يكن قطعة لحم فرنسية خالصة ، بل كان يحظى بغطاء روسى خاص ، وعناية أقليمية من قوتين يحسب لهما ألف حساب هما الهند والجمهورية الإسلامية فى إيران .

وظل كذلك إلى أن إغتالته القاعدة فى التاسع من سبتمبر ٢٠٠١ ـ راجع كتاب صليب فى سماء قندهار ـ ولم تهتم أمريكا بهذا الإغتيال ، بما يعتبر ترحيبا ضمنيا رغم أنها إشترت خدمات جماعة مسعود (تحالف الشمال) بمبلغ خمسة ملايين دولار كى يقاتل قوات طالبان نيابة عنها !!).

قال أيضا أبوعبدالحمن أن عبور النفط عبر الحدود إلى داخل أفغانستان أصبح محظورا ـ وأنه يهرب الآن بالبرميل والبرميلين .

((يرتبط ذلك بمعركة جرديز ـ لأن للدبابات دور محورى فى عملية إقتحام دفاعات المدينة من أى اتجاه ، خاصة وأن للعدو حشود هائلة من الجنود والدبابات ، فإذا لم يتوافر الوقود لدبابات المجاهدين على قلتها ، فلن يكون الإقتحام ممكنا)) .

فى المناقشات مع أبوعبد الرحمن وجماعة لوجر ظهر تفاؤل عام بإمكان نجاح البرنامج وفتح جرديز الذى سيضع المجاهدين فى منطقة "محمد آغا " أى على أعتاب محافظة كابول، وهذا سيجعل ولاية غزنى منتهية تماما ، ويهيئ المناخ فى جلال آباد ويخلق حالة إنهيار عام تلغى كل برامج التسوية .

((حدث هذا الإنهيار العام بالفعل ، ولكن برامج التسوية الدولية نجحت رغما عن أنوفنا . بسبب تقاعس العرب وتشرزمهم وعدم أهليتهم لمجابهة تلك المواقف الجسيمة . وأيضا بسبب خيانات الأحزاب "الجهادية !!" الأفغانية والفساد الرهيب الذى إجتاح معظم كومندانات الداخل الأفغانى)) .

فى جلسات مطولة مع حقانى فى ميرانشاة يومى السبت والأحد (السابع والثامن من ديسمبر ١٩٩١) . تناول حقانى العديد من النقاط الهامة التى شكلت مسار الأحداث الهامة فيما بعد .

سأورد نص ماكتبته فى مفكرتى وقتها ثم أعلق عليه بعد ذلك .

خلال مقابلتى مع الشيخ حقانى يومى السبت والأحد ، تكلم عن الضغوط الشديدة عليه حتى يوافق على زيارة برهان الدين ربانى إلى موسكو ، وبرنامج التسوية إجمالا .

ولكنه أعرب عن رفضه القاطع لكل ذلك وقال لمن يضغطون عليه سنقاتل ونشكل مجالس الشورى وحكومتنا فى داخل أفغانستان.

وكل ما يتقرر خارج أفغانستان لن ينفذ على أرضها. وأن قادة الخارج (من المنظمات) لن يفيدكم الإتفاق معهم ، وأن الأفغان لا يفرض عليهم شيئ من الخارج .

قال حقانى أنه فى زيارته الأخيرة إلى روالبندى إلتقى مع الجنرال " أسد دورانى" مدير المخابرات الباكستانية (ISI) وواجهه بهذا الكلام ، ولم يرد عليه الجنرال بشئ . الجنرال فى لقائه مع الزعماء "الأصوليين " فى بشاور عرض عليهم بنود التسوية الأمريكية فامتعضوا منها ، ولكنه غضب وثار فى وجوههم قائلا : " أنتم ترفضون كل شيئ !! فما هو البديل لديكم ؟؟" . ولم يكن عندهم أى إجابة .

وأنا " أى حقانى" أقول أن الإجابة لدينا وهى :

- إجتماع مجلس شورى القادة الميدانيين خلال شهر .
- تكوين مجلس شورى موسع يمثل كل أفغانستان يضم إلى جانب القادة العسكريين العلماء والمتعاطفين مع الجهاد من المهاجرين فى باكستان وغيرها .
- مجلس الشورى الموسع هو الذى ينتخب حكومة البلاد .
- نحن قررنا عدم قبول الأمم المتحدة ، وسنرفض دخولها بلادنا بأى شكل سواء للإشراف على الإنتخابات أو غيرها كذلك لن نقبل منظمة المؤتمر الإسلامى ،لأنها "تجمعا للعملاء" .

ثم تناول حقانى فى حديثه معى الوضع الحالى فى مدينة جرديز فقال :

- فى الشتاء سنحافظ على ماكسبناه فى الصيف ، ونحن نتوسع قليلا قليلا .
- معنويات الحكومة ضعيفة جدا ـ ولكن أسلحتها كثيرة جدا. والطعام قليل نسبيا. ويشتكى كثير من الجنود من عدم وصول الطعام الذى يصل بالهيلوكبتر ويوزع بالواسطة على المحاسيب وأعضاء الحزب .
- لم تنجح القوات الحكومية فى إنتزاع أى نقطة من أيدينا رغم أن طريق الإمدادات من كابول مفتوح .

ثم قال حقانى: أنه يعتقد أن جرديز لن تصمد إلى الصيف القادم ورحب بمشاركة العرب فى برنامج الطريق (قطع الإتصال الارضى بين جرديز وكابول) .

ثم قال حقانى : أن هناك معلومات وصلته (لم يكشف عن مصدرها) تفيد بتواجد مجموعات إرهابية عربية أرسلتها دول عربية منها ليبيا والعراق ، مهمتها إغتيال الزعماء الأفغان (!!!) .

وفى الأخير قال : أنه ينوى إرسال وفد إلى لوجر للتفاوض مع الكومندانات هناك بشأن عمليات عسكرية مشتركة .

<u>ما جاء فى أحاديث حقانى المطولة يحتاج إلى تعليقات مطولة لخطورة تأثيرها على ما تتابع من أحداث فى أفغانستان:</u>

معارضة القادة الأصوليين لما عرض عليهم من أفكار التسوية كان مرجعه إلى تكتيكات تساومية لرفع نصيبهم المالى أولا ثم السياسى ثانيا ـ وقد أسفرت تكتيكاتهم

تلك إلى فوز سياف ومجددى بمبلغ مئة وخمسين مليون دولار دفعه لهما مدير الإستخبارات السعودى تركى الفيصل، كأتعاب لقاء جهودهما(الإسلامية المباركة) فى تشكيل حكومة وفقا للشرائط الأمريكية !! .

وتلك كانت صفقة واحدة من صفقات خاض غمارها المتطرفون والمعتدلون ، وخسرت قضية الإسلام فى تلك البلاد ، حتى ظهرت حركة طالبان .(**راجع القصة فى كتاب صليب فى سماء قندهار).**

مجلس شورى القادة الميدانيين . مبادرة طرحها ونفذها حقانى بمعاونة عدد من العلماء المجاهدين ، والقادة الميدانيين المخلصين. وكانت مشروعا لحل إسلامى حقيقى فى أفغانستان ولكن المشروع فشل فى تحقيق أهدافه ، وإن كان حقق بعض الإنجازات التى لم تكن جوهرية.السبب فى الفشل هو أن التنفيذ جاء متأخرا، وأن القادة الميدانين فى أغلبهم كان قد ضربتهم موجة الفساد والقدرة على المتاجرة بكل شيئ والفوز من أى فكرة جديدة تطرح، بغنائم يستخلصوها بمهارة فائقة إكتسبوها خلال سنوات من "التجارة الجهادية".

(من أجل ذلك كانت معاملة حركة طالبان "٩٤ـ ٢٠٠١م " معاملة خشنة جدا مع الكومندنات ، وسحبوا الأسلحة والسيارات من أيديهم ، إضافة إلى أى مقتنيات مشكوك فى كونها من أموال الجهاد . فهرب كثير منهم إلى باكستان وعاد الكثيرين مجندين مجندين للقتال تحت الراية الأمريكية) .

(**مجلس شورى موسع يمثل البلد كلها هو الذى يختار الحكومة**) . مازال ذلك أملا بعيد المنال لم يستطع المسلمون تحقيقه ، لا فى أفغانستان ولا فى غيرها.

والديمقرطية التى فرضتها أمريكا على أفغانستان أحضرت الرئيس كرازى وأدخلته أفغانستان على ظهر طائرات القوات الخاصة . ثم حصلت له على شرعية دولية فى مؤتمر بون وتوالت التركيبة الديموقراطية على هذا المنوال ـ وفى العراق ما حدث كان أدهى وأمر ، والقتل اليومى مازال متصلا منذ سنوات .

قال حقانى أنهم قرروا عدم إدخال الأمم المتحدة إلى أفغانستان لا فى إنتخابات ولا غيرها ـ وعدم قبول منظمة المؤتمر الإسلامى لأنها "تجمعاً للعملاء" .

ومازال الوضع على نفس الحال وأسوأ ـ والأمم المتحدة إنحدر دورها وأصبحت أداة أمريكية لقمع الشعوب والتدخل فى شئونها وعقابها وشن الحروب عليها وحصارها .

ولكن للأسف حركة طالبان لم يكن لها نفس الرأى ، فإلى جانب قضية بن لادن، كان همها الأكبر هو الإنضمام للأمم المتحدة . وسمحت للمنظمة بتدخلات ضارة جدا لم تكن ضرورية للبلاد. بل أن المنظمة الدولية قدمت دعما لوجستيا وسياسيا للمعارضة المسلحة،وعملت فى تهريب الأسلحة إليها وإخفاء المطلوبين والمطاردين أمنيا من جماعة الشمال داخل كابول .

وتغاضت المنظمة عن تدخل دولى وإقليمى مكثف فى القتال الداخلى ضد طالبان ولصالح الشماليين ، كما تغاضت عن مجازر جماعية بشعة تعرض لها طالبان والبشتون فى مزار شريف عام١٩٩٧، وفى فترة الحرب الأمريكية وما تلاها.

وحتى عندما شكلت أمريكا حكومة المجاهدين بعد إنهيار النظام عام١٩٩٢ كان أول ما فعلته الأمم المتحدة هو التخلى عن برامج إعادة إعمار أفغانستان وتركها لمصيرها تحت وطأة الفوضى الضاربة والتدخلات الإقليمية من كل صنف .

ولم تحصل أفغانستان على تعويضات حرب من الروس ، بل أرغم القادة الأفغان على تبرئة الروس من كل التبعات والتعويضات تحت دعوى (أن الشهامة الأفغانية تأبى ذلك) على حد قول برهان الدين ربانى أثناء زيارته "**التاريخية**" لموسكو والذى كان حقانى معارضا لها كما جاء فى مقدمة حديثه . وقد لاقى وفد ربانى إلى موسكو معاملة مهينة للغاية . ولكنه عاد ليقول أنها كانت إنتصارا ـ متشبها فى ذلك بالزعماء العرب وإنتصاراتهم فى خيارهم الإستراتيجى للسلام مع إسرائيل .

تقييم حقانى للوضع العسكرى فى جرديز يستحق الإلتفات وقد أكدت صحته الأحداث التالية ـ سواء من ناحية المعنويات المنهارة للجيش أو ضعف إمدادات الطعام أو كثرة الأسلحة ، بل تكدسها الرهيب ـ فى يد القوات الحكومية .

أثبتت الأحداث أن نظام كابول دفع بكل إحتياطية الإستراتيجى من القوات والمعدات إلى جرديز لمواجهة الخطر الداهم القادم فى خوست بكل العنفوان والثقة بالنفس.

فكانت الغنائم من المعدات والذخائر التى حازها المجاهدون بعد إستسلام جرديز فوق تخيلهم بمراحل . وسوف نرى الطريقة التى سقطت بها محافظة "لوجر" فى يد أحمد خضر "أبوعبدالرحمن الكندى" وعدة عشرات من المجاهدين ، وبدون قتال تقريبا. فوراء جرديز لم تكن هناك أى قوات سوى تلك التى تحفظ أمنيات العاصمة كابول . كان النظام ساقطا فعليا ولديه نقطة واحدة فقط فى كل البلاد يدافع عنها هى جرديز ، والباقى مهيأ لصفقة دولية. لو أن هناك قيادة جهادية لا نقول تشمل أفغانستان كلها بل تشمل ولو محافظتين منها فقط هما باكتيا ولوجر لكان تاريخ أفغانستان والعالم قد تغير لكن الذى تنبه إلى حقيقة السقوط الفعلى للنظام وأنه أصبح كيانا أجوف تماما ، كانت أسوأ عناصر أفغانستان. أحدهما يقود أسوأ ميليشيا شيوعية فى تاريخها وهو عبد الرشيد دوستم (هو الآن رئيسا لهـيئة أركان الجيش الأفغانى تحت الإحتلال الأمريكى !!) والآخر كان أكثر القيادات الميدانية شهرة وإنتهازية وهو أحمد شاه مسعود .

تحالف الإثنان وإستوليا على مزار شريف ومنها بالطائرات إلى كابول كى تبدأ أفغانستان أسوأ مرحلة إنحدار فى تاريخها الحديث فترة لم تنته إلى الآن .

وينبغى هنا ملاحظة أن الإتحاد السوفيتى قد إنتهى رسميا فى **٢٥** ديسمبر من ذلك العام ١٩٩١. وأن دول الإتحاد بدأت تستقل عنه منذ الإنسحاب السوفيتى من أفغانستان عام ١٩٨٩. وحصل الجميع على حريتهم بمساندة أمريكية أوروبية ، ولكن الجميع تكاتفوا على حرمان الشعب الأفغانى الذى حرر العالم من الشيوعية، وحرمانه من حريته ، بل وتدميره بالمعنى المادى والحرفى للكلمة.

ولم يفز أى شعب إسلامى كان تحت الإحتلال السوفيتى أو نظام شيوعى بحريته سواء فى أفغانستان أوالشيشان والبوسنة ودول آسيا الوسطى الإسلامية وحتى اليمن الجنوبى كان ذلك تطبيقا لسياسة محاربة الإسلام التى تبنتها أمريكا وحلف شمال الأطلنطى مباشرة بعد إتمام الإنسحاب السوفيتى من أفغانستان .

الأزمة الغذائية التى تعانى منها قوات جرديز فى الشتاء كان يعانى منها الشعب فى روسيا نفسها . وأجواء الإنهيارفى كابل، كانت موسكو تعانى ما هو أكبر منها. ولكن هناك مجهود دولى مكثف لإنقاذ موسكو من الإنهيار الشامل، إذ يكفى وقتها إنهيارا كبيرا واحدا. وقد تم الإعلان عن تدفق مليارات خليجية من أموال البترودولار لإنقاذ موسكو وتشجيعها على المضى قدما فى تفكيك إمبراطوريتها ونظامها المنافس، بل وجميع طموحاتها الإستراتيجية ، لصالح القطب الأوحد الأمريكى ونظامه الدولى الجديد .

أما المعلومات عن إرسال مجموعات إرهابية عربية لإغتيال الزعماء الأفغان . فمصدر الإشاعة معروف ، فهم إما الباكستانين أو السعوديين .

والأرجح هو الإحتمال الأول حيث أن حقانى قد عاد للتو من لقاء مع الجنرال "درانى" مدير الإستخبارات.

والهدف من الإشاعة معروف ، وهو ضرب إسفين فى العلاقة بين المجاهدين العرب والمجاهدين الأفغان ـ خاصة بعد حادث إغتيال جميل الرحمن .

وحيث أن العرب لم تجتذبهم فتنة كونر بل تجنبوها ـ شأن أكثر المجاهدين الأفغان البعيدين نسبيا عن تأثير أحزاب بشاور "الجهادية !!". وحيث أن الفتنة لم تنتقل إلى جبهات آخرى فى أفغانستان بين كل من هو "حنفى أفغانى" ضد كل من هو "وهابى عربى". فإن أضعف الإيمان هو بذر الشكوك فى الصفوف ، فيصبح كل مجاهد عربى هو إرهابى محتمل ، وكل قائد فى الداخل يستبعد من عنده من عرب خشية الإغتيال

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . فتحول العمل ضد العرب المجاهدين فى أفغانستان إلى وسائل جديدة، إلى أن بدأت حملة المطاردات والإعتقالات ضدهم فى باكستان عام ١٩٩٣، حتى تم إقتلاعهم من أفغانستان وقتلهم وسجنهم ومطاردتهم فى صحارى العالم وذلك فى حرب عام ٢٠٠١م (حسب نبؤة بوش الاب).

****

الجمعة ٦ ديسمبر ١٩٩١:

لأول وآخر مرة يتقابل حقانى مباشرة مع وفد محافظة " لوجر" .

حضر من بشاور أبوعبدالرحمن الكندى ومعه عزت ا – أحد ضباط كتيبة لشكر إيسار – المغضوب عليهم حزبيا – وجاء يتكلم بإسم قيادات ميدانية من الحزب الإسلامى "حكمتيار" والإتحاد الإسلامى "سياف" ، فلم يسبق لحقانى أن تعرف على "عزت ا " ، كما أن تاريخ تعاملاته مع سياف وحكتيار غير مشجعه .

لذا كان حذرا ومتحفظا فى كلامه. ولا شك أن إنفصال كتلة قتالية هامة ومشهورة عن حكمتيار وإنضمامها إلى حقانى – ولو بشكل مؤقت فى برنامج محدد – كان سينتج عنه أزمة وربما حربا لا شك فيها، وبالمثل مع سياف .

وهذا ماكتبته فى أوراقى عن هذا الاجتماع:

(بعد صلاة الجمعة بدأ الإجتماع مع الشيخ حقانى واستمر إلى قرب صلاة المغرب النتائج ليست باهرة لكنها لا تدعو إلى اليأس .

إنتهوا إلى أن الشيخ سيجس نبض مجاهديه – خاصة جماعة منطقة جاجى ليرى إستعدادهم للعمل شتاء فى مكان بعيد مثل لوجر. على إعتبار أن أهل جاجى أقرب جغرافيا إلى لوجر، فإذا وافقوا سيرسلهم مع عتادهم. بهذا الكلام أعطى الشيخ نفسه هامشا مريحا للرفض بأن علق الأمر على موافقة آخرين .

ومع ذلك لم يغلق الباب نهائيا . رأيت الكثير من تلك المواقف ولم يسفر عنها أى نتيجة عملية .

بعد صلاة العشاء جلست مع أبوعبدالرحمن نتحدث عن "البرنامج". رأينا أن نرفع عدد العرب المشاركين إلى مئتين تحسباً لعدم تعطيل البرنامج (فى حالة عدم توافر العدد الكافى من المجاهدين) وبحيث يبدأ فى أقرب وقت نظرا للوضع السياسى .
وإتفقنا على أن نزور لوجر سويا بعد عودتى من جولة إستطلاع ستبدأ قريبا فى مضيق طيرة وجزء من الجانب الغربى من لوجر المتصل بالمضيق .
****

أفراح فى جـ ـ ـ ـاور

قاعدة جاور من الأسماء الهامة التى إرتبطت بمسيرة الجهاد فى أفغانستان . وهى مصدر إعتزاز لمجاهدى باكتيا بشكل خاص .
وكان إنشائها إعلانا عن تطور طبيعى للعمل العسكرى فى باكتيا وإنتقاله من المرحلة الأولى، إلى مرحلة (التوازن الإستراتيجى) وذلك حسب التصنيف الذى أوردناه سابقا .
فى كتاب معارك البوابة الصخرية رأينا حملات السوفييت على جاور فى عامى٨٦و٨٥ لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، وكيف أنهم فشلوا تماما .
ولكن المجاهدين تكبدوا خسائر عالية جدا فى معركة ١٩٨٦ لإعتمادهم على أسلوب الدفاع الثابت عن قاعدتهم .
وفى عام ١٩٨٨عادت جاور للظهورالمأساوى هذه المرة بإستشهاد أثنى عشر مجاهدا عربيا وأفغانيا فى حادث إنفجار قنبلة من مخلفات معركة جاور ١٩٨٦ـ وكان من هؤلاء ثمانية من الشباب العرب من بينهم إبنى خالد "١٤عاما"، وكان فى أول دورة تدريبية له مع الشباب العرب .
كان حقانى قد فقد فى معارك جاور مجموعة من أفضل وأقرب مجاهديه وأبناء عمومته، ضمن عشرات الشهداء الآخرين ومئات الجرحى والمعاقين. لذا إرتبطت جاور بالأحزان بالنسبة للكثيرين ، إلى جانب الفخر والإعتزاز بالإنتصارات التى تحققت مباشرة فى جاور ، أو إرتكزت على جاور كقاعدة غاية الفعالية فى حروب

المنطقة. لذا عندما حان وقت عقد قران إبنتى الكبرى (أسماء) قررت أن يكون فى جاور وليس أى مكان آخر.

كان القرار غريبا جدا بالنسبة للعرب من إخواننا فى بشاور ، لكنهم تفهموه ورحبوا به. أما حقانى فقد تأثر بحزن عميق ورحب بالفكرة فهو بالطبع سيكون عميد الحفل وراعيه فى جاور .

أما مولوى "بخترجان" وهو واحد من أفضل علماء باكتيا الشباب المجاهدين ، فقد دمعت عيناه عندما سمع بالأمر وأمسك نفسه بإرادة قوية عن الإسترسال فى البكاء .

فأحداث جاور كلها تستدعى البكاء ، سواء السعيد منها أو الحزين .

إما إعترافاً بفضل الله فى الإنتصار أو تسليما بقضاء الله فى فراق عزيز .

تعرفت على العريس "سيف العدل" أثناء عمليتنا فى (مشروع المطار٩٠) وكان قد إنضم حديثا إلى تنظيم القاعدة . كان يتمتع بالذكاء ((ولكن ليس إلى الدرجة التى تمنعه من الإنضمام إلى تنظيم القاعدة)) ـ وكان أيضا يتمتع بالحيوية (التى أهلته لاحقا ليكون على رأس قائمة المطلوبين أمريكيا ومن أغلاهم ثمنا) .

ربطتنا صادقة قوية ، ولكن الصداقة شيئ والعمل شيئ آخر . فقد كان "سيف" من أنصار إستقلال القاعدة فى كل مشاريعهم عن الآخرين ـ وبالتالى عدم تقديم الدعم لأى مشروع خارج عن نطاق مشاريع القاعدة ـ وقد كان فى ذلك قريبا جدا من موقف أسامة بن لادن نفسه .

وبالتالى كان سيف معارضا فى داخليا ضد مساندات القاعدة للمشاريع التى طلبت عونهم فيها مثل مشروع (المطار٩٠) ثم (المطار٩١) ـ ثم مشروع مضيق طيره فى جرديز، ثم بعد فتح أفغانستان جاء مشروع طاجيكستان.

كان معارضا لمشاريعى كلها داخل القاعدة ، وضد تعاونهم معى فيها، وليس معارضا للمشاريع نفسها من حيث المبدأ .

ولكن لكونى أتمتع بمساندة أدبية قوة داخل القاعدة متمثلة فى صداقاتى التاريخية مع أبوحفص وأبوعبيدة الشخصيتان الأهم فى القاعدة ومؤسساها الحقيقيان، لذا لم يستطيع "سيف" منع كل شيئ ، ولكنه أبقاه فى الحد الأدنى .

فى الثالثة عصرا من يوم الجمعة (٦ديسمبر ٩١) تحرك موكب مهيب من أمام منزل حقانى صوب جاور من أجل عقد القران ، أربعة سيارات لحقانى وخمسة للعرب .

فى وسط الموكب سيارة تحمل النساء يقودها السائق مجيد صديقنا التاريخى منذ عملياتنا فى بارى عام ١٩٨٥ ، وبجانبه نصير الدين ، الإبن الأكبر لحقانى، وباقى السيارات مليئة بالمسلحين .

كانت المشاعر مرهفة للغاية لأن الموقف كله عاطفى . فهذا أول عقد قران فوق ساحة معارك غمرتها الدماء بالمعنى الحرفى للكلمة .

حراس البوابة على مدخل جاور كان يغمرهم الفخر والمرح فهم يعلمون بالحدث التاريخى الذى سيضاف اليوم إلى سجل قاعدتهم .

البوابة عبارة عن حبل مشدود بين زعنفتين ضخمين من بقايا قنابل الطائرات ـ وقد تحولت كل منها إلى مزهرية للورود الملونة الجميلة .

تعمد الحراس الإبطاء فى فتح البوابة على سبيل المزاح ، ثم أقدموا على سيارة حقانى يشترطون عليه جائزة خاصة لهم .

أما عند الخروج فقد إمتنعوا عن فتح البوابة حتى قدم العريس لهم وكذلك حقانى كل الترضيات اللازمة. وصلنا إلى الجزء الأخير من القاعدة وهو مجموعة المغارات الرئيسية. توقف الموكب أمام المغارة التى إستشهد إبنى وإخوانه قريبا منها،ثم نزلنا من السيارات كى نتحدث فى نفس مكان الإنفجار، وحقانى يشير لنا إلى مواضع الأحداث الماضية.

دخلنا جميعا فى مسجد صغير جديد أقيم حديثا أمام المغارة وبدأت مراسم عقد القران مولوى بختر جان بدأ بتلاوة شيئ من القرآن الكريم . فى صدر المجلس كان حقانى، وجلست مع سيف العدل إلى يمينه، ومولوى بختر جان إلى يساره .

شاهدا العقد كان مولوى حقانى وأبوزيد التونسى(أبو العطاء رحمه ا) وكان "المأذون " هو الشيخ بخترجان ، الذى تولى أحد الشباب العرب تلقينه صيغة العقد، ليس لأن الرجل لا يعرفها ولكن لان سلفيو العرب لا يثقون فيما يعرفه العلماء الأفغان (!!).

بعد العقد ألقى حقانى كلمة قصيرة حول الجهاد ودوره فى حياة المسلم وكونه محور حياته كلها فى راحته وعمله وزواجه وقتاله .

ثم شرع الشباب خارج المسجد فى إطلاق النار فى الهواء ، فصاح حقانى ضاحكا : "وفروا هذا لمعركة جرديز" .

صلينا المغرب فى المسجد الرئيسى قرب بوابة جاور وكان الإمام هو مولوى بخترجان. فى طريق العودة جلست إلى جانب حقانى نتحدث فى أوضاع الساعة. كلمته عن ضرورة تشكيل حكومة مجاهدين داخل أفغانستان تتولى تقرير الأمور قبل أن تتولاها أمريكا وعصابتها وأممها المتحدة . ثم مشكلة التمويل التى أخذت تتفاقم وإقتراحات الخروج منها . فقال أنه سيفكر فى تلك المقترحات .

فى يوم السبت غادر الجميع ميرانشاه متجهين إلى بشاور، سيف وجماعته،وأبوعبد الرحمن الكندى وجماعة لوجر، بعد أن إتفقت معه على أن نلتقى فى بشاور مع أبوعبيدة وأبوحفص من جماعة القاعدة .

معجزة النصف وردة

قابلت اليوم مجاهد شاب له إسم عجيب وحظ أعجب . إسمه "نيم جول" أى نصف وردة "!!" أما الحادث فهو بقاؤه تحت ردم مغارة قصفتها الطائرات فى الخط الأول فى جرديز ، مدة ثلاث وثلاثون ساعة قبل أن يستخرجوه حيا من تحت أسنان

التراكتور الذى كان يحفر الأتربة والصخور بحثا عن الجثث ، حيث لم يتوقع أحد العثور على أحياء بعد هذه الساعات الطويلة .

جلس "نيم جول" يحكى قصته العجيبة ومشاعرة فى تلك الساعات.

كانت المغارة وقتها مقرا لإجتماع شمل قيادات ميدانية فى المنطقة ، والمغارة إحدى مرافق مركز أبوالحارث فى الخط الأول. لقد تكررت فيها مرة أخرى مأساة مغارة جاور فى معارك ١٩٨٦ .

كان الشاب وقصته يصلحان موضوعاً لمجلتنا . وشعرت بالأسف لأننى لم أكن أحمل الكاميرا وقتها ـ وأن يلتقى شخصان مرتان مسألة مشكوك فيها خاصة فى تلك الأيام.

غادرت مع الأسرة ميرانشاة ذاهبين إلى بشاور حيث كنا نسكن آنذاك ركبنا سيارة إسعاف يقودها شاب من مدينة خوست له بيت فى سوق المدينة .

وكانت تلك تجربته الأولى على طريق ميرانشاه /بشاور ، لذا كانت مآزقنا كثيرة ـ ولأنه عمل لمدة أربعة سنوات فى أبوظبى لذا جلسنا نتبادل الذكريات سويا .

لماذا عاد من هناك ؟.. هذا سهل جدا .. لقد فقد أخوته الثلاثة فى القتال لذا عاد الآن ليرعى أسرته وثلاث أسر إضافية بصفته الرجل الوحيد فى العائلات الأربع .

كانت تلك قصة عادية جدا ومكررة فى ذلك الوقت من التاريخ .

<u>الأثنين ٩ ديسمبر ٩١</u>

ركبت أحد الباصات متوجها إلى ميرانشاه . إلى جوارى كان شاب من جماعة مولوى حنيف شاه ، فى قتال جرديز الآخير فقد الشاب إحدى عينيه . كان يتكلم العربية قليلا فتبادلنا بعض الأحاديث .

توجهت إلى بيت العرب فى ميرانشاه حيث كان الأصدقاء أبوعبيده البنشيرى وعثمان الصعيدى. كان علينا التوجه إلى معسكر "جهادوال " لمقابلة أبوإسلام (من أفضل الكوادر العسكرية / الإدارية لدى القاعدة ، وقد أنقذ مشروعنا فى المطار القديم حين أمدنا بالذخائر فى الوقت الحرج عندما فشلت إدارة القاعدة فى ذلك وكدنا نتوقف ويفشل المشروع).

كان أبواسلام يشرف على دورة متقدمة من المفروض أن يشارك أفرادها فى عملياتنا القادمة فى مضيق طيرة .

بعد صلاة العشاة جلسنا فى مكتبة معسكر جهاد وال ، وتناقشنا فى أوضاع أفغانستان ومعارك جرديز ، خاصة فى فكرة كنت طرحتها عن إمكان مهاجمتنا لمضيق طيرة فى ذروة فصل الشتاء ـ وطالما أن ذلك هو آخر ما يتوقعه العدو لذا يجب أن يكون أول ما نفكر نحن فيه. أهم عقبة كانت تجهيزات العمل فى الشتاء ـ فلا أحد من الأفغان او العرب لديه تجهيزات تصلح لمجرد البقاء فى الجبهة وقت الشتاء ناهيك عن العمل الهجومى بالذات فى طيرة التى هى الأشد برودة فى كل جرديز.

لذا تركت صاحبنا أبوكنعان كى يبحث موضوع تجهيزات العمل الشتوى فى باكستان من بقايا بعثات تسلق الجبال. نتائج هذا كله كانت مخيبة للآمال، فالمتوفر ردئ النوعية وقليل العدد.

كان أبوعبيدة البنشيرى متخوفا أن نبدأ نحن برنامج طيره فى الشتاء قبل أن يبدأ المجاهدون عمليات الهجوم على المدينة .

وكان تخوفه فى محله ـ لكن ماكان لنا أن نبدأ بدون التنسيق مع حقانى ولكن بمراجعتى حقانى حول الموضوع كان هو الآخر متخوفا من العمل الهجومى على طيره وقت الشتاء ، وذلك لصعوبة الإمداد هناك، وقال: "حتى الدواب لا تستطيع عبور الثلج هناك" .

<u>الثلاثاء ١٠ ديسمبر ١٩٩١</u>

إستلمنا من معسكر "جهادوال" مهمات عملية الإستطلاع فى طيرة. وهى سيارة بيك أب مزدوجة الكابين فى حالة جيدة مع سائق من الشباب العرب وبندقيتين كلاشنكوف وقاذف صاروخى واحد "آر بى جى"، وشابين من خريجى دورات المعسكر .

سيصحبنا من الأصدقاء القدماء عثمان الصعيدى ، والحاج إبراهيم الأفغانى (وهو من منطقة زورمت التى سنعبرها ـ وهى مرتكز هام للمجاهدين فى عملياتهم ضد جرديز) .ـ ثم

الشاب التونسى "أبوعبيدة المقدسى" وقد تعرفت عليه مؤخرا وهو من الشخصيات المميزة وسنتحدث عنه فيما بعد .

رجعنا إلى ميرانشاة لإستكمال متطلبات رحلتنا إلى طيرة. ذهبت لمقابلة حقانى فوجدت فى مضافته خمسة من الأطباء العرب الشباب كان من بينهم الدكتور هشام الذى قابلنى بترحاب شديد معاتبا إياى على عدم مشاركتى فى معركة جرديز فى أكتوبر الماضى ، فشعرت أن نصل سكين بارد فى إنغرس فى قلبى .

فى حديثى مع حقانى إتفقنا على أن نتقابل فى "زورمت" للمزيد من المشاورة . أخبرته أننا قد نذهب أعمق داخل لوجر لمعرفة إمكانات العمل ضد الطريق من هناك .

أفضى لى حقانى بأحد أسراره وأنه ينوى استهداف جبل "سرواراى" والإستيلاء عليه ، وأنه مجتمع منذ ثلاث أيام مع قياداته الميدانية حول جرديز وأن القوات الحكومية وحاولت إستغلال غياب القادة وهاجمت مواقع المجاهدين فى "بنوزاى" جنوب جرديز، لكنها فشلت وفقدت جنرالا وعددا كبيرا من الجنود ، ولم تستطع سحب الجثث ليلا .

****

<u>الطـريق إلى طـيرة</u>

<u>الأربعاء ١١ ديسمبر ١٩٩١:</u>

إعتذر سائقنا العربى عن مصاحبتنا ، فقد بدأ الألم يتحرك فى رجله نتيجة جرح قديم يتأثر بالبرد . حاجى إبراهيم سيكون سائقا ودليلا .

فى الثامنة صباحا بدأنا الحركة من ميرانشاه . عبرنا الحدود إلى أفغانستان من مدخل قرية "غلام خان". كان البدو الرحل فى رحلة الشتاء يصطحبون قطعانا هائلة من الخراف والأغنام ، فى رحلتهم الشتوية من داخل أفغانستان إلى الحدود الباكستانية . كانوا يستريحون فى خوست لبعض الوقت فالطقس فيها مازال مناسبا والمياه والأعشاب وفيرة . والمنطقة كلها يغمرها الأمن والهدوء بعد أن سيطر عليها المجاهدون ، فلا معارك، والطيران نادرا ما يظهر .

فى المركز القديم لصديقنا الشهيد منان ، أقام البدو بأعداد كبيرة فلا أحد منهم يجهل تاريخ ذلك الموقع ومغاراته . إنه موقع البدوى الشهيد "عبد المنان" رمز عزة بدو أفغانستان وشعبها ، والصديق الأقرب لى ولصديقى الشهيد عبدالرحمن المصرى .

بعد أثنى عشر عاما من القتال ، خوست هادئة الآن ـ المراكز المجيدة فى الجبال أصبحت خالية والمغارات يسكنها البدو والأغنام ويمرح خلالها الأطفال وكلاب الرعاة الضخمة .

ومغارات مراكز كتيبة سلمان الفارسى حول قلعة "بورى خيل" هى الأخرى خالية. على سفح الطريق الترابى أمام جبل زرمانكى كان العلم الأبيض يرفرف بسلام فوق قبر الشاب "أبوالدرداء" شهيد جزيرة العرب فوق جبل تورغار. بعض العائدين القلائل من أهل المنطقة يقفون عند القبر يقرأون الفاتحة ويمسحون أيديهم فى وجوههم.

قد يتحول هذا القبر الحزين يوما ما إلى مزار للقرويين. ربما يكون فى ذلك فاجعة لبعض أهل جزيرة العرب، ممن يمضون حياتهم فى مكافحة قبور الأموات .

مغارات مركز أبوالحارث هى الأخرى خاوية ، مازالت زكائب الخيش المليئة بالتراب تستر الأبواب . أما هؤلاء الشباب الرائعون الذين سطروا أنصع صفحات العرب المجهادين فى أفغانستان فقد رحلوا ، بعضهم رحل ليتابع مسيرته فى معركة جرديز وآخرون رحلوا إلى العالم الآخر كى يزدان بهم الفردوس. مقابرهم متناثرة هنا وهناك لا أحد يعلم من هم ولا من أين جاءوا. ولا أحد من أهليهم يعلم أين قبورهم ، بل ربما مازالوا ينتظرون عودتهم يوما ما .

تجاوزنا جبل تورغار ، ومن خلفه معالم شهيرة أراها من هذه الزاوية لأول مرة بعد تلك السنوات الطوال . فاليوم هو أول يوم أدخل فيه إلى مدينة خوست بعد فتحها (فى٣١مارس١٩٩١).

هذه قرية "شهيد كلاى" كنا نعرف منذ عام٨٥ أن بها بطارية مدافع جبلية عيار ٧٥مليمتر ـ واثناء عملنا ضد المطار عام ٩٠ رصدنا عناصر إستطلاع معادية

تتواجد ليلا فى القرية رغم قربها من جبل تورغار الصغير الذى كان فى يد المجاهدين وقتها . القرية عبارة عن مجموعة بيوت قليلة العدد تبدو سليمة فى مجملها ثم تأتى هضبة "جاجرسر" التى أصبحت بداية خط الدفاع الأول لدى العدو بعد سقوط تورغار ، ولا شك أن المدافعين عنها كانوا فى وضع تعيس. كان بها مرابض لدبابات لا تقل عن إثنين أو ثلاث .

الساحة مقابل "جاجرسر" شهدت أكبر نكسه للمجاهدين أثناء معارك الفتح . أذ تحطم الهجوم وإحترقت لهم دباباتان وقتل العديد من القيادات والمجاهدين الشجعان الجسورين.

منظر خط دفاع العدو الجبلى ـ الأخير ـ يبدو من هنا غريبا ، فهو مسالم وجميل ، بعكس منظره من الجهة الجنوبية التى كان يواجهنا به وقت الحرب. هل هذا الإنطباع صحيح أم لأنه جاء بعد الفتح ؟؟ لا أدرى . حتى تورغار من جهة المدينة يبدو أخضرا وجميلا ـ فلماذا كان بشعاً فى الأيام الخالية ؟. كل شيئ فى الوادى والمدينة أراه جميلاً وخلابا ، هل لأنها زيارتى الأولى للحلم المستحيل ؟ .. لا أظن، لقد ظللت أرى هذا المكان بنفس الجمال طوال الوقت ، حتى غادرت أفغانستان للمرة الأخيرة .

كنت مذهولا وأنا أمر عن هذا القرب بالأسماء التاريخية المهيبة: قلعة تخته بك ، هضبة متون ، أسماعيل خيل ، دير ملك وحتى المناطق التى زرتها قبلا مثل نادر شاه كوت وجبال دوامندو .

ثم بدأ بعد ذلك الطريق التاريخى كما نعرفه ويعرفنا . ذكريات مجيدة ، ونكسات مؤلمة ، وأبطال مضوا ، وجبال روتها دماء أبطال ، أعرف بعضهم وسمعت عن آخرين وأجهل معظمهم .

على الطريق يأتى الموضع التاريخى (ميرجان دكان) ـ الذى إحتل حيزا ضخما فى الإعلام الغربى "الدولى!!" أثناء معارك شتاء (٨٨/٨٧) ـ **انظر كتاب خيانة على الطريق** ـ

كانت خيانة دولية شارك فيها الإعلام الغربى بالمبالغات والتضليل وغطى بكثافة جنونية معركة لم يحضرها صحفيا أو مصورا دوليا واحدا.

على مدخل أحد الشعاب القريبة من دكان ذلك المستثمر الأفغانى "ميرجان" ، بنى حقانى غرفتين كبيرتين ، وحراسات مسلحة ، لحماية المنطقة ، ولإستراحة المجاهدين العابرين إذا داهمهم الليل .

كان المركز منسوبا "لحاجى إبراهيم" شقيق حقانى ، سألنا عنه فى المركز فقيل لنا أنه تحرك إلى وادى زورمات وينتظرنا هناك . دكاكين "ميرجان" إستعادت عافيتها ، ولكن الأطلال العديدة حولها تشهد بضراوة الأحداث التى تعاقبت منذ الإنقلاب الشيوعى وحتى الآن .

بقى أن نذكر أن للحاجى "ميرجان" دكانا آخر فى مجاهل جبال بارى فى خوست ـ أزالته الحرب لكن المنطقة إحتفظت بالإسم كما حدث هنا على طريق زدران أى طريق خوست جرديز.

تلك الدكاكين الطينية الفقيرة تعتبر معلما هاما ، وحدثا حضاريا لدى سكان المنطقة ، والعابرين المستفيدين من خدمات تلك الدكاكين ، التى تقدم الطعام والمبيت ـ وأحيانا تبيع الحلوى ومنتجات الغابات الجبلية من الصنوبر واللوز.

(فى مناسبة أخرى وعلى نفس الطريق أشار سائقنا حاجى إبراهيم إلى يسار الطريق حيث أنقاض غرفتين طينيتين كبيرتين ، قال عنهما أنهما دكاكين "منكرونكير" فسألته مندهشا عن هذه الأسماء الغريبة . فقال إنها أسماء أطلقها السكان على أخوين يملكان هذه الدكاكين، لأن أسعار بضائعهما كانت غالية جدا فأطلق السكان عليهم أسماء ملائكة الحساب فى القبر. لم يرجع الأخوان "منكر ونكير" إلى هذه المنطقة أبدا ، حتى بعد تحرير كابول ، ربما يرجع السبب إلى أنهما أصبحا بالفعل داخل القبر) .

إنحرفنا يسارا فى وادى منطقة "فخرى" حيث لا طريق تقريبا ، سوى آثار صراع أقدام ، وعربات أحدثت ما يشبه الطريق .

أخيرا وصلنا أعتاب جبل "ناراى"ـ وتعنى الصيحة ـ بلدوزر حقانى مر من هنا بقيادة "روشان جول" رائد المهام المستحيلة فى قهر الجبال ، وشق الطرق الإستراتيجية التى تقلب مسار المعارك رأسا على عقب. ونحن الآن أمام آخر هذه الإنجازات التى تستحق منا وقفة موجزة .

يمكن القول أن شق طريق جبلى يعنى بداية الإنتقال من المرحلة الأولى لحرب العصابات حيث لا حاجة تقريبا إلى طرق ـ بل أن الوعورة تعتبر "قيمة دفاعية " لأنها تجبر العدو الترجل من المدرعات والقتال رجلا لرجل ، بل وحتى مدفعيتة تصبح أيضا عديمة الفعالية إلا تلك المدافع الخفيفة التى يحملها المشاة، والطائرات بأنوعها تصبح محدودة الفعالية . بالنسبة لرجال العصابات فان الطرق الجبلية يعنى إمكانيات استخدام السيارات لنقل الأفراد والمعدات والذخائر بكميات وسرعة أكبر ، وهذا يعنى هجمات كبيرة بأسلحة ثقيلة ، وهذا تلقائيا يحتاج إلى قواعد جبلية للتخزين والصيانة والتجهيز . وهذا كله من الدلائل الأساسية على دخول حرب العصابات مرحلتها الثانية ـ وهى الأكثر أهمية فى مسيرة تطورها الطويل .

كان ذلك واضحا فى محافظة باكتيا بشكل نموذجى . حتى تكاد كل منطقة فيها بمعاركها ترتبط بطريق أو أكثر أبتدعه المجاهدون . وهناك مناطق كانت تبدو خاملة لا قيمة لها ثم بسبب أحد هذه الطرق تتحول إلى منطقة هامة ومحورا لمعارك طاحنة. وقد خصص طيران العدو مجهودا ملحوظا لإتلاف هذه الطرق وكان ذلك بالكامل جهدا ضائعا ، ذلك لسهولة إصلاح الأعطاب أو إستحداث تفريعات أخرى.

قد يقال أن العدو يمكنه أيضا إستخدام نفس هذه الطرق لغزو مناطق المجاهدين وقواعدهم ، كما حدث مثلا فى معركة جاور عام٨٦، وقبل ذلك فى منطقة بارى عام ٨٥. ولكن العدو يقع فى مأزق غاية الخطورة بسبب حاجة تلك الطرق للحماية وصعوبة ذلك كونها متعرجة وتمر عبر إختناقات جبلية خطيرة . فمثلا فى بارى إحتاج العدو كى يحمى الطريق الواصل من بورى خيل إلى مركز الشهيد منان أن

يحتل عدد لا بأس به من الجبال الهامة المشرفة على الطريق ـ ثم وجد أن كل جبل من هذه الجبال يحتاج حتى يتم تأمينه، إلى السيطرة على عدد آخر من الجبال . وهكذا وجد العدو نفسه وقد نشر قواته على رقعة شاسعة من الأرض الجبلية فضعفت سيطرته إجمالا على كل المنطقة ، فتعرض إلى كمين قاتل قرب مركز منان نفسه، دمرت فيه عدة دبابات ومركبات مدرعة، فإنسحب سريعا من كل المنطقة ولم يحقق أى مكسب له قيمة.

نعود إلى جبل "نارى" فنجد أنه يفصل بين منطقة زورمت عن وادى فخرى الذى هو أحد معاقل المجاهدين وموطن مولوى نظام الدين، نائب حقانى ، وشقيقه الشهيد مولوى فتح ا أحد قادة الحرب البارزين .

بعد أن إنتهت حملة حقانى الأولى على جرديز فى أكتوبر الماضى (١٩٩١) شرع فى شق طريق ناراى. بالطبع لو أن هذا الطريق كان موجودا قبل الحملة الماضية لكان إضافة كبيرة جدا فى مصلحة المجاهدين ببساطة لأنه يفتح الجبهة الغربية الخاملة لعمليات واسعة وخطيرة على العدو .

ولكن تعجل حقانى فى الهجوم على جرديز بعد وقت قصير من إستيلائه على خوست كان له ما يبرره ، وكاد أن يؤدى إلى فتح المدينة لولا الخيانة الباكستانية المتوقعة،على مضيق طيرة، والتى يعتبر حقانى مسئولا بلا شك عن عدم تولى هذه المهمة بنفسه. وقد كان مدركا تماما خطورتها ومدركا خيانات المخابرات الباكستانية فى ساحة معركة جلال آباد"١٩٨٩" ـ وقد شارك فيها ببعض قواته ، وكذلك خياناتهم الكثيرة فى باكتيا نفسها وضده هو فى غالب الأمر . ويزيد من مسئولية حقانى تلك أنه أدرك أن قادة المخابرات الباكستانية الجدد،الجنرال درانى فى إسلام آباد والجنرال"جنجوعه" فى بشاور، قد كشروا عن أنيابهم فى وجهه حتى ينضم إلى السياق العام ، الذى يعتبر حقانى هو النشاز الوحيد فى سيمفونية التسوية السلمية التى ترعاها أمريكا ويعزفها الجميع .

الخطير فى الأمر أن معارضة حقانى ليست إستعراضا إعلاميا وتصريحات نارية فى الإذعات والصحف ، بل كان يقود معارك طاحنة ومظفرة تغير بعمق خريطة القوى الأفغانية على أرض أفغانستان نفسها .

على أية حال فإن طريق "نارای" دشن عمليا إفتتاح الجبهة الغربية. فمنطقة "زورمت" ستكون قاعدة خطيرة لهجوم يتجه نحو الخاصرة الغربية لمدينة جرديز .

ليس هذا فقط بل أن "زورمت" ستكون قاعدة إسناد للعمل ضد مضيق طيرة الإستراتيجى ـ وهذه المرة فإن العرب " أى مجموعتنا التى هى تشكيلة منوعة من إتجاهات متعددة " سيكونون رأس الحربة فى هذا العمل الخطير ، فى وقت توافرت فيه لديهم إمكانات مادية ومعنوية كافية للنجاح .

فيكفى أن نذكر أن عملية إمداد المجاهدين فى وادى زورمت كانت تتم بصعوبة بإستخدام الدواب فى مسالك جبلية صعبة ، عبر جبل نارای نفسه.

أما الطريق الأهم لتموين وإمداد زورمات فكان عبر الأورجون فى محافظة باكتيكا. وهو طريق طويل وصعب، خاصة وقت الثلوج والأمطار أى أنه يصلح لوقت محدود من السنة .

إذن المحاولة الثانية للهجوم على جرديز ستشمل ثلاثة عناصر يبدو أن المدينة لن تصمد أمامها ,

١ ـ جبهة جنوبية قوية للغاية كانت مركزا أوحدا للهجوم الأول .

٢ ـ قطاع غربى يتميز بالإتساع الشديد بحيث يصعب سد ثغراته أمام المجاهدين ذو المرونة الكبيرة والقدرة على التسرب عبر أى ثقب فى خطوط دفاع العدو .

٣ ـ عمل مكثف لإغلاق طريق الإتصال بين جرديز والعاصمة كابول .

سيكون مضيق طيرة المستهدف الأول ، ثم باقى الأجزاء فيما بين مضيق طيرة إلى مضيق تنجى الواقع فى منتصف محافظة لوجر تقريبا .

وحتى الطريق الفرعى فى صحراء بابوس ، يجهز حقانى مجموعات للتصدى للقوافل الحكومية العابرة فيه, أى أن المخاطرة على الطريق لن تكون مركزة فى نقطة واحدة فقط، بل سيكون الإستنزاف متدرجا .

والتخطيط يتم على ألا يعبر أحد من مضيق طيره ـ وكان من المفروض أن تكون تلك مهمتنا العربية فى المعركة القادمة الحاسمة فى جرديز .

* أثناء رحلتنا الإستطلاعية تلك كنا نبحث عن خطوط إمداد أقصر لإحتياجاتنا الأساسية ـ وتلك أيضا قاعدة هامة لمحاربى العصابات.

أى تخفيف الضغط ما أمكن على خطوط الإمداد ، والبحث عن مصادر قريبة لإحتياجات المقاتلين ، بما فى ذلك الذخائر .

لهذا شرعنا على الفور وعبر مجاهدي المنطقة من جماعة مولوى منصور ـ فى الإتصال بكل من يمكن أن يبيع لنا ذخائر أو أن يشتريها من أصحابها المتناثرين هنا وهناك ثم يبيعها لنا ـ كان ذلك مربحا للجميع حتى لنا لأن الذخائر خلف الحدود فى باكستان أصبحت غالية وهناك "المشترون الغامضون" الذين يسحبون الذخائر الثقيلة من الأسواق .

ومن المصادفات أن نجد ثلاثة منهم يتجولون فى منطقتنا يسحبون منها الذخائر الثقيلة ـ وكانوا ثلاث تجار باكستانيون ـ وأظن أنهم إما من الإستخبارات الباكستانية أو متعاونين معها .

ومن حسن الحظ أننا لم نقابلهم مباشرة، فقد كان شبابنا متوترين من الدور الباكستانى والوضع الحرج للقضية الأفغانية برمتها ـ وكانوا يلمسون اللعب بقضية الذخائر الثقيلة ـ إذن من الصعب السيطرة عليهم بينما الأوضاع الهشة فى المنطقة والإنقسامات الحزبية المتعفنة تجعل نشوب فتنة أمر غاية السهولة أذا لم يتقيد الجميع بضبط النفس.

نشاطات الإستخبارات فى أفغانستان لا تكون سابحة فى الفضاء بل تتحرك فوق أرضية ثابتة متعاونة من الجماعات المسلحة، قبلية كانت أم حزبية .

* نجحنا فى الإتصال بعدد من تجار المنطقة من بينهم ضابط سابق فى الجيش. وبدأوا فى تجميع أنواع الذخائر التى نطلبها ـ ثم بدأنا فى البحث عن المواد الغذائية فى الأسواق القريبة ـ وقد وجدنا سوقا نشطا نسبيا فى منطقة تدعى"قال كوه" وكان بها وقود الديزل ولكن مع نسبة مياه عالية، مخلوطة به .

* المفاجأة السارة كان إكتشافنا لمدينة "شرخ" وهى مدينة صغيرة فى لوجر لكن بها سوق نشط بعث فينا الأمل والبهجة ، فهناك مواد غذائية متوفرة بشكل معقول ، كذلك وقود الديزل وحتى الأدوات الكهربائية البسيطة التى نحتاجها أحيانا .

قضينا فى تلك المدينة أكثر من نصف يوم نبحث ونتقصى عن كل شيئ. فاتضح أنه يمكننا الإكتفاء بها تماما فى المواد الغذائية وكثير من الأشياء الأخرى . فكانت فرحتنا لا تقدر لأنها توفر علينا خط أمداد طويل جدا يبدأ من ميرانشاة وينتهى إلينا فى "أودكاى" حيث مركزنا المتقدم للعمل ضد المضيق .

بينما خط الإمداد الجديد لا يستغرق سوى ساعتين فى طريق لا بأس بدرجة خشونته.

لم يلتفت أحد فى "شرخ" إلى أننا عرب، لذا إستطعنا فى زيارتنا الأولى إكتشاف مجموعة من "مخبرى" حكومة كابول يعملون فى مراقبة الحركة فى المدينة .

كان يمكن إكتشاف ما هو أكثر. ويبدو أن المناطق التى أخلتها الحكومة طوعا تمتعت بتعايش مشترك بين "المجاهدين" والحكومة الشيوعية . وأن السلام كان له ثمن يمكن أن يشكل خطورة جذرية فى وقت ما .

فى مناطق لوجر " المحررة!! " إكتشفنا ما هو مخيف بمجرد العبور. فماذا لو دقق أحدهم فى البحث ؟!! .

ومع هذا فقد كان تقديرنا أننا بشئ من الحذر يمكننا الإرتكاز على مدينة شرخ كمصدر هام وقريب للكثير من إمدادتنا الهامة .

(ملاحظة : محافظة لوجر كانت مسرحا لمطاردات عنيفة وعمليات قتل وسرقة ومطاردات للعرب وطالبان والأوزبك فى حرب عام ٢٠٠١).

□ □ □ □ □ □ □ □ □

فى وادى زورمت

قرب قمة جبل ناراى قابلنا "روشان جول" الذى زف إلينا النبأ السار، أنه منذ قليل إنتهى من قمة الجبل وأن الطريق بالكامل أضحى جاهزا لإستقبال جميع أنواع سيارات المجاهدين، وأن البلدوزر فى حاجة إلى عمليات إصلاح وصيانة حتى يستكمل عملية "تشطيبات" نهائية فى الطريق ـ فوعدنا بإمداده بكل ما هو مطلوب لإكمال عمله .

ما أن نغادر قمة جبل "ناراى" حتى نصبح فى زورمات ويستمر الجبل فى الهبوط . فى التلال الأخيرة بدأت مراكز المجاهدين تتكاثر أولها إلى اليمين مركز صديقنا درويش وجماعته من وردك ، ثم مراكز متعددة، لجماعة حقانى.

ثم بدأ وادى زرمت المنبسط، وقرى كثيرة متناثرة بعضها عبارة عن بيوت قليلة العدد. كان دليلنا "حاجى إبراهيم" يتوجه بنا إلى المركز الرئيسى لحقانى فى ذلك الوادى وهو مركز"ديرى". إلى اليسار كنت أرقب أحد الجبال الفريدة ـ وكنت أكرهه بشكل خاص ـ وهو جبل منفصل عن سلاسل الجبال الأخرى ، ويقف شامخا محاطا بالوادى من كل جانب ـ كان إسم جبل "سرواراى" وهو مرتفع ومحاصر حكوميا ـ إستولى عليه المجاهدون فى المعارك الأخيرة لكن الحكومة إستطاعت إستعادته مرة أخرى ـ وعليه قتل "فاروق" شقيق صديقنا درويش، الذى فقد الكثير من توازنه النفسى والعقلى بعد فقدان شقيقه الأقرب إلى قلبه من كل شيئ .

جبل "سرواراى" الرابض على الحافة الجنوبية للجانب الشرقى من وادى زورمت ، له شقيق على المدخل الشرقى للمدينة ـ وهو يهدد أى تقدم صوب المدينة من الجنوب أو الشرق ـ أنه جبل "جوجارى" العتيد ((وقد ورد ذكره معنا فى الكتاب الأول من هذه

السلسلة فى فقرة ـ مقاتلات تقدم لنا الدعم ـ حيث قصفته خطأ ثلاث مقاتلات سوفيتية حاولت قصف موقعنا فى خدى بابا ـ فى سلسلة الجبال جنوب المدينة)) .

جبل "سروا راى" يمثل نقطة ترصد مثالية حيث يشرف على مساحات شاسعة من السهول التى تنبسط تحته مثل كف اليد ـ لذا كنت أشعر به كابوساً دائما أثناء تحركاتنا فى الوادى ـ وأظن أن ذلك كان شعور الجميع .

كان الجبل على رأس إستهدافات حقانى ، حتى قبل أن يشرع فى حملته الرئيسية الثانية التى يجهز لها . لكونه يشكل خطرا على مجاهدى الوادى كله ، ومركزا مثاليا لتوجيه المدفعية والطائرات.

 عند الغروب وصلنا إلى مركز لجماعة حقانى عبارة عن بيت واحد من الطراز الريفى ذو الجدران الطينية السميكة . فى بعض مواضعها تمر خنادق بحيث يمكن لمن داخل البيت أن يطلق النار من الخندق على الخارج بدون العبور من بوابة المنزل . كانت العديد من الآليات العسكرية المعطوبة والسليمة تحيط بالمكان بين أشجار عظيمة الحجم. المكان جميل وهادئ ، ولكن هيئة "سروا راى" تثير القشعريرة وتنذر بالخطر .

رحلتنا تلك إستمرت أسبوعاً لم يظهر خلالها أى أثر لطيران العدو وكأن الطيارين قدموا إستقالاتهم أو أن الطائرات كلها تحت الصيانة. كان ذلك من حسن حظنا ، لأننا نستخدم دوما المنازل الريفية وهى هدف غاية السهولة بالنسبة للطائرات ، وفى ثوانى يمكنها تحويل البيت إلى مقبرة كبيرة لجميع من فيه.

فى مركز حقانى هذا قدموا لنا غرفة كبيرة حسنة التدفئة نمنا فيها حتى آذان الفجر .

<u>الخميس ١٢ديسمبر ١٩٩١</u>

مركز "ديرى " الذى اتخذه شقيق حقانى (حاجى إبراهيم) مقر قيادة كان عبارة عن بيت ريفى واسع ومنعزل ، يقف فريدا فى منطقة زراعية واسعة ، تعلو البيت إثنتان من هوائيات الإرسال اللاسلكى .

كانت مفاجأة أن نقابل أثنان من شباب مجموعة الشهيد "كريم" ، وكانا معنا فى الترصد أثناء عمليتنا على المطار القديم . شعرنا بالسعادة للقائهم رغم أن علاقاتنا القديمة معهم لم تكن مريحة، ولكن يجمعنا الحزن الشديد على فقدان "كريم" ذاك الكومندان الطيب والذى كان "كريما" إسما ومسمى ـ (إستشهد كريم أثناء إقتحام خط الدفاع الأول للعدو اثناء معارك فتح خوست) .

قابلنا "محمد" إبن مولوى حقانى وهو يرتدى زياً عسكريا مرقطاً ، ويستمع إلى راديو ترانزستور صغير يحمله فى يده . لقد كبر الطفل الصغير وصار شابا صغيرا يحبو فى ساحات القتال .

خليل رحب بقدومنا واصطحبنا إلى غرفة ضيقة جدرانها مزينة بكل ما هو ملون من الأوراق المصورة ـ كما هى عادة القرويين فى أفغانستان .

شرحنا له ما نريد . ومن حسن الطالع أن يتواجد فى نفس البيت إثنان من قادة المنطقة التى نقصدها . أحدهما من قبيلة زدران ويدعى "منك" والآخر من منطقة قريبة من "طيرة" وتدعى "بانج باى" ـ أى خمسة أرجل ـ وكان الرجل يدعى "حاجى خواناى" وهو على أعتاب الأربعين ويرتدى نظارة طبية ، ويتكلم لغة عربية خفيفة إلتقطها من منطقة الخليج حيث عمل لمدة أربع سنوات، وسرعان ما أصبح من أهم أفراد مجموعتنا.

أخبرنا "حاجى خواناى" أنه شارك فى العملية ضد مضيق طيرة فى أكتوبر الماضى ، وأن منطقته "بانج باى" قريبة جدا من المكان. طالبناه بمرافقتنا فوافق بترحاب حقيقى وربطتنا معه وبسرعة صداقة وألفه كأننا تعارفنا منذ سنوات طويلة. كان حاجى إبراهيم يقود السيارة ، وإلى جواره حاجى خواناى كدليل ومستشار للفريق.

توجها أولا إلى "تعمير" وهى قرية متسعة أكبر مما توقعت، ذات أبنية أسمنتية حكومية . آثار الحرب بادية على معالمها ، فمعارك تعمير تعتبر من أهم فقرات الحرب فى وادى "زورمت" ـ **(وقد ورد جزء منها فى الكتاب الأول من هذه السلسلة).**

أدرنا ظهرنا لمدينة جرديز وسرنا على طريق أسفلتى متجه نحو محافظة " غزنى" ولكنه لا يستمر على حالته الجيدة هذه سوى لحوالى عشرين كيلومتر ـ أما باقى الطريق إلى غزنى فينتمى قطعا إلى عصور بداية الخليقة ، وهو فى غالبة صحراوى يعبر بعض المناطق الزراعية والقرى .

بعد حوالى عشرة كيلومترات من تعمير مررنا بسوق عامرة تدعى "قال كوه " أى قمم الجبال ـ وفى الحقيقة أن سلسلة الجبال شمال الطريق والممتدة بطوله تقريبا يطلق عليها نفس الإسم وهى سلاسل "حرشوفيه " دميمة المنظر عبارة عن مجموعة من "القال" بدون جبل أى أنها تقليد جبلى لحراشيف الديناصورات . وهى نفس الطبيعة لأهم الجبال التى قررنا التمركز فيه أثناء عملياتنا القادمة ـ وسنذكره لاحقا ..

رغم نشاط السوق وكبر حجمه إلا أن تنوع البضائع فيه قليل. وأكثر ما يحتويه هو المطاعم الريفية بأطعمتها المحدودة من لحم وأرز وخضروات قليلة .

حاجى خواناى إشترى القليل من لحم حتى يضيفنا به فى بيته. وإنشغل الشباب فى تموين سيارتنا بوقود الديزل المخلوط بالماء ـ لاحظنا تواجدا "محترما" لمؤسسات الأمم المتحدة ـ والكثير من سيارات "الرنج روفر" الفخمة يقودها الجيل الأفغانى الجديد القادم من أمريكا وأوروبا وقد أطلقوا لحاهم حديثا. ويديرون العمل فى مؤسسات الإغاثة الدولية ويتقاضون مرتبات لا يحصل عليها وزراء كابول أو باكستان. ((لهذا الجيل دور كبير فى العمل مع الإحتلال الأمريكى للبلاد بعد عام ٢٠٠١)) .

المنطقة بشكل عام جميلة جدا لولا أجواء الحرب . فى العادة يقصف الطيران مثل هذه الأسواق من وقت لآخر. وقالوا أن هذا حدث هنا مرات عديدة، آخرها كان منذ عدة أشهر.

قبل أن ينحرف الطريق يسارا ليستكمل مسيرته إلى غزنى، نزلنا على التراب يمين الطريق كى نسلك شعابا جبلية صوب وادى خلف الجبال تقع فيه مناطقنا المنشودة . فى بداية الطريق الترابى مسجد تظهر عليه عناية غير عادية فى مثل تلك الاماكن.

أخبرنا دليلنا حاجى خواناى أنه مسجد بناه الصحابى "عبدالرحمن بن عوف". يعتقد الأهالى بذلك رغم عدم صحته تاريخيا ، لكن مناقشة الأمر سيحدث خيبة أمل وربما شكوكا مذهبية لا داعى لها .

عبرنا الشعب الجبلى الطويل حتى فتح على وادى متسع رائع الجمال. مررنا بقرية جميلة سألت عن أسمها وأدهشنى أنه كان: "كافركوت". سألت عن سبب الإسم الغريب فقالوا أنها كانت مقرا للكهنة البوذيين ، وكان لهؤلاء حبلاممتدا بين الجبلين على طرفى الوادى يعبرونه بما يشبه "التليفريك". كان ذلك يبدو مستحيلا لأن المسافة لا تقل عن خمسة عشر كيلوميترا ، فكيف يمكن عمل تليفريك بالجبال عبر تلك المسافة فى ذلك الماضى السحيق ؟؟ .

* فى الثالثة عصرا وصلنا قرية "بانج باى" . وإصطحبنا "خواناى" مباشرة إلى منزله الصغير المكون من طابقين ، إستضافنا فى الطابق العلوى المكون من غرفة واحدة وساحة ضيقة أمامها ، إكتشفنا أن البيت هو أيضا مقر قيادة لمجوعته المكونة من ثمانون شخصا، تبقى منهم الآن سبعة أشخاص فقط !! . وأن مجموع المجاهدين فى المنطقة الآن هم ثلاث عشر فقط بعد أن كانوا سبعمئة وقت عمليات أكتوبر.

شعرت بالقلق لهذه المعلومات. فمعناها أن العدو يستطيع أن يتمدد بسهولة فى المنطقة فيصبح مضيق طيرة من حكايات الماضى وتنتقل المعركة إلى عمق أراضى محررة لا أحد يدافع عنها الآن رغم ملامستها لمناطق العدو الحساسة .

كنت قلقا طول الليل لشعورى أننا يمكن أن نداهم بقوات معادية أثناء الليل فنقع فى الأسر ، ولم أجد مانعاً يعرقل هذا الإحتمال الكئيب ـ فالمنطقة حساسة ومتسعة وقريبة جدا من العدو ونحن وجميع مجاهدى المنطقة لا نصل إلى العشرين شخصا . وأشك تماما فى وجود حراسات أثناء الليل.

فى مسجد القرية فى صباح الغد توافد علينا شيوخ القرية وبعض المجاهدين . وسمعت منهم حكايات عن متطوعين مسلمين إستشهدوا فى المنطقة بواسطة كمائن

من الجيش كانت تترقب قوافل الإمداد التى تعبر المنطقة صوب الشمال . وقالوا أن مجموعة من الشباب الأتراك قتلوا فى القرية، وأن قبر أحد هؤلاء الشهداء قريب من المسجد فطلبت أن نذهب لقراءة الفاتحة على قبره.

قبور هؤلاء الغرباء مازالت تثير الشجون، ولها إحترام خاص لدى أهالى المنطقة. إنها أشارة قوية على أن المشاعر التى تربط الأمة الإسلامية الواحدة مازالت يقظة وفاعلة، رغم محاولات الأعداء إطفائها بأنهار من دماء المسلمين ، وحصر كل شعب فى قفصه "الوطنى" الذى هو قفص للإضعاف والإذلال واليأس صنعه الأعداء المعروفين .

□ السيدة العجوز والدة "حاجى خواناى" أعطتنا دفعة معنوية كبيرة حين أصرت على تقديم طعام العشاء لنا بنفسها ثم جلست تكلمنا عن الجهاد والإسلام والشهادة . ثم تسألنا عن بلادنا وأهلنا. فى صباح اليوم التالى ترقرقت أعينها بالدمع وهى تودعنا وتدعو لنا. أشعر أن الإسلام سيظل بخير فى أفغانستان بفضل أمثال تلك المرأة ، وهى نموذج شائع هناك لحسن الحظ .

إنهن نموذج عجيب من الأمومة الرحيمة لمن حولها ، مع شجاعة وصلابة هائلة إذا تعلق الأمر بالدفاع عن الإسلام ، فلا يتركن لأحد فرصة كى يظهر أى علامة ضعف وتدفع الزوج والأولاد إلى ساحات القتال بلا هوادة .

<u>خـطـة إسـتـخـبـاريـة</u>

مجموعة من الأوراق فى الغرفة التى إستضافنا فيها "حاجى خواناى" كان بها ورقة مصورة عن أصل باللغة الإنجليزية. قال خواناى أنها الخطة التى أعدها رجال الاستخبارات الباكستانية للإستيلاء على مضيق طيرة . وهذا هو نصها :

*** حاصر ثم إحتل ***

عملية ـ ضرب كليم

المرحلة الأولى : هجوم بالدبابات ، **R P J** على طيرة .

المرحلة الثانية : اذا أمسكت المجموعة الأولى تندفع المجموعة الثانية.

المرحلة الثالثة : فى الثامنة صباحا تتحرك مجموعة لتحتل الطريق.

عدد الدبابات : ٨

عدد **R P J :** ٤

عدد الأشخاص: ....

أسلحة ثقيلة: تشتبك مع أسلحة العدو المعاكسة .

□ □ □ □ □ □ □

هذا نص ما جاء فى أوراق الجواسيس ، وهى خطة ورقية بمعنى الكلمة ، فلا شيئ يربطها بالواقع ، ولعل من كتبها كان يعلم أن شيئ مما يكتبه لن يحدث، فإكتفى بكتابة شيئ من الهذيان .

حاجى خواناى الذى شارك مع مجموعته المكونة من ثمانين مجاهدا، وصف لنا كثير من تفاصيل ما حدث . والخطوط العامة هى :

تكدس فى هذه المنطقة سبعمئة مجاهد لأجل الهجوم على طيرة.

(لم تكن هناك دبابات كما جاء فى الخطة التى تحدثت عن ثمان دبابات بدون أن تتحدث عن كيفية توفيرها، ولا عن كيفية نقلها إلى هذا المكان.

وهل يمكن توفير كل هذا العدد الضخم ـ بمقاييس ما يملكه المجاهدون وقتها ـ وكم سيتبقى من دبابات فى القطاع الأهم فى الحرب كلها وهو القطاع الجنوبى تحت أقدام جبال "ستى كندو" حيث يركز حقانى ـ ويركز العدو أيضا زهرة قواته ؟؟ !!).

قال خواناى أنه لم يكن هناك قائد واحد للعملية ، بل مجموعات متعددة لكل منها قائد منفصل. وقال أن مهمة تلك المجموعات كان إنتظار هجوم يقوم به الكومندان "موسى خان" التابع لسياف. وأن يصل هجومه إلى نقطة متفق عليها وعندها نهاجم . والذى حدث أن "موسى خان" إكتفى بشئ من القصف ولم يتقدم على الأرض . فأنسحبنا نحن أيضا ، وبقيت طيرة سالمة فى يد العدو!!.

كان وصف خواناى كلاسيكيا طبقا لما يحدث فى معظم العمليات المشتركة "للمجاهدين" العاملين فى برامج إستخبارية باكستانية.

فلا أحد من المجاهدين،أو العدو، يصاب بأذى. ويخرج الجميع من المعركة سعداء. فالمجاهدون فازوا بكميات كبيرة من الذخائر والأموال ، والباكستانيون سعداء بإفساد الجهاد وإرضاء أسيادهم الأمريكان. والعدو سعيد بسلامته وسلامة مواقعة .. وكأنه فيلم هندي لا تنقصه الإثارة .

من المضحكات فى عملية (ضرب كليم) ما جاء فى المرحلة الثالثة حيث تتحرك القوات فى الثامنة صباحا مجموعة لتحتل الطريق!!.

هذا لأن للتوقيت فى عمليات المجاهدين حساسية كبيرة جدا ، يتوقف عليها نجاح أو فشل العملية ، بل وفقدان الكثير من الأرواح. والذى إختار الثامنة صباحاً ، بالتأكيد يتصور أنه ذاهب إلى مصلحة حكومية يبدأ العمل فيها فى ذلك التوقيت.

فلو تصورنا ـ جدلا ـ نجاح المرحلتين الأولى والثانية ، وذلك مستحيل لأن العمل كله قائم على هجوم بثمان دبابات لا يتوفر منه شيئ عمليا ـ إذا تصورنا نجاح المرحلتين ، وكلتاهما سيتم فى ظلام الليل. وإنتظار المجموعة الثالثة حتى الثامنة صباحا يعنى أنهم سيذهبون كى يجدوا العدو قد أنهى هجومه المعاكس واستعاد المواقع المفقودة. والذى يجرى عمليا هو أن تبدأ كل مرحلة فور إنتهاء المرحلة السابقة أو حتى قبل إنتهائها بقليل . وذلك دون التقيد بمواعيد محددة سلفا لكون ذلك مستحيل عمليا , ودون ترك فاصل زمنى طويل يمكن للعدو الإستفادة منه وفرض مسار جديد للمعركة.

* فى كتاب خيانة على الطريق رأينا دور الضابط الشيوعى نظر محمد الذى إستخدمه سياف وافتتح له مركزا على جبال ستى كندو الإستراتيجية وكيف أنه سلمها للقوات الشيوعية بلا قتال . وكان ذلك دورا قام به سياف ـ وقياداته العسكرية ـ فى تنفيذ الخطة الدولية .

"موسى خان" وهو ضابط سابق أيضا لم يكن ذو سمعة طيبة، وتابع لسياف أيضا، ومع هذا تم تكليفة بنصف المهمة فى خطة "ضرب كليم"، أى الهجوم على الجانب الشرقى من الطريق والإستيلاء على قطاع معين فيه، وهو ما لم يتم ، ولم يكن له أن يتم على الإطلاق بواسطة قيادات من أمثال "موسى خان"، فأنتهى البرنامج كله بالفشل أى حقق بالضبط ما تريده باكستان طبق مهامها فى الخطة الدولية الخاصة بأفغانستان.

وحتى قيادات الجانب الغربى رغم حالة الفوضى وعدم التنسيق فيما بينها إلا أنها إحتوت على أسماء ذات إنجازات خيانيه مشهورة مثل الكومندان"خالد فاروقى" .

(وقد رأينا دوره فى معركة أورجون عام ١٩٨٣ ضمن كتاب معارك البوابة الصخرية. وكيف أنه فتح الطريق أمام القوات السوفيتية فى وقت كان المجاهدون، بقيادة حقانى أيضا!!، قد إستولوا بالفعل على نصف مدينة الأورجون. وهو موقف شبيه بما حدث فى معركة جرديز١٩٩١التى نتحدث عنها الآن. وكأنه قد تخصص فى إجهاض فتوحات حقانى للمدن) .

ولا ننكر أن الجانب الغربى شاركت فيه قادة ذوى تاريخ جهادى عريق ولكنهم إنقطعوا عن الجبهة لسنوات ، مثل مولوى أرسلان الذى إنفصل عن تاريخه القتال بعد إلتحاقه بحزب سياف فى عام ١٩٨٣.

وهناك قادة جادون ولكن ضاعوا فى خضم الفوضى وإنعدام الخطة أى الهزيمة المخططة . ومنهم .

- حاجى خواناى " ومعه ٧٠ مجاهد " ـ جماعة حقانى .
- حاجى منك " ومعه ٧٠ مجاهد " ـ تابع كتيبة العمرى ـ حقانى .
- القائد كرماى شقيق الشهيد أحمد جول ومعه مجاهدين عددهم غير معلوم"تابع حقانى"
- الضابط أختر محمد ـ معه عدد غير معلوم ـ تابع سياف.

بعض هؤلاء ممن كان لديه مدافع ثقيلة قصف مواقع صواريخ الأورجون فى المدينة وبعض المواقع ـ ولكن ذلك لم يكن فى صالح العملية ولو يفدها بشيئ .

إن وجود بعض القادة الجادين فى برنامج "طيرة " على الجناح الغربى من الممر لم يكن ليفيد حقانى بشئ ، ولم يكن ليهدد إمكانات فشل الخطة، الأكيدة الفشل ، لكونها تعتمد جوهريا على عنصرين مؤكدين هما :

١ ـ وجود ثمان دبابات للهجوم على الممر ـ فى حين لا يمكن عمليا ـ فى ذلك الوقت ـ توفير أى منها .

٢ ـ المجموعة على غرب الممر " ٧٠٠مجاهد" لن يتحركوا إلا بعد وصول موسى خان وجماعته إلى نقاط محدده يستولون عليها ـ وهذا غير ممكن لأن الرجل لن يحتل شبرا واحدا وذلك مضمون بالتأكيد .

الجمعة ١٣ ديسمبر ١٩٩١

اليوم يصطحبنا حاجى خواناى إلى المكان الذى أطلقوا منه الصواريخ على مواقع العدو فى طيرة ـ أيضا سنصعد إلى جبل يرى أنه الأفضل لرصد مواقع العدو.

فى الطريق كنا نتفحص كل شيئ ممكن أن يكون ذو صلة لعملنا المقبل. كانت هناك عدة قرى نشطة وبها سكان كثيرون ـ أحزننى ذلك لكون عملياتنا قد يرد عليها العدو بقصف هؤلاء رغم أن مرتكزاتنا العملياتية ستكون بعيدة عنهم بكثير ...لكنهم سيكونون أول تجمع بشرى خلفنا ، والعدو يقصف مثل تلك المراكز المدنية الأقرب إلى العمل العسكرى .

فى المكان الذى أطلقوا منه الصواريخ على طيرة إكتشفت أن المهزلة كانت أكبر، وأنه منذ غادروا المكان بعد العملية لم يرجع أحد كى يتفقد المنطقة . فما زالت هناك بعض الصواريخ على الأرض، وصاروخ أو أكثر جاهز للاطلاق ، وينقصه فقط تمرير التيار الكهربائى .

واضح أنهم غادروا المكان على وجه السرعة وكأنهم مهزومون أو أنهم إختطفوا غنائم يخشون أن يقاسمهم فيها أحد .

العدو مواقعه تبدأ على بعد أمتار وليست كيلومترات. علينا أن نصعد الجبل للمعاينة. الجبل حاد الصعود بشكل سخيف جدا كنت مصابا بالبرد وجميع جسمى يؤلمنى ـ مع هذا قد لا أجد فرصة أخرى لصعود الجبل ومشاهدة مواقع العدو من أفضل المراصد المتاحة كما يرى ذلك خواناى ـ لابد إذن من الصعود بأى ثمن .

وقد كنت أصعد وأستريح كل خطوتين أو ثلاث . ويرافقنى الصعيدى الشهم "عثمان" الصديق التاريخى، حتى وصلنا إلى القمة .

الأمتار الأخيرة تكسوها الثلوج التى أصبحت ملساء من كثرة مرور شباب المجموعة. فتمتعت بشئ من الإنزلاقات إلى أسفل، حتى نجحت فى صعود القمة ولو "بطلوع الروح". كان خواناى محقاً فقد إستطعنا من مكاننا أن نحصل على معظم المعلومات الحيوية عن مضيق طيرة ، والجزء الأهم من الطريق القادم من جرديز . رسمت كروكيا للمنطقة ومواقع العدو وأسلحته الظاهرة لنا.

المكان فى العادة يحكى قصة الدفاع عنه ، كما يحكى قصة الهجوم .

للطريق أمامنا مفتاحان ، أحدهما الى الجنوب وهو جبل "خواجه قمبرغر" وإرتفاعه أكثر من خمسة آلاف متر فوق سطح البحر . ويعتبر أهم هيئة حاكمة وأول تحدى كبير أمام القادم من جرديز . المفتاح الثانى هو جبل "سبين كمرغر" أى جبل الحزام الأبيض ، وهو يمتد متعامدا على الطريق، الذى هو عبارة عن شق فى الجبل فتحته معدات الطرق . على هذا الجبل المتعامد على الطريق والممتد إلى مسافة كبيرة إتخذ الجيش مواقع وإستحكامات للدفاع عن الطريق ، تعتبر هى القوة الأساسية على الطريق كله . ونقطة إلتقاء الطريق مع ذلك الجبل "المضيق" هى النقطة الأهم لكونها الأكثر إرتفاعا. يصلها الطريق من جرديز فى تدرج متصاعد وبعد أن يعبرها

الطريق يأخذ فى إنحدار شديد على الجانب الآخر الذى يقع إداريا فى لوجر ـ بل أن نقطة الإلتقاء نفسها ـ مضيق طيرة ـ هى ضمن محافظة لوجر وليس جرديز .

((سنرى كم التزمت قيادة الجيش بتلك التقسيمات الإدارية فسلمت مضيق طيرة وباقى الطريق الواقع فى لوجر إلى "مجاهدى لوجر وليس جرديز . وسيمر معنا مسألة التفاوض على التسليم التى كانت قطعة رائعة من المهارة السياسية لقائد الحامية العسكرية ، وهو من أبناء المنطقة، الذى إستفاد من جميع الثغرات الحزبية والقبلية وحتى الإدارية كى يحصل لنفسه ولجنوده على أفضل الشروط ، وحتى يجعل من التسليم مأزقاً لخصمه ، وهذا ما حدث فى جميع عمليات التسليم التى جرت فى أفغانستان إذا كانت مأزقا للشعب الأفغانى مزق صفوفه وأهدر ثرواته ، وحتى دماءه فى العديد من الأحيان)) .

نظرا لأن الطريق كان كثير التعرجات ، وبالتالى فإن المواقع الأساسية يستحيل عليها تغطية كل الأجزاء ، لذا إتخذت القوات الحكومية الكثير من المواقع الصغيرة والكمائن على الطريق لتغطية " الزوايا الميته " بالنيران، أى تلك الزوايا غير المكشوفة للمواقع الكبيرة .

كانت المواقع مختلفة الأشكال والأحجام ، بعضها حفر مسقوفة وخنادق ، وبعضها مجرد مدرعة أو دبابة تستحكم لتغطية زاوية معينة .

المسافة ما بين الجبلين "المفتاحين" ـ أو"العملاقين" ـ تفصلنا عنها هضاب قليلة الإرتفاع يسهل عبورها ومهاجمة المواقع الموازية لها وجميعها مواقع فرعية، منها موضع مدفعية ، ونقطة جمارك إلى جوارها دبابة ، وهناك مصفحة فوق هضبة على الجانب الآخر .

هذا الجزء يبدو سهلا ـ ولكن كان حاجى خواناى قال بأن الجيش لغم تلك التباب لأن المجاهدين فى السابق تسللوا منها وخربوا المواقع القريبة. ولكن يظل الهجوم من هذا المحور هو الأسهل ولابد من مهاجمة الجبلين "المفتاحين" فى نفس الوقت .

حاجى إبراهيم قال أنه شارك فى هجوم على جبل"خواجه قمبرغر" فى أوائل الجهاد وإستولوا عليه وإستحكموا فوقه حتى إستردته منهم القوات الحكومية.

لا تبدو الإستحكمات الحكومية فوق ذلك الجبل منيعه . رصدنا مبدئيا ثلاث نقاط قوية واحده قرب قمة الجبل ، وموقع على السفح جهة المدينة ، وآخر جهة المضيق .

جميع الدلائل تقود إلى إستنتاج واحد وهو أن المضيق نفسه هو النقطة الأصعب فى أى عملية قادمة لما يحيط به من مواقع وإستحكامات ممتدة فوق جبل "سبين كمرغر".

نقطة ضعف خطيرة إكتشفناها مبدئيا فى إستحكامات ذلك الجبل ، وهى أنه يتمتع بجبهة عريضة جدا ، تشكل قوة نيران ساحقة لمن يتحرك فوق الطريق ـ ولكن مجنباته ضيقة جدا بحيث أن الهجوم من المجنبة سيواجه قوة نيران هى الأضعف فوق الجبل.

فإذا ركز العدو قوة نيران كبيرة على المجنبة فإن دبابة واحدة ستكون كافية لازالتها وتجربة جبل تورغار فى خوست كانت درساً رائعا فى هذا المضمار.

نقطة ضعف الإستحكامات الجبلية هى المجنبات وعلاج المجنبات يكمن غالبا فى الدبابات .

كان ذلك نصف الدرس ـ على الحافة الغربية لجبل تورغار ـ أما النصف الآخر من الدرس ـ فكان على الحافة الشرقية للجبل ـ والتى إقتحمها البدوى العجوز "محمد أصغر" الذى هاجم الحافة الشرقية عندما شاهد من الدلائل بأن ا معهم ولن يصيبهم شيئ ، فرمى نفسه فى خنادق العدو فوق الجنود ، الذين فروا مزعورين (**انظر كتاب المطار٩٠**) .

بقينا عدة ساعات فوق الجبل . كان موضعاً ممتازا لأغرض عديدة ، ولكن طبيعته "الحرشوفية " تجعل تموين من عليه عملية شاقة .

غادرنا الجبل وفى نيتنا العودة إليه بعد ذلك مرات كثيرة ، ولكن الذى حدث بعد ذلك أننا لم نرجع إليه أبدا .

دروس من باكتيا فى حروب العصابات:

المواقع الإستراتيجية ـ والقوة المركزية

ذكرنا فى عدة مواقع سابقة شواهد عديدة على صحة نظرية أن الجبال تساعد على الأعمال الدفاعية ـ فيصبح ذلك من طبيعة السكان وطبيعة الجيوش فى هذه المناطق.

ومر معنا فى خوست أسماء لجبال هامة كانت مرتكزات حكومية للدفاع عن المدينة والساحة الزراعية المحيطة بها . ثم أصبحت مسرحاً لمعارك طاحنة حتى يتمكن المجاهدون فى الحسم العسكرى فى تلك المنطقة .

من هذه الأسماء: (دوامندو إلى الغرب ـ كوكاراك إلى الشرق ـ تورغار فى الجنوب ـ ماشغور فى الشمال) .

وسوف نلاحظ أن الإستيلاء بالقوة على أيا من تلك المواضع لم يتم ـ ولم يكن له أن يتم ـ إلا بإستخدام المجاهدين لقوة مركزية جيدة التدريب وقيادة مؤهلة وتسليح ثقيل.

وهذا حدث فى خوست فى المرحلتين الثانية ثم الثالثة من مراحل تطور حرب المجاهدين التى تحدثنا عنها وهى مراحل التوازن ثم الهجوم الاستراتيجى، حسب التقسيم الكلاسيكى لهذه الحروب .

وفى خوست قامت قوات حقانى بتشكيلاتها المتعددة بدور القوة المركزية التى تمكنت من الإستيلاء على المواضع العسكرية الاستراتيجية بما أدى فى النهاية إلى فتح المدينة عسكريا.

ثم قامت بنفس الدور فى جرديز وتوقفت بسبب الشتاء وهى على أعتاب فتح المدينة التى ظهر أنه تأجل إلى الربيع التالى .

إن المرحلة الثالثة من تطور حروب المجاهدين وهى "مرحلة الهجوم الاستراتيجى" تحدث فقط عندما تنضج هذه القوة المركزية من نواحى القيادة والتدريب والتسليح ـ وبالطبع التمويل .

فى المرحلة التى نتحدث عنها الآن ، فى جرديز (نهاية عام٩١ وبداية ١٩٩٢) نرى القوى المعادية للإسلام كيف تسعى لعرقلة عمل المجاهدين وعلى الأخص القوة المركزية الأهم فى البلاد كلها وهى التى يقودها حقانى والمؤلفة من عدة مجموعات"غوند"، مثل:(سلمان الفارسى /أبوجندل/العمرى).

والإجراءات التى ظهرت بوضوح فى ذلك الوقت لعرقلة عمل تلك القوة تحديدا ، وباقى مجموعات المجاهدين الأقل تطورا ، هى :

١ ـ وقف الإمداد المالى، الرسمى منه والشعبى . "وكله تقريبا إمداد خارجى" .

٢ ـ الإستدراج إلى حروب داخلية ."مذهبية فى كونار وحزبية فى مناطق عديدة ، وعرقية فى شمال البلاد" .

٣ ـ الترويج لحل سياسى يبدو مدعوما دوليا وإقليميا بشدة ، ولكنه لا يلبى الحد الأدنى للمطالب التى بدأ لأجلها المجاهدون قتالهم. "وهى تطبيق المبادئ الإسلامية فى الحكم والمجتمع" .

٤ ـ تصفية القوى القتالية المركزية التى مازلت فى مراحل تكوينها الأولى.

"مثل تصفية كتيبة لشكرإيسار التابعة لحزب اسلامى حكمتيار " .

٥ ـ تشكيل وتمويل وتسليح عدد لا نهائى من المجموعات فى الداخل التى تعمل بلا ضابط ، فى أعمال تخل بالأمن أو نشاطات الغلول على أمل توسيع رقعة الصدامات المسلحة الداخلية لتكون هى الطابع الأغلب للقتال الداخلى فيتوقف المجاهدون عن الحسم العسكرى ."أى منعهم من دخول مرحلة الهجوم الاستراتيجى"

وقد نجحوا كثيرا فى ذلك ، ولم يدخل تلك المرحلة إلا حقانى ورجاله فى باكتيا ـ رغم حيازة كثيرون فى القادة داخل أفغانستان على كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة والرجال . والخطأ الأساسى كان عدم توافر القيادة المؤهلة دينيا وثقافيا وسياسيا .

فإنحرف القادة وإنحرفت معهم المجموعات وضاعت الإمكانات التى كانت تحت أيديهم . وبمعنى أوضح باعوا أنفسهم وإمكاناتهم لمن يدفع أكثر .

اسـ ـ ـ ـتراتيجى :

تطلق هذه الكلمة عرفاً على كل ما هو حيوى أو جوهرى أو أساسى أو عميق التأثير على ما سواه ... الخ.

وإذا كانت الإستراتيجيات مختلفة ، فقد لا يكون الشيئ نفسه إستراتيجيا لدى كلا الطرفين.

يكون هذا واضحا أكثر مايمكن فى مرحلة العصابات الأولى ثم يقل نسبيا فى مرحلتها الثانية ثم يتلاشى هذا الفارق تقريبا فى مرحلتها الثالثة .

فى مرحلة حرب العصابات الأولى يكون المجاهدون فى حالة ***دفاع استراتيجى.***

بينما تكون القوات المعادية لهم "الحكومية/ المحتلة " فى حالة ***هجوم استراتيجى*** .

والحكومة تحافظ بقواتها المسلحة على أهداف استراتيجية كثيرة جدا أهمها العاصمة والمدن والطرق الرئيسية ثم المشاريع الإقتصادية الكبرى وإمدادات الطاقة وخطوط المواصلات الرئيسية ..الخ . وهى قائمة طويلة جدا تستهلك القدر الأكبر من طاقاتها الدفاعية والأمنية .

فى حين أن قوات المجاهدين ليس لديها موضع ثابت يوصف بأنه موقع "استراتيجى" تدافع عنه،بل هدفها الاستراتيجى هو الإنتشار على أوسع نطاق ، وشن أكثر الهجمات الممكنة لإستنزاف طاقة الخصم، والغاية الأساسية هو دفع القوات الكومية بالتدريج خارج المناطق الجبلية ثم الريفية وصولا فى نهاية الحرب إلى المدن .

يستولى المجاهدون على مناطق ولكن ينسحبون منها عند الضرورة، فى إطار هذا الهدف، أى إستنزاف العدو قدر الامكان .

ولكن خارج إطار مفهوم "الدفاع إلى آخر رجل وآخر طلقة " فهذا مفهوم غير وارد إلا فى حالات خاصة جدا وإستثنائية تقررها القيادة العليا ـ ولكن ليست على الإطلاق مبدأ عام.

فى المرحلة الثالثة لحرب العصابات قد يظهر، وبشكل إستثنائى، مفهوم القتال الدفاعى عن موقع معين طبقا لشعار : لآخر طلقة وآخر رجل .

فعلى سبيل المثال مر بنا إستيلا المجاهدين فى خوست على خط الدفاع الأول "الجبلى" للعدو . ثم عبورهم النهر فى هجوم رئيسى شامل صوب المطار القديم ثم قلاع "تخته بك" ثم البازار ثم فى النهاية هضبة متون التى كانت مقر القيادة .

أثناء هذا الهجوم الرئيسى الشامل أصبح خط الدفاع الجبلى الذى إستولى عليه المجاهدون هو مؤخرة لقواتهم المهاجمة .

فلو إفترضنا أن العدو تمالك نفسه ودفع بعض قواته لإستعادة ذلك الخط الجبلى . فإن نجاحه سوف يعنى تطويق قوات المجاهدين التى عبرت النهر وإيقاعهم فى مصيدة كبيرة داخل الوادى وهذا يعنى إمكانية إبادتهم .

وهنا يصبح الدفاع عن ذلك الخط الجبلى "لآخر طلقة وآخر رجل" له ما يبرره تماما، وغير ذلك يصبح تقصيرا يصل إلى درجة الخيانة .

حيث أن المهاجمون هم زهرة قوات المجاهدين وثمرة مجهود وخبرات إستمرت ثلاث عشر عاما من القتال والدماء. (موقف مشابه فى غزوة أحد. فأوامر القيادة كانت الدفاع عن جبل الرماة لآخر سهم وآخر رجل. لأن سقوطة فى يد المشركين يعنى هزيمة مؤكدة لجيش المسلمين، وربما إبادته).

 وقد مر علينا فى معركة جاور١٩٨٦ إن الدفاع عنها تحت مبدأ "آخر رجل وآخر طلقة " كان قرارا خاطئا تورط فيه حقانى تحت ضغوط غير عادية منها إصابته الشديدة وضغوط الأحزاب عليه خاصة مولوى يونس خالص وهو شخصية لها قيمتها الأدبية لدى الجميع ومنهم حقانى .

ولكن القرار كان خاطئا كما فصلنا فى ذلك فى مواضع سابقة .

<u>ونعود مرة أخرى إلى مصطلح "استراتيجى"</u>

فنقول أن ماهو استراتيجى الآن قد يصبح بعد فترة غير استراتيجى ـ والعكس صحيح أيضا ـ إن ما هو غير استراتيجى الآن قد يصبح استراتيجى فى وقت آخر .

يحدث ذلك بتأثيرات متعددة أبرزها التسليح .

نعود إلى خوست مرة آخرى لنضرب مثلا .

فى البداية كانت القوات الحكومية تكتفى بتأمين المضائق او المداخل الرئيسية التى تصب فى وادى خوست فى الغرب مضيق دوامندو وفى الشرق جبل كوكاراك .

وفى الشمال والجنوب ليست هناك قوات ذات شأن حيث لا طرق رئيسية تأتى من هناك ، سوى حاميات صغيرة على مدخل الشعاب التى تأتى من الجبال والتى تستخدم عادة فى التهريب أو مرور قوافل الرعاة .

كان طريق خوست /جرديز "طريق زدران" مقطوعاً منذ وقت مبكر ، لذا كانت أهمية المطار كبيرة جدا بالنسبة للمدينة لكن الدفاعات عنه كانت قريبة منه بشكل يكفى لصد أى هجمات بالأسلحة الخفيفة التى يستخدمها المجاهدون .

ولكن عندما أنتشر الهاون عيار ٨٢مليمتر ومداه "٣كم" فى أيدى المجاهدين ، وصعدوا فى عام ١٩٨٣ فوق جبل تورغار وبدأوا فى قصف حامية المطار "لم يكن المطار نفسه فى مرمى هذا للسلاح من هذه المسافة " عندها أصبح تورغار جبلا استراتيجيا حتى نهاية الحرب ، وامتدت الحصون الجبلية على جناحيه حتى شملت الجنوب الجبلى كله ثم الشرق من الوادى ، ثم جبال ماشغور فى الشمال . لأن صواريخ الكاتيوشا عيار "١٠٧مم" ظهرت أيضا فى أيدى المجاهدين منذ عام ١٩٨٤. فكان لابد من تأمين المدينة بأحزمة دفاعية فوق الجبال لأبعاد خطر الصواريخ عنها .

إذن تسليح المجاهدين بأسلحة ثقيلة ذات مدى أبعد ، ونشاطهم القتالى الجاد أكسب جبال بعينها قيمة استراتيجية لدى الطرفين المهاجم والمدافع ، وهى قيمة لم تكن موجودة قبل ذلك .

ثم أصبحت هذه الجبال لا توفر العمق الكافى لإبعاد نيران المجاهدين ـ خاصة الصواريخ التى بدأ يتزايد مداها ـ فبعد كاتيوشا ١٠٧مم عام ١٩٨٤ومداها ٩كم تطور التسليح إلى صواريخ صقر٢٠المصرية ثم صقر٣٠ومدها ٣٠ـ٢٠ كيلومتر. كان مستحيلا توفير هذا العمق بواسطة الإحتلال الأرضى ، فكان التصدى لنيران المجاهدين يتم بالمدفعية والطيران ، وعندها كانت تلك الجبال "الاستراتيجية" هامة جدا لرصد النيران المعادية وتوجيه المدفعية والطيران عليها . لذا كانت معارك المجاهدين من أجل السيطرة على هذه الجبال أشبه بمباراة فى فقأ العيون .

حتى أن حقانى قال لى بعد إستيلائه على جبل تورغار:"لقد صار العدو أعمى فى هذه المنطقة ونحن نتحرك فيها الآن بحرية " .

وهنا نقول أيضا أن العدو لا يستطيع أن يتمادى فى إحتلال الجبال المرتفعة فى عمق المناطق الجبلية ، مهما كانت أهمية تلك الجبال فى عمليات الترصد أو التحكم فى ممرات إمداد المجاهدين . ذلك أن المحافظة على الجبل تتوقف إلى حد كبير على تأمين طريق برى لإمداده. فكلما طالت وتعرجت تلك الطرق كلما تعرضت للهجمات وزادت خسائر العدو عليها ، بحيث تصبح هى ـ أى الطرق ـ هى موضوع الحرب وليست الجبال نفسها .

لذلك لم يتابع العدو تعمقه فى الجبال حتى يزيد عمق دفاعاته بما يتناسب مع الصواريخ الجديدة فى أيدى المجاهدين .

وهناك إستثناءات قليلة جدا فى محافظات شرق البلاد ـ مثل كونار مثلا ـ التى إحتفظ فيها العدو بقمم جبلية يمونها بطائرات الهيلوكبتر. ولكن عندما توافرت صواريخ الكتف المضاده للطيران تخلى العدو عن تلك المواقع .

بوجه عام يحتفظ العدو بالجبال القريبة من الوديان الزراعية التى يسيطر عليها لكونها سهلة الإمداد ومفيدة فى تأمين الوديان وما فيها من مدن وقرى.

لأجل هذا عندما إستولى حقانى على جبل تورغار شرع فورا فى شق طريق صاعد إلى قمته من أجل إمداد القوات بسرعة وكفاءة وقت العمليات .

ومن العلامات الهامة على تطور العمل العسكرى للمجاهدين هو قدرتهم على الإستيلاء على الجبال "الاستراتيجية " والإستقرار فوقها والدفاع عنها .

وكلتاهما عمليتان صعبتان ـ والإحتفاظ بالجبل أصعب من الاستيلاء عليه. (بالضبط مثل الحكم فإن الحفاظ عليه إصعب من الوصول إليه) .

وحدث أن إستولى المجاهدون على مواقع جبلية هامة أثناء مرحلة عملهم الأولى "الدفاع الاستراتيجى". حدث ذلك بتأثير عنصر المفاجأة وبإستخدام الأسلحة الخفيفة. فحصلوا على غنائم من مواقع العدو الجبلية، وكان ذلك نجاحاً طبقا لشروط قتالهم. ولكن الخطأ حدث عندما إحتفظوا بالموقع ودافعوا عنها فى وجه الهجمات المعاكسة للعدو، طبعا بأسلحته الثقيلة وبدعم من الطيران. يحدث ذلك فى أفغانستان بدافع الشجاعة القبلية التقليدية والحماس الدينى الصادق. ولكن إنتهى الأمر ليس بفقدان الجبل فقط بل بإستشهاد العديد من المجاهدين الشجعان .

وتعتبر التجربة التى قصها علينا "حاجى إبراهيم " مع جبل(خواجه قمبر غر) فى جرديز مثالا نموذجيا على ذلك.وقد شارك إبراهيم شخصيا فى التجربة فى بداية الجهاد.

* ولا ننسى تجربة أسامة بن لادن وجماعة العرب فى جاجى عام ١٩٨٧ فى الجبل الذى أسموه المأسدة. وكيف تحول إلى موضوع حرب ضروس لمجرد أن العرب تمركزوا فوقه وركزوا هاون وزيكوياك مضاد للطائرات(انظر كتاب معارك البوابة الصخرية).

وفى النهاية فشل العرب فى الإحتفاظ بالجبل، وخسروا عددا من الشهداء، ولكن كانت لهم مكاسب أخرى معنوية.

<u>السبت ١٤ ديسمبر ١٩٩١</u>

إستطلعنا اليوم مدينة "شرخ" وقد أتضح فى موضع سابق كيف أن المنطقة يمكنها أن توفر لنا معظم إحتياجاتنا الغذائية وبعض مهمات المعركة القادمة،وتختصر علينا

مسافات كبيرة من طرق الإمداد . كانت أسواقها جيدة بما يكفى إحتياجاتنا . ولكن المزعج كما ذكرنا أيضا وجود نشاط تجسسى للعدو ـ شبه واضح ـ وكانت إشارة على أننا فى منطقة رمادية ـ أى يتعايش فيها الطرفان وفق ميثاق غير مكتوب وغير معلن . وبلا ضربات فوق أو تحت الحزام حسب معلوماتنا حتى ذلك الوقت . جميع البضائع فى الأسواق مصدرها كابول ، التى تعانى هى نفسها من أزمة غذائية . كان ذلك وسيلة مفيدة للحكومة لإسترضاء سكان الأطراف وكسب حيادهم فى الحرب .

لم يكن من أثر واضح لوجود سلطة فى المدينة ، والسلاح منتشر فى الأيدى ولكن هناك سلام إجتماعى ظاهر ـ ولكنه بالتأكيد هش ـ سلام قائم على ذلك التفاهم الخفى الغامض ، وعلى توازن قوى يشعر به الجميع ويتصرفون بمقتضاه . فإذا كانت الأسلحة الخفيفة التى فى أيدى الناس فى الشوارع محسوبة للمجاهدين ، فإن الطائرات الحكومية يمكنها فى دقائق تحويل هذا الإزدهار الواضح إلى مجموعة مقابر جماعية.

واصلنا المسير بالسيارة حتى خرجنا من شرخ . ثم دخلنا منطقة زراعية،حيث ترجلنا وواصلنا السير بين المزارع حتى وصلنا إلى الصحراء التى تفصلنا عن هدفنا ـ الطريق الرئيسى بين كابول وجرديزـ فى مقطعه الصحراوى قبل الجبال الصاعدة إلى طيرة. الوصول الى الطريق لا يعوقه شيئ إلا ما أخبرنا عنه مجاهدون فى المنطقة أنه ألغام كثيفة تعزل الطريق عن الصحراء لمنع عمليات التسلل والتخريب والهجمات على القوافل العسكرية .

على يسارنا مدينة " بولى علم " وهى منطقة إدارية هامه . فى مشارفها من جهتنا تلال مزدحمة بالتحصينات ، وتنطق بالعنفوان ـ يمكنها بلا شك توفير غطاء نيران على معظم الصحراء التى نتجول فيها الآن . والتى تنبسط مثل راحة الكف تحت تلك التلال .كان إنطباع الوهلة الأولى أن هذه المنطقة لا تصلح لنا ـ كان ذلك الإستنتاج مفيدا لأنه ركز بحثنا على مناطق بعينها . وهى تحديدا المنطقة الجبلية على جانبى مضيق طيرة.كانت بحق منطقة مثالية للعمل ، ويمكننا منها تنفيذ مهمتنا بنجاح .

ولكن الشق الآخر من الإستنتاج يقول : أنه مادام الأمر بالنسبة لنا ممكناً فإنه ممكن بالتأكيد بالنسبة لمجموعات المنطقة .

ومادامت تلك المجموعات لم تفعل ذلك ، فإن إحتمال وجود متواطئين بين صفوفهم هو إحتمال كبير جدا . وهذا بلاشك يجعلنا فى قلق لإحتمال تعرضنا لطعنة ما فى الظهر أثناء العمل ـ وحتى إثناء الإعداد للعمل .

فى ضيافة ياقوت خان

غربت الشمس ، والحالة الأمنية للطريق لا تسمح لنا بالعودة ليلا إلى (أودكاى) وأيضا فكرة قضاء الليل فى شرخ لم تكن مريحة فقد كنا قلقين من المكان .

خرج علينا حاجى إبراهيم بفكرة غريبة حين قال : فلنقض الليل عند ياقوت خان .

ولا أنسى الضيافة الكريمة جدا ـ أو فلنقل الأسطورية ـ فى مضافة ذلك الرجل.

المكان كان عبارة عن بيت ضخم له بوابة خشبية مهيبة تصلح كبوابة لمدينة وليس لبيت سكنى . عبرنا بسيارتنا البوابة كى ندخل إلى ساحة واسعة جدا يمكنها إستيعاب خمسين شاحنة بسهولة . شقيق صاحب البيت إستقبلنا بالترحاب كأننا أصدقاء قدماء وقادنا إلى غرفة الضيافة ـ وهى أيضا غرفة المبيت . الغرفة واسعة جدا مفروشة بالسجاجيد الحمراء ، ونظيفة للغاية كما لم أشهد مثله قبلا فى أفغانستان .

على جانبى الغرفة فرشت حشيات للنوم مغطاة بمفارش نظيفة ووسائد لها أغطية نظيفة، صدمنى ما أراه، هل هو حقا فى أفغانستان؟؟ .

مرافقنا يكلمنا بصوت خفيض لأن بعض الضيوف نائمون ، وهم أصحاب شاحنات أربعة مصفوفة فى الساحة داخل فناء البيت .

كان يعتذر بأن أخيه الأكبر "ياقوت خان" غير موجود فى البيت لكن أبناؤه سيحضرون حالا للترحيب بنا .

غادرنا معتذرا بأنه سيتأخر عنا لدقائق حتى يحضر لنا العشاء ، فقد حضرنا متأخرين عن موعد الطعام لكن الكثير منه موجود .

بعد قليل جاؤا لنا بطعام عبارة عن دجاج مطبوخ بالطماطم ، وفاكهة هى عنب كبير الحجم تشتهر به المنطقة .

ثم جاء أصحاب البيت يعتذرون عن عدم مناسبة الطعام وأنهم لم يكونوا يعلمون بقدومنا .. إلى آخر تلك المجاملات اللطيفة التى تناسب الكرم الأفغانى الذى نصادفه فى كل مكان . وفى إعتقادى أنه لا يمكن لأى شعب آخر ينافس الأفغان فى صفتين هما الكرم والشجاعة، وكأن هذا الشعب هو العرب القدماء!!.

الأحد ١٥ ديسمبر ١٩٩١

إستيقظ الجميع لصلاة الفجر . وأخذوا فى طى فرش النوم . فوجئ أصحاب الشاحنات بوجودنا فتحلقوا حولنا يتساءلون ، تصدر حاجى إبراهيم للحديث معهم وتشاغلنا نحن بتجهيز السيارة للرحيل فلم يكن مناسبا أن يشيع وجود عرب فى المنطقة ، فهذا يعقد الأمور ، وقد تخمن الحكومة سبب المجئ.

كنا عند الطوارئ إذا إنكشف أمرنا نقول أننا نعمل فى هيئة إغاثية لتقديم الخدمات الطبية والتعليمية. وكان وجود العرب فى هذه النشاطات مألوفا إلى حد ما داخل أفغانستان .

تناول الجميع طعام الأفطار وهو عبارة عن شاى بالحليب مع فطائر . ودعنا أصحاب البيت حتى خرجنا من البوابة المهيبة . وأنا مندهش من كل هذا الذى شاهدناه .

كانت تلك الضيافة الكريمة الوافرة متاحة لكل من يطرق الباب المهيب لبيت "ياقوت خان". أشعر حتى الآن بالإمتنان لذلك الرجل الكريم الذى إستضافنا ولم نره .

وكنت أسأل عنه فى رحلة العودة حاجى إبراهيم , كان كلامه عنه طيبا ولكنه أوقع فى نفسى إضطرابا حين قال بأن شقيق "ياقوت خان" يعمل فى كابول قائدا لسلاح المدرعات!!. كان الخبر مزعجا ، فإن كان صحيحا فهو يلقى ظلالا سوداء على صورة جميلة ومشرقة .

المغارة المعلقـ ـ ـة

سمعنا عن وجود مغارة طبيعية معلقة فى أحدى جبال منطقة "أودكاى" علينا أن نزورها اليوم ، حيث لم تتح لنا الفرصة عند زيارتنا السابقة إلى هناك.

المغارة واسعة جدا ويستخدمها المجاهدون للمبيت وكمخزن للمهمات . صنعوا لها طريقا صاعدا إلى بابها المتسع وفى الداخل إلى اليسار صنعوا غرفة صغيرة من أخشاب صناديق الذخيرة ، حتى يجلس فيها الحراس. وكالعادة وضعوا حبلا على باب المغارة للإشارة إلى أنه يلزم الإستئذان من أصحاب المكان. المغارة كما رأيناها رائعة ومحكمة ، فى وسطها تشكيلات كلسية كبيرة وهناك إمتداد كبير إلى اليمين. الرؤية كانت صعبة جدا فى ذلك الوقت من الضحى . فلا هو بالمظلم ولا هو بالمضئ ، والكشافات الصغيرة التى نحملها لم تفد بشئ .

كان واضحا أن المغارة مكان مثالى كمخزن لذخائر الخط الأول عند العمليات وتصلح لإقامة حتى مستشفى ميدانى ، وللمبيت . من حسن الحظ أنها تابعة لصديقنا خواناى وجماعته . طلبت ثلاثة من الشباب تحرى أمر أمتداد المغارة من جهة اليمين فإن وجدوا ثغرة ولو صغيرة فيمكننا حفر مخرج آخر للمغارة . وأن كان لها فتحة ولو صغيرة من أعلى لنجعلها فتحة تهوية . ذهبت مجموعة الإستطلاع وبقيت عند بوابة المغارة أتفحص المدخل والمنطقة المحيطة ولشرب الشاى مع الحراس ولسماع التاريخ القتالى للمنطقة ودور "مغارتنا" فيه فذلك هام جدا ـ "التاريخ القتالى" ـ للمكان كما للمجموعات والأفراد . فالماضى والحاضر والمستقبل ثلاثة حلقات لا تنفصل عن بعضها أبدا .

كانت بوابة المغارة متسعة وتكفى لدخول الشاحنات ، وساحتها الداخلية تسع عدة شاحنات كبيرة . المشكلة أن بوابة المغارة متسعة ومرتفعة عن سطح الأرض بما يجعلها عرضة لضربة صاروخية من الجو . وفى مقدور الصاروخ أن يدخل حتى الساحة الداخلية للمغارة . كان لابد إذن من تضيق فتحة الباب بالآكياس الرملية .

على كل حال أصبحت المغارة منذ ذلك الوقت ضمن قائمة تجهيزاتنا للعمل القادم . شبابنا عادوا من جولتهم الإستكشافية داخل المغارة كى يخبروننا أن هناك إمكانية لحفر بوابة على الطرف الآخر .وكان الخبر ساراً.

تجولنا بالمنطقة جولة واسعة بالسيارات تارة وعلى الأقدام تارة أخرى وفى المساء رجعنا للمبيت فى قرية "بانج باى " فى منزل صديقنا خواناى .

ممر دارانـج وجبـل شيخان

الأثنين ١٦ ديسمبر ١٩٩١

ذهبنا فى الضحى إلى مسجد القرية لتقديم العزاء لعائلة أحد الشهداء . واستغرق ذلك عدة ساعات شملت إلى جانب العزاء الحديث عن الأوضاع الراهنة، وعن شهداء القرية ، والشهداء الغرباء من المجاهدين المدفونين قريبا من القرية .

علينا التوجه بسرعة إلى "أودكاى" لإستكمال أبحاثنا السريعة فى المنطقة . اليوم نذهب إلى الساحة الواقعة خلف مواقع الجيش فى طيرة مع فاصل مجموعة تباب متوسطة الإرتفاع .

الساحة مكشوفة تماما بين الجبلين المفتاحين (خواجه قمبر) و(سبين كمر) . ربضنا فى شقوق عميقة تظللها الأشجار وأخذنا نتفحص الساحة بدقة ، ويتولى خواناى وإبراهيم تقديم تفصيلات وتواريخ .

 يمر من خلف ساحتنا تلك ممر جبلى يدعى "ممر دارانج" يفتح من طرفه الآخر على وادى زورمت قريب إلى حد ما من المواقع الحكومية .

على المدخل هناك يوجد جبل "شيخان" وهو فى قبضة جماعة مولوى نصر ا منصور. أسفل الجبل قرية تدعى قرية شيخان وهى تحت سيطرة الجيش الحكومى. تأمين هذا الممر هام جدا لنا، لأن أى تسلل حكومى منه سيجعلهم وسط صفوفنا تماما أى فى ظهر مقاتلينا وفى مواجهة مركز إمدادنا فى المغارة المعلقة .

كان لابد من دعم موقع شيخان ، وتقوية دفاعات جماعة منصور هناك .
كنت سعيدا لفكرة أن يجمعنى عمل مشترك مع مولوى منصور ، الرجل الذى أقدره وأحترمه كثيرا .
كنت آمل دوما فى ظهور تعاون وثيق بين منصور وحقانى فى العمل العسكرى .
ولكن علاقة الإحترام الظاهرى بين الرجلين ، كانت تخفى وراءها حالة جفاء وتباعد، فلا يكاد يظهر أى عمل مشترك بينهما فى أى مجال .
كان حقانى يلوم منصور على إنغماسه فى العمل السياسى ، وإهمال العمل الميدانى فى"زورمت" فكانت النتيجة أن تغللغات فيها الحكومة وكثر فيها المنافقون حسب قوله.
كان هناك جفاء تقليدى يتحول أحيانا إلى إشتباكات محدودة بين قبيلة زدران"حقانى" وقبائل زورمت"منصور". والموضوع هو خط الغابات الجبلية الفاصل بينهما . فالقبيلة الأولى لا تعترف للثانية بأى حق فى الغابات ولا فى الإنتفاع بالصيد فيها أو بأخشابها وتفرض ذلك بقوة السلاح .
والثانية ترى أن لها جزءا فى تلك الغابات رغم أن أراضيها كلها فى سهول زورمت الخصبة.وكما قدمت تلك القبائل علماء ومجاهدين عظام ، قدمت أيضا عدد من أعمدة النظام الشيوعى فى افغانستان .

الثلاثـاء ١٧ ديسمبر ١٩٩١

غادرنا قرية "بانج باى" عائدين إلى "زورمت" حيث جماعات حقانى يعملون فى المنطقة مثل خلية النحل. طفنا بالعديد من مراكزهم، وحاولنا الإتصال بقيادات من جماعة منصور فلم نوفق. كانوا عبارة عن مجموعات من المزارعين المسالمين ليس بينهم " ديناموا" حرب كما هو حال الكثيرين من صقور حقانى المفترسة .
الاتصال بمولوى منصور وتنسيق العمل معه يظهر أنه من أساسيات العمل القادم . وهذا ما أنوى عمله فى بشاور فى أقرب فرصة .

الأربعاء ١٨ ديسمبر ١٩٩١

غادرنا زورمات متجهين صوب خوست، فعبرنا جبل ناراى للمرة الثانية. أعجب لحالة الخمول التى أصابت طيران العدو، كنت أتصور أن تقوم قيامته من أجل تدمير هذا الطريق ، الذى سيتسبب فى إنقلاب كبير فى الموقف العسكرى وسيفتح باب الجبهة الغربية والشمالية بينما الحملة الأولى تمت من الجنوب فقط وكادت أن تطيح بالمدينة.هذا الطريق ببساطة قلص فرص البقاء أمام قوات العدو فى جرديز.

هل يستسلم العدو لمصيدة ؟؟ . كنت أتساءل فى دهشة ولكن بعد أيام قليلة سيبدأ موسم تساقط الثلوج ، وسيغلق طريق ناراى والطريق إلى (خروار ـ بانج باى ـ أودكاى) وطرق أخرى عديدة. إنها شهادة بقاء لعدة أشهر ، وحتى بداية الربيع ، ستتمتع بها القوات الحكومية فى جرديز . وربما يكون شتاؤهم الأخير فى المدينة .

صليب على مدينة خوسـت !!

 وصلنا خوست الآمنة المطمئنة. تحاول المدينة لملمة جراحها والنهوض مرة أخرى . لم تتعرض المدينة لإنتقام الطيران وهذا شيئ جيد فهى مدمرة بالفعل ولا تحتاج إلى إعادة تدمير .

لا قتال داخلى ، لكن هناك توتر بسبب رغبة البعض فى الإستحواز على كل ممتلكات الدولة كغنائم ـ مدارس مقرات أراضى زراعية عقارات فى البازار ـ حتى أرض المطار القديم بدأ بعض البدو فى حراثتها (!!) لزرعها بالقمح .

وظهرت إدارة جديدة للمدينة تحاول الحفاظ على الأمن وعلى الممتلكات العامة.

 من الجدير بالذكر أنه بعد أن عبرنا مضيق دوامندو وقبل أن يبدأ الطريق بالإنحدار نحو وادى خوست شاهدت صليبا أحمر ضخم اللون كأنه مرفوع على سطح المدينة. لم أصدق عيناى فطلبت من حاجى إبراهيم إيقاف السيارة. أشرت إلى الأسفل على إحدى القلاع الطينية الضخمة هناك صليب مهول الحجم أحمر اللون.

ماهذا ؟؟.. صاح الجميع فى نفس واحد وبدلا من التوجه صوب المدينة دخلنا فى الطرق الجانبية على يمين الطريق لنتحرى الأمر .

حاول الشباب إزالة أى شيئ من هذا الصليب العملاق ولكن بلا جدوى . ذهب حاجى إبراهيم يطرق باب القلعة ليسأل أصحابها عن الأمر . فقالوا أنهم أجروا البيت لهيئة إغاثة دولية ، فخزنوا به بعض المهمات وسيأتون قريبا إلى المنطقة .

هذه المنطقة كانت تسكنها الميليشيات الحكومية ، وقاتلت ضد المجاهدين حتى الرمق الأخير . فكيف علمت تلك الهيئات بمؤهلات هؤلاء وجاءت تستأجر بيوتهم بأسعار خيالية من العملات الصعبة وترفع فوقها صلبان أضخم من تلك المرفوعة فوق الفاتيكان ، ثم تقدم خدماتها تحديدا ـ وتركيزا ـ فى مناطق الميليشيات الشيوعية ؟ .

لم يكن الأمر بريئا ـ وزاد من الأزمة أن شهداء خوست من أفغان وعرب لم تجف دماؤهم بعد . فشعرنا بتوتر شديد وإهانة كمن تلقى صفعة شديدة على قفاه .

فظهور الصليب والمبشرين كان دوما مقدمة تسبق وصول الأساطيل وجيوش الغزو الأوروبى.

حاولنا شرح شيئ "لميلشيات" المنطقة ، ولكنهم دافعوا عن سلامة موقفهم وعن المؤسسات. كانت قوة الدولار هى التى تتكلم، وبدأ مسلحون يخرجون تباعا من البيوت . فخشيت أن يتطور الأمر فطالبت الشباب بالإنصراف حالا من المنطقة .

تابعنا القضية مع حقانى وأرسلان وآخرون كلما أتيحت لنا الفرصة. حاول الناس تخفيف لون الصليب الضخم ، ولكن الصلبان بدأت تتكاثر مثل الفطر فى قرى أفغانستان.

كان التنصير قد حقق نجاحات غير متوقعة فى وسط المهاجرين الأفغان فى باكستان وفى الدول الغربية، ولم يكن هناك مسيحى واحد فى أفغانستان قبل بدء " الجهاد" !!.

وبدلا من الصلبان الحمراء الضخمة على قلاع القرى الأفغانية ظهرت فى عام (٢٠٠١) الصلبان البيضاء الضخمة التى ترسمها فى السماء القاذفات الأمريكية قبل أن تمحو قرى كاملة من على خريطة الوجود ويكسوا الدم الأحمر أرض أفغانستان.

فدخلت الصلبان مرحلة جديدة من الحرب الصلبية التى أعلنها "جورج بوش" وحلف الناتو على أفغانستان.

□ الميليشيات الشيوعية ، أخذت ترفع الصلبان الحمراء فى خوست بعد أن كانت ترفع شعار المنجل والمطرقة الأحمر.

وعندما أحتل "الصليبيون الجدد" أفغانستان بقوات أمريكا والناتو و"الحلفاء"، إنتقل رجال الميليشيات الشيوعية إلى العهدة الأمريكية المباشرة وعملوا فى "الجيش الأفغانى الجديد ". وحتى أبشع رموزهم "عبد الرشيد دوستم" عمل رئيسا للأركان فى ذلك الجيش !! .

****

أفغانستان ١٩٩٢:

مسيحية جديدة .. وإسلام جديد

قبل أسبوع من نهاية العام السابق ١٩٩١، تم الإعلان رسميا عن حل الإمبراطورية السوفيتية . وسقط الحكام الماركسيون فى موسكو ، ولكنهم ظلوا يحكمون فى كابول . ولكن لا أحد يثق فى إمكان إستمرارهم ـ حتى ولا أركان النظام أنفسهم .

"نجيب ا " رئيس الدولة القوى، أخذ يقدم المبادرات "لتسوية النزاع!!" مع المجاهدين وجميعها تبؤ بالفشل وتضعف تماسك النظام أكثر. ولكن الخطة الأمريكية كانت جاهزة، على أساس أن أفغانستان لم تعد شيوعية ولن تكون إسلامية بل ستصبح فقط أمريكية!! . وعلى الجميع أن يلتزموا بما حددته لهم واشنطن من أدوار فى المرحلة القادمة ، أطراف الداخل من شيوعيين ومجاهدين ، وسارقين ناهبين ، وملكيين ، ..

وكذلك على دول الجوار أن تلتزم بدورها فى السيناريو المفروض وأن تبحث لنفسها عن دور فى داخله وليس خارجه .

الإضطراب الشديد ساد الساحة الأفغانية كلها ـ حكومية وجهادية ـ وبإستثناء العمل العسكرى الذى يقوده حقانى ، فقد كان الجميع فى حالة إضطراب منشأها البحث عن أفضل موقع فى الترتيب الجديد .

□ دول الجوار الأفغانى شعرت بالفراغ القادم فى أفغانستان ، فأرسلت رياحها وبيادقها كى تملأ أكبر حيز ممكن هناك ، وبما لا يتعارض مع السيناريو الأمريكى الذى لا يفكر أحد فى الجوار أوغير الجوار، مجرد تفكير، فى أن يعارضه.

الدولة الأفغانية سقطت ، ولن تستطيع النهوض مرة أخرى ، وإلى أجل غير محدد ، ويفضل الجميع فى الجوار وغير الجوار أن يستمر ذلك إلى الأبد .

فهذه دولة قامت فى طورها الحديث لكى تكون منطقة عازلة بين إمبراطوريتين متصارعتين: الروس فى الشمال والبريطانين فى الجنوب .

أخل السوفييت "ورثة الروس" بقوانين اللعبة فى أفغانستان وإبتلعوا البلد بإنقلاب شيوعى ثم غزو عسكرى . فاستنجد الأمريكان "ورثة بريطانيا العظمى" بالورقة الإسلامية"ـ وتحديدا بفريضة الجهاد لدى المسلمين ـ وحطوا بها عظام السوفييت وأسقطوا إمبراطوريتهم بحرب "جهادية بالوكالة!! " فى أفغانستان .

فسقط النظام السوفييتى فى أفغانستان والعالم . وأصبح فى العالم إمبراطورية (واحدة لا شريك لها) ـ هى الإمبراطورية الأمريكية .

(تحتل / أو تسيطر / أو تهيمن) على العالم أجمع ـ وهو عالم لامكان فيه للإسلام ـ إلا ذلك الإسلام المطابق للمواصفات الأمريكية فقط .

وطبيعى أن يكون الإسلام المجاهد على رأس المطلوبين دوليا ـ ليس للإبعاد عن المسرح السياسى والثقافى الدولى .. بل وبكل بساطة مطلوب للإستئصال .

أمريكا تعشق كل جديد فقد نشأت على الأراضى "الجديدة"، التى أصبحت جديدة بعد إستئصال ٢٠ مليون من سكانها الأصليين ـ ويحكمها الآن من يسمون "المحافظون الجدد" ـ أى صليبيو العصور الوسطى فى ثوبهم التكنولوجى والثقافى الجديد ـ

وهى تقدم لنا "إسلاما جديداً : ديموقراطيا ، حداثيا ، عولميا ، لايجرح المشاعر ، لايعكر الصفو والسلام ، لايستنكر كفرا بواحاً ولا يقاوم محتلين لبلاد المسلمين أو ناهبين لثرواتهم ... الخ .

هم أذكى بكثير من السوفييت الذين لغوا الأديان ، فكانت النتيجة أن استنهضوا المسلمين وزادوهم عنادا وإصرارا على المقاومة .

أما الأمريكان " **فينتجون**" أديانا جديدة كى "**تستهلكها** " الشعوب المتخلفة والمتدينة ، "**وتدفع ثمنها** " كأى سلعة أخرى .. والثمن هنا هو الثروات والأوطان .. وكل ما يمكن أن يباع ويشترى على هذا الكوكب.

وحتى المسيحية أعادت أمريكا تجديدها ... فهى فى المفهوم الجديد تعنى كل المحتوى الحضارى الأمريكى بإنجازاته التكنولوجية ، ونظامه الإقتصادى الهمجى ، ومنظومته غيرالأخلاقيه التى يشمئز منها حتى الخنازير فى حظائرهم .

كل هذا أصبح يشمله مصطلح واحد هو "العولمة" التى هى المسيحية الجديدة التى "أنتجتها" أمريكا، وعلى مسيحيو العالم أن يبلعوها كما هى. وعلى الجميع أن يدخلوها صاغرين ، عاجلا أم آجلا ، وحتى لو ظلوا يحملون صفات المسلمين أو البوذيين أو الهندوس أو ...

ما دام كل شيئ وكل عقيدة سيجرى إعادة تصنيعها وتعليبها ثم عولمتها للإستهلاك الآدمى لكل بنى آدم .. وكل حسب هواه فالتنوع السلعى مطلوب حتى يظل الإستهلاك رائجا ، ولكن هدف "جميع الأديان الجديدة " هو "**واحد**" فى النهاية (**فلنتأمل المغزى التوحيدى هنا**) وهو إمبراطورية واحدة وإن تعددت الدول ـ إمبراطور واحد وان تعدد الحكام ـ نظام واحد للجميع " له وجوه متعدده " دين واحد للجميع "له صيغ متعددة " ولا يسألن أحد عن الإسم الحقيقى للإمبراطور الحقيقى فى هذا النظام لأنه لا إجابة حقيقية إلا فى إطار "الإسلام القديم غير المعولم" أى:الأصولى، الإرهابى، المتطرف. الحقيقة يعلمها أيضا حكماء التلمود وعباقرة "البروتوكولات".

المسيحية الجديدة .. فى أفغانستان وباكستان

فى عهد راعى الجهاد الأول فى باكستان ـ الرئيس ضياء الحق ـ إزدهر التبشير الصليبى فى باكستان كما لم يحدث فى تلك البلاد من قبل ـ وشمل أيضا أوساط المهاجرين الأفغان وأحرز نجاحات أكثر مما تخيل كثيرون .

وفى عهد "الجهاد الأفغانى" إنتشرت المؤسسات الصليبية (للإغاثية الدولية) فى أوساط المجاهدين كما فى أوساط المهاجرين ـ حتى رأينا خوست ـ التى شهدت أنصع إنجاز جهادى فى التجربة الأفغانية ـ أن أكبر شعار دينى رفع فيها كان ذلك الصليب المهول الذى تحدثنا عنه سابقا ـ إرتفع حتى قبل أن يتم ترميم أى مسجد أو إصلاح أى مئذنه أو فتح أى مدرسة دينية للأطفال أو الكبار.

وتحدثنا أن الصلبان التى رسمتها القاذفات الأمريكية فى سماء أفغانستان فى حربها ضد "الإرهاب الإسلامى"ـ المتمثل حسب دعواهم فى حركة طالبان وتنظيم القاعدة ـ تلك الصلبان البيضاء توجت مجهود عقد ونصف فى التبشير بالصلبان الحمراء لمؤسسات "الإغاثة الدولية !!! " . وجاءت حكومة كرزاى ـ ومن فيها من مسلمين يخفون إيمانهم المسيحى ـ كعادة معظم المتنصرين الأفغان . تلك الحكومة وذلك النظام جاء لإستكمال العولمة الدينية فى أفغانستان ـ أقوى معاقل الإسلام على وجه الأرض ، وبلا منازع ، إلا تبجحاً أو إدعاء .

وفى الحقيقة أن العولمة الدينية للإسلام ، بدأت على إتساع العالم كله بدءاً من السعودية نفسها (التى تعيد تنقيح القرآن الكريم إلى مصر ذات السياسة الإستئصالية المشهودة إلى تركيا "أتاتورك" إلى فلسطين "أبو مازن" ومنظمة التحرير إلى مراكش نصف اليهودية إلى عراق الإحتلال والموساد والشين بيت وهكذا إلى مالا نهاية .

□ □ □ □ □ □ □

** مع إستهلال عام ١٩٩٢ باكستان تابعت سياسة خنق الجهاد فى أفغانستان وتجفيف منابعة ، وبالدقة وقف أى إمكانية لنجاحات عسكرية ، بسحب الذخائر الثقيلة من الأسواق ، إلى جانب وقف الإمدادات الذى إستمر منذ عام ١٩٨٨ إلا ما هو شكلى منها وغير مؤثر على حالة التوازن المطلوبه مع نظام كابول .

ثم جاء إشعال الفتنة الطائفية فى كونار(سلفيون /أحناف) ـ ثم فسح المجال للقوات الحكومية لعبور محافظة كونر لدعم جرديز حتى لا تلاقى مصير خوست ,

 ثم بدأت حملة تضيق رسمى على التواجد العربى. ومن إجراءات المضايقة :

وقف تمديد تأشيرات الإقامة للعرب ـ وقف منح تأشيرات عودة لهم. والجوزات التى قدمها عرب لإجراء أى معاملات تمديد أوعودة ثم ختمها بختم الخروج ـ أى طردهم من البلاد .

وتم تحذير العرب بكل الوسائل الممكنه بضرورة مغادرة باكستان فى هذه "الفرصة الذهبية"وقبل أن تنقلب الدائرة وتبدأ وسائل عنيفة للطرد.. هكذا وبكل صراحة وقحة .

 مع بداية العام تم تغيير المسئولين السابقين فى مؤسسات الإغاثة العربية وإحضار شخصيات إدارية جديدة محل الإدارات القديمة التى كانت تقدم معونات كثيرة للأفغان وكانوا يرتدون أقنعة أصولية جهادية وكانوا فى الغالب ـ كما هى الوجوه الجديدة التى إستهلت العام الجديد، كانوا موظفين مخلصين لأجهزة الإستخبارات فى بلادهم .

ولكن أدوار الإستخبارات فى أفغانستان تغيرت ، فاستدعى ذلك تغيير الوجوه .

فكل دور إستخبارى له ضباطه الذين يحبكون الدور ـ فبعض الأدوار تحتاج إلى لحيه طويلة أو قصيرة ، وبعضها يحتاج إلى طلاقه الوجه ـ وأدوار أخرى لا تحتاج اللحية إطلاقا ـ وقد تحتاج الشارب وربما إستدعت الجدية أوالعبوس أوحتى العدوانية .. وهكذا .. هناك وجه لكل دور ـ وهناك دور لكل وجه .

إذن وصلت هذا العام الوجوه الجديدة للأدوار الجديدة .

□ حتى مدير "حبيب بنك " فرع وسط البلد (صدر) تم تغيره أيضا . فقد كان معروفا بعلاقاته العميقة مع قادة المنظمات "الجهادية" الذين وثقوا فيه فى مجال لا يمنحون ثقتهم فيه لأحد ، حتى لو كا إبنا أو أخا شقيقا ، وهو مجال الأموال التى هى ثمن "الدنيا" وعائد تجارتهم "بالدين " .

فى ذلك الوقت كان "حبيب بنك" مرشحاً لشراء (بنك الإعتماد والتجارة) المفلس وهو شراكة إمراتية باكستانية ـ فكتبت فى مذكرتى وقتها "ربما كان ذلك مقدمة لإفلاس حبيب بنك وضياع أموال الأفغان " .

ولكن ذلك التخوف لم يحدث ـ ولكننى أشك تماما أن باكستان سمحت لهؤلاء اللصوص بسحب غنائمهم كاملة والفرار بها ـ خاصة وأنها تمتلك أسرار تلك الأرصدة وتحركاتها فى الصادر والوارد ـ وهو سجل فضائحى من الطراز الأول وبالتالى مادة للإبتزاز القذر الذى لا يمكن ان تهمله أى حكومة فى باكستان .

□ رئيس وزراء باكستان وقتها "نواز شريف" واصل سياسة ركوب موجة الصليبية الجديدة التى تجتاح المنطقة ، والتى ركبها أسلافة ضياء الحق "الاسلامى" ثم خليفته "بى نظير بوتو" العلمانية المتعولمة .

نواز شريف تزلف بشدة المشاعر الصلبية الجديدة فى باكستان التى تشهد أقليتها المسيحية إزدهارا لم يسبق له مثيل إقتصاديا وتعليميا وسياسيا وبمساندة دولية كاملة وشاملة. قرر نواز القفز على الموجة ودفعها قدما. فمنح مؤسسات المسيحية الباكستانية هبة مالية قدرها مليونين ونصف المليون روبية باكستانية ، إضافة إلى "حق فى بيت المال " غير محدود بأى شيئ ومطلق من أى توصيف أو شروط .

ثم إكتشف بذكائه المعهود ـ رغم وزنه الزائد ـ أن نصارى بلاده يستحقون إجازه رسمية فى يوم ميلاد السيد المسيح **(٢٥ديسمبر)** حيث أنه يصادف عيد ميلاد مؤسس باكستان محمد على جناح . وذلك من حسن الحظ ـ"**حظ من منهما؟؟**"ـ

□ من المتناقض التى بدأ بها هذا العام (١٩٩٢) كان تخفيف ميزانية مؤسسات الإغاثة العربية بنسب بلغت فى بعضها ٧٥% ومع ذلك بدأت حملة توظيف واسعة النطاق للشباب العرب ـ الجهاديين ـ فى تلك المؤسسات!! .

كنت متحيرا فى "الحكمة الإستخبارية " وراء ذلك . فتقليص الميزانية إلى درجة تقارب حد الإلغاء ، يستدعى تخفيض العمالة لا زيادتها .

□ كان العرب المجاهدون يعانون من ضائقة مالية شديدة ، كما يعانى المجاهدون الأفغان، فقد تقلصت أموال التبرعات إلى حد كبير.

□ حتى جماعة أسامة بن لادن (القاعدة) كانت تعانى بشدة . فالرجل الذى غادر بلاده بمعجزة تاركا معظم أمواله هناك ، كان متواجدا فى بشاور بشكل سرى جدا ـ وتحت مراقبات أمنية من بلاده وباكستان ـ كان يجد صعوبة بالغة فى تمويل أفراد جماعته ، فكان يلجأ إلى القروض .

□ وفى خوست كان أبو الحارث يخوض حربا شرسه للحصول على حقوق جماعته من غنائم فتح خوست . كان ذلك مصدر الأنفاق المتاح لجماعته فى ذلك الوقت فكانت حربا من أجل البقاء .

□ حقانى توقف عن دفع مستحقات كتائبه المقاتلة ، حتى أضربوا عن العمل وهددوا ببيع الاسلحة لأنهم منذ خمسة أشهر لا يجدون ما يطعمون به أطفالهم ـ وتلك الكتائب هى أفضل قوة قتالية فى أفغانستان حتى ذلك الوقت ـ وربما إلى وقتنا الحالى.

□ توظيف المجاهدين العرب بهذا الإتساع فى ذلك الوقت ، كان يهدف فيما أظن إلى إبعاد الشباب عن قطاع العمليات العسكرية فى ذلك الوقت الحرج ـ فقد كان هناك عناية خاصة لإبعاد المجاهدين العرب عن تلك الجبهة تحديدا ـ والتوظيف براتب جيد فى ظروف القحط وسيلة مناسبة لذلك .

ولا ننسى أن التوظيف يستدعى تسجيل الأفراد فى أوراق المؤسسة بأسمائهم الحقيقية طبقا لجوازات السفر . وهنا نقطة أمنية لا تخفى على لبيب .

مسرحيات هزلية لزعماء المأساة :

صهريج البترول/ وكتيبة الكوماندوز

□ إبعاد المجاهدين العرب عن جبهة جرديز يستدعى إيجاد جبهة أخرى لهؤلاء المصرين على متابعة القتال حتى الحسم العسكرى والنصر الكامل .

الجبهات الأخرى ـ غير جرديز ـ كانت فى حالة موات .

كان الأمر يستلزم تحريك أحد بيادق بشاور من "الشخصيات الهامة " صوب إحدى الجبهات لإفتعال جبهة تجتذب إهتمام المجاهدين العرب، إلى حين إقرار التسوية الوشيكة ـ بدون فتح عسكرى يربك اللاعبين .

المطلوب مكان مزيف وقائد مزيف لتضليل المجاهدين العرب ما تبقى من الوقت .

المكان كان جلال آباد ـ موقع الكمين التاريخى للعرب فى أفغانستان (راجع كتاب الحماقة الكبرى) ـ ثم هناك سياف القائد المزيف الذى عليه ان يستفيد مما تبقى له من رصيد أدبى لدى بعض العرب حتى يثير زوبعة فى جلال آباد تستهلك ما تبقى من العرب والقليل من الأموال التى مازالت تتسرب صوب أرض الجهاد .

ولقطع الطريق على إحتمال تحول عمل هزلى فى جلال آباد إلى فعل جدى، جرت محاولة لإغتيال واحد من أفضل القيادات الميدانية فى المنطقة ـ وهو (سازنور) البدوى المحسوب تنظيميا على سياف. جرح ساز نور بشدة وقتل شقيقه وزميل آخر كان معه. (ساز نور كان واحد من أربعة قيادات فى جلال آباد قدموا الدعم والحماية لأسامة بن لادن عندما عاد إليها عام ١٩٩٦قادما من السودان) ـ أنظر كتاب صليب فى سماء قندهار .

والقائد "سازنور" إلى جانب جديته، موثوق من عرب جلال آباد. وكان منطقيا أن يعملون معه فى عمل عسكرى قد يخرج عن السيناريو الدولى . فكان إغتياله عملية تأمين ضرورية حتى تسير الأمور وفق الخطة الموضوعة .

سياف بدوره قدم أفضل عروضه الكوميدية فى الحرب الأفغانية . أذ أعلن لكل العرب أنه سيدخل إلى أفغانستان ـ رافضا كل عروض التسوية الدولية والضغوط المفروضة على القادة الأفغان ـ وأنه ذاهب إلى جلال آباد "**بنفسه!!**" حتى يقاتل حتى النصر أوالشهادة .

هذا بالضبط الكلام الذى يطرب العرب لسماعه . فطار كثيرون فرحاً وتابع كثيرون الزعيم الفاتح إلى داخل افغانستان .

بدأت المسرحية بحفر مغارة ضخمة على جبل قريب جدا من الحدود(كما فعل فى جاجى فى مسرحية عام ١٩٨٤).ثم أمر ببناء صهريج عملاق لتخزين البترول يسع عدة ملايين من الجالونات!!.ثم أمر أتباعه من العرب بالتأهب والتحشد ، وإنتظار ساعة الصفر حتى يشنون ، تحت إمرته ، هجوما كاسحاً على جلال آباد .

سألوه عن ساعة الصفر متى هى ؟. ـ فقال أن ذلك مرهون بإمتلاء صهريج البترول العملاق حتى لا يحتاجون إلى شيئ من باكستان عندما تنشب المعركة الفاصلة!!!!.

ولما كان هناك رقابة باكستانية شديدة على نقل البترول إلى أفغانستان ـ وكان التهريب يتم بصعوبة وبكميات لا تتعدى البرميل أو الأثنين ـ فقد إستنتج بعض الأذكياء من العرب أنه طبقا لهذا المعدل فإن ساعة الصفر قد تترافق مع قيام الساعة. ثم واجهوا سياف بذلك الإستنتاج ، فزداد إصرارا على خطته لفتح جلال آباد، وتتلخص فى أربع نقاط عملية : ١ ـ بناء المغارة . ٢ـ بناء الصهريج العملاق.

٣ ـ ملء الصهريج بوقود الديزل. ٤ـ الهجوم على جلال آباد .

بعض العرب غضبوا من هذا الإستخفاف بعقولهم ـ فعرب١٩٩٢ لم يعودوا هم نفس عرب ١٩٨٣ أو حتى عام ١٩٨٩ ـ فحدثت مشادة بينهم وبين الزعيم وغادروا جلال آباد غاضبين .

(كان من هؤلاء سيف العدل، أحد المطلوبين الكبار أمريكيا، وكان يشرف وقتها على بعض أعمال القاعدة هناك. وكان لديه أفكارا لتنشيط العمل القتالى فى تلك المنطقة بالتركيز على طريق "سرخ

رود" الرابط بين كابول وجلال آباد. وهو إهتمام جاء متأخر كثيرا وكان من المفروض أن يبدأ قبل أو بالترافق مع عمليات العرب والأفغان عام ١٩٨٩.ولكن أى عمليات جديدة كان يجب أن يكون قطع ذلك الطريق على رأسها)

عمليات المشاريع الوهمية ـ الجهادية ـ لقطع الطريق على الأعمال الجدية فى جرديز واستنزاف القدرات المالية القليلة التى تتسرب بصعوبة إلى المجاهدين ، وإجتذاب العرب المجاهدين ، الذين لم تجتذبهم مؤسسات الإغاثة العربية ـ أو مسرحية سياف الكوميدية غير المقنعة. برز لهم زعيم أصولى آخر بفكرة أكثر جاذبية ـ كانت فى الأصل فكرة عربية ـ وهى تكوين قوة من خمسة آلاف مجاهد مدربة ومجهزة لحسم الموقف عسكريا فى أفغانستان ـ ويكون للعرب دور مساند فى هذه القوة بشريا ودور آوحد فى التمويل .

صاحب المشروع الزعيم الاصولى ـ جلب الدين حكمتيار ـ والفكرة تقضى بتكوين قوة من ثلاث واحدات : الأولى للقوات الخاصة ـ الثانية للمدفعية ـ والثالثة للمشاة . يعمل فى تجهيز القوة ـ كما أشيع وقتها ـ أبومحمد السورى وهو من الأسماء المعروفة فى بشاور .. كان إسم العقيد المصرى "محمد مكاوى " مرشحاً للمهمة ، بل أنه كان صاحب الفكرة فى الأصل ـ ولأسباب مجهولة تجاهلوه ربما لأن المشروع فى الأساس وهمى ، وهذا سيجعل الصدام حتميا بين حذاء مكاوى الحاد الطباع وسكين حكمتيار الجزار .

نجح الزعيم الاصولى فى إقتناص كميات من الأموال تعتبر خطيرة بمقاييس ذلك الوقت ـ وكان الجهاد فى أمس الحاجة إليها. وكمثال واحد فقد تبرع أحد فاعلى الخير من السعودية بمبلغ ستين مليون روبية باكستانية من أجل شراء معدات إتصال لهذه القوة ـ هذا المبلغ كان يكفى لاعاشة قوات حقانى /التى فتحت خوست /لمدة عام كامل . وهى القوات التى تعانى الجوع والإضرابات وتهدد ببيع السلاح من أجل شراء الطعام لأسرهم الجائعة منذ خمسة أشهر .

بالطبع الزعيم الأصولى لم يشكل القوة الجديدة التى بدأت تستقطب التبرعات الضخمة بل واصل تفكيك قوته القديمة (لشكر ايسار) وتشتيت ضباطها الشباب المتحمسون ، وزجهم فى قتال كونر ضد السلفين .

الأول من يناير ١٩٩٢

قضينا الليلة الأخيرة من العام الفائت والصباح الأول من العام الجديد فى مقر الفرقة العسكرية ٢٥ التى كانت عماد الدفاع عن خوست .

المقر العسكرى سابقا أصبح حاليا مستشفى طبيا. والمبنى عبارة عن طابقين كل طابق عبارة عن دهليز طويل تطل عليه أبواب كئيبة لغرف ضيقة أشبه بالزنازين ـ وبعضها بالفعل له أبواب ذات قضبان حديدية كأنها كانت غرفة إحتجاز لضباط هامين متهمين بشئ ما . أو أنها كانت مخزنا لأوراق وخرائط هامة .

هناك بالخارج ساحة متوسطة الإتساع ومبلطة، تفصل هذا المبنى عن أهم أجزائه وهى غرفة العمليات الموجودة تحت الأرض وفوقها غرف أخرى يبدو أنها كانت لتناول الطعام والإجتماعات .

هناك صاروخ إخترق سقف غرفة الطعام فسقط السقف على غرفة إدارة العمليات العسكرية ـ إنه فوقها تماما ـ أنه الصاروخ الذى أطلقه الشهيد "سيد جمال" من جبال بارى وقت عقد إجتماع عسكرى فى تلك الغرفة السفلية . لم يصب أحد من القيادات ولكن إصابة بهذا الشكل ، ومن الصاروخ الأول وفوق الغرفة تماما ، كان عملا غير عادى ، ولكن المجاهدين ألفوا ذلك فى رمايات "سيد جمال" ـ الذى إستشهد فى عمليات جرديز الأخيرة فى أكتوبر ١٩٩١ .

عندما تجولت فى المكان صباحاً ، وهو مكان يدعو إلى التأمل العميق والذكريات التى إنقضت مثل حلم مزعج . غرفة العمليات متسعة جدا تملؤها لوحات خشبية خلفها إضاءات كانت خلف خرائط عمليات لتحديد مواقع القوات .

كان كل شيئ منتزعا ومدمرا ، تم إنتزاع كل ما يمكن إنتزاعه وتحطيم ما لا يمكن نزعه، كان تخريبا ضارا وفى غير موضعه، ولكنه صار أمرا عاديا وشائعا.

فى خارج المبنى وحوله شبكات من الخنادق الدائرية للحراسات وكان المدخل الرئيسى بجانبه لوحة ضخمة ، تمثل على عادة "الفن الملتزم"، الشعب المتحد بفئاته المختلفة مع قواته المسلحة. والجميع بصحة جيدة ومبتسم ومتحمس ويلوح بأدوات عمله زراعية أو صناعية أو بنادق .

أبوعبدالرحمن الكندى قضى معنا الليل فى مقر الفرقة ، فى غرفة ضيقة باردة كنا مزدحمين بداخلها. إبنى عبد الرحمن كان يرافقنى فى تلك الرحلة وكان سعيدا ومتحمسا كعادته .

الكندى جاء إلى خوست بدعوة من حقانى حتى يحدد المشروعات التى يمكن أن تقوم بها مؤسسته فى خوست، فكان يبحث عن بيت يصلح مقراً لعمله.

على مسافة قريبة من مقر الفرقه هناك مجموعة فيلات أنيقة بين حديقة حكومية ضخمة مليئة بالأشجار ـ البيوت هناك بلا أسوار وكانت تلك ملاحظة غريبة فى المبانى الحكومية العام منها والخاص. الصفة الثانية كانت الكآبة فى الداخل حتى وإن كان المنظر الخارجى جيد .

بعض الفيلات الأنيقة كان مهيئا للقتال من الداخل ، حيث أكياس الرمل وصناديق الذخيرة الخشبية الميئة بالأتربة .

كل شيئ منزوع ومحطم فى البيت، فلا أخشاب ولا زجاج، إلا الحطام.

أختار لمؤسسته إحدى الفيلات بين الاشجار ، سيقوم بأعمال الاصلاح والترميم الضرورية لإتخاذها إدارة لمؤسسته .

سنذهب سويا لمعاينة منطقة نادر شاه كوت. شمال الطريق هناك مزرعة ضخمة لأشجار اللوز ـ الأشجار يبست لطول الإهمال وقت الحرب فالمنطقة كانت قريبة من المعارك . لذا هناك خطر الألغام المبثوثة فى المزرعة التى تعانى من الجفاف . نزلنا

على حافة المزرعة وتوجهنا إلى غرفة المضخات وكان أبوعبدالرحمن قد زارها يوم أمس، فهى عماد إحياء المزرعة بمياه الرى ، وبها تبدأ عملية الإصلاح. كان ذلك بالأمس ، أما اليوم فهو يوم جديد . فهناك من زار المزرعة وحطم المضخات منتزعا إياها بالقوة فلم تعد هناك مضخات. أصابنا غم شديد لأسلوب النهب المتفشى الذى لم يكد يترك شيئا يمكن إصلاحه . بكل بساطة لقد إنتهى كل شيئ تقريبا. توجهنا إلى نادر شاه كوت. وجدنا مؤسسة لنزع الالغام قد إتخذت لها معسكرا كبيرا خارج الحصن، كان عبارة عن مجموعة من الخيام .

المنطقة مصابة بشدة بوباء الألغام، حتى أن كل بوصة منها يلزم تفيشها، والجميع يلتزم الحذر الشديد فى الحركة خارج الحصن .

المنطقة تحت سيطرة مجموعة الشهيد مطيع الذى فتح ذلك الحصن عام ١٩٨٩(انظر كتاب الحماقة الكبرى) ، وقد إستشهد الرجل بإنفجار لغم فى نفس المنطقة التى شهدت أعظم إنجازاته العسكرية.

فى المساء عدنا إلى ميرانشاة ، وقد صاحبنا أبوالحارث وأفراد من مجموعته فى سيارة لهم .

□ □ □ □ □ □ □

جاء فى مفكرتى الشخصية هذه الومضات الإخبارية التى تصور الوضع العام فى النصف الأول من يناير ١٩٩٢.

□ السلطات الباكستانية وزعت أسلحة وذخائر على أتباع السيد أحمد جيلانى ـ وربما أيضا أتباع مجددى ومحمدى ـ فى ميرانشاة وباكتيا . فى نفس الوقت صادرت أسلحة للمجاهدين فى مدينة "باراشينار" القبلية . **(٩٢/١/١٥)** .

□ أزمة غذاء لدى مراكز العرب فى جلال آباد ـ يذهبون الآن لتناول الطعام فى مراكز الأفغان **(٩٢/١/١٥) .**

(يعكس هذا الخبر خطورة الأزمة المالية التى يمر بها العرب.فى عام٨٩ كان العرب يعيلون جميع مراكز الأفغان فى جلال آباد ويزودونها ثلاث مرات أسبوعيا ـ على الأقل ـ بلحم الخراف، مراكز العرب كانت تأكل اللحم يوميا فى تلك الأيام) .

 بشاور خالية من القيادات . إختفى أسامة بن لادن (أبوعبدا   ). وهناك حالة دوخان داخل جماعة القاعدة ، وضيعان فى باقى الأوساط ، مع قلق وإنعدام رؤية وأزمة مالية . إنها بوادر كارثة وإنهيار .

(كان أسامة بن لادن فى وضع أمنى حرج ، وتم تحذيره من محاولات إغتيال تدبرها حكومة بلاده مع جهات باكستانية . فكان دائم التنقل وبسرية تامة . وكان يعيش أزمة مالية خانقة وأفراد القاعدة فى حالة تشويش كامل) .

 إيران تدخل على الخط الدولى المطروح لحل الأزمة الأفغانية فتدعو ـ وبتأييد باكستانى سعودى ـ إلى مؤتمر موسع يحضره الملك السابق ظاهر شاه ، والرئيس الأفغانى الشيوعى نجيب ا   وقادة المنظمات الأفغانية "الجهادية !! " .

 أفراد القاعدة فى حالة ضياع . أزمة مالية طاحنة ، رؤية ضبابية للوضع الحالى وشكوك فى المستقبل .

بعضهم لا يريد مغادرة أفغانستان حتى ولوتبقى بها شخص واحد مخاص. وقد عبر عن ذلك "عبدالخالق " الذى قال أنه سيبقى فى أفغانستان مع مولوى يونس خالص. (عبد الخالق سعودى من أصول تركستانية شرقيه) .

 فى الثانية ظهرا إجتمعنا فى بيت "سيف العدل" لمناقشة مشروع جديد حتى نقدمه إلى أبوعبيدة عند عودته من السودان بعد ثلاث أيام. عناصر المشروع هى:

أ ـ تأليف قوة ثابته من العرب تبقى للجهاد فى أفغانستان .

ب ـ ترسل للقوة ميزانية سنوية تقدم فى بداية كل عام .

ج ـ يتفق مع قيادة القوة على الإطار العام للعمل بدون تدخل فى التفاصيل أو إملاء أوامر عليها .

الخميس ١٦ يناير ١٩٩٢

 زادت حدة الرغبة فى الرحيل من هنا ـ أبوصهيب سيذهب إلى أبوظبى للعمل هناك ـ ربما أفعل نفس الشئ إذا إستمر الإنقطاع المالى للعائلة .
* إنتعشت الآمال فجأة بأن عودة أبوعبيدة قد توفر حقنة إنعاش مؤقته ولو إلى حين

(٩٢/١/١٦).

 إنفراج نسبى فى موضوع منح التأشيرات للعرب .
 مازال التجار متوقفون عن إستبدال الدولار رغم مرور أسبوعين من العام الجديد. تحسنت قيمة الروبية الأفغانية لتوقع زيادة الطلب عليها بعد التسوية وبدء عودة المهاجرين .

(سعر الروبية الأفغانية كان يتحكم فيها تجار العملة الباكستانية بشكل تعسفى أضر كثيرا بمصالح الأفغان خاصة المهاجرين الذين تعرضوا لعمليات نهب بشعة من هؤلاء التجار . فعند قدومهم من أفغانستان باعوا العملات الأفغانية بأبخس الأسعار ـ وعند عودتهم اشتروها بأعلى الأسعار .
فإذا إنضم تجار العملة إلى زملائهم تجار "الخردة" الذين إشتروا كل ما تم نهبة من أفغانستان تحت مسمى الغنائم ، بما فى ذلك طائرات صالحة للعمل وأسلحة حديثة صالحة من صواريخ إلى دبابات وأجهزة رادار .. نجد أن أفغانستان قد تم نهبها بالكامل لمصلحة تجار باكستان) .

******

الأزمة تستحكم .. والجهاد يختنق

<u>الجمعة ١٧ يناير ١٩٩٢</u>

عاد حقانى إلى بشاور فذهبت لمقابلته . كانت أحاديث فى بشاور تدور حول إجتماع قادم للقادة الميدانيين . تحرك القادة الميدانيون من أجل إصلاح مسيرة الجهاد بقرارات أفغانية بعيدة عن إملاءات الخارج ، كانت فكرة حقانى ومازال هو محركها الرئيسى . لكن كما يحدث فى كل مجتمع منقسم يعصف به التدخل الخارجى. إنقسمت الآراء حول ذلك التحرك ، وقاومته الأطراف الفاعلة التى صنعها التدخل الخارجى ونمت وتجذرت خلال أكثر من ثلاث عشر سنة من الحرب ضد الشيوعية .

كان قادة الأحزاب "الجهادية" فى بشاور أشد المعارضين لتحرك الميدانيين. لأن الميدانية وهى تحمل معانى الجهاد المستقل عن إملاءات الخارج ، تكتسب شرعية من وقائع الأرض تعارض شرعية الأحزاب القائمة أساسا على الدعم المالى والسياسى القادم من الخارج. وبالتالى الخضوع لذلك الخارج بشكل كامل وليس جزئى.

القادة الأفغان رغم أن أرض بلادهم محررة فى معظمها، كانوا فى حالة طلاق دائم معها ، إلا فى مناسبات إستعراضية لرفع العتب. وتأثيرهم على الداخل كان يراعى الممول الخارجى وليس الدواعى الدينية أو الوطنية ـ لذا كانوا معارضين لتقوية الداخل أو تحريره أو أسلمته . فقط هم مع تدويله لمصلحة مموليهم أيا كانوا .

فى الحقيقة فإن الأحزاب حولت الجهاد إلى عملية إرتزاق ـ لاأكثر ـ بإغداق المال والسلاح بدون معايير دينية أو أخلاقية ـ إلا مقابل طاعة الحزب ـ التى تعنى تنفيذ برامج عسكرية تأمر بها باكستان، بعضها ضد العدو، وأكثرها ضد مجاهدين يحاولون الخروج عن الإملاء الخارجى أو يسعون جديا نحو تحرك إسلامى جهادى.

أى أن الأحزاب كانت أدوات لتحقيق المعايير الباكستانية للأزمة الأفغانية ، والتى لا يعنيها الجهاد ـ هذا فى أفضل الأحوال ـ أو تسعى لأن تحبطه وتقاومه فى أكثر الأحوال .

- فى مؤتمر القادة الميدانين السابق ، حضر العديد منهم لمجرد مراقبة ما يحدث لصالح قادتهم فى بشاور ، ومدافعين عن مصالح أحزابهم .

أخبرنى حقانى أن مساعد سياف "المهندس أحمد شاه" كان يكلمه معترضا على مؤتمر القادة الميدانين القادم ، وإتهم حقانى أنه وجماعته يريدون فك المنظمات "الأحزاب" فرد عليه حقانى قائلا : نحن لا نستطيع ذلك لأن قلوب الناس تشربتها ، كما تشربت قلوب بنى إسرائيل بعبادة العجل .

- أغلب القادة الميدنين موجودون الآن فى بشاور ـ حسب قول حقانى ـ وهم يتكتمون على موعد إجتماعهم القادم حتى لا تتدخل الأحزاب لإحباطه.

وقال أنه يحاول إقناع قادة الأحزاب بالوحدة لأن القتال الداخلى إذا نشب فسيكون أعنف من الحرب مع السوفييت. وأن القتال الداخلى فى السابق دفع البعض إلى الدول المجاورة ، و قد تصبح تلك الدول هى الحاكم الحقيقى للبلاد ـ أى تقسيم البلد .

 قال حقانى أن سياف وحكمتيار كل منهما منفردا يواصل إرسال رجاله للتحشد حول كابول من أجل منافسة مسعود فى السيطرة على العاصمة عند سقوط النظام .

* مازال حقانى يعانى من الأفلاس ، ومجاهدى غوند سلمان الفارسى فى حالة تمرد وإضراب ، لذا سيسافر بسرعة إلى هناك لتهدئة الوضع . وسيرتب أمر سفرة عاجلة إلى دول الخليج للبحث عن تبرعات .

فى هذا الوضع المرتبك ، إضافة إلى قسوة مناخ الشتاء فى جرديز قدر العدو أن وضع مجاهدى حقانى أصبح ضعيفا فهاجمهم أمس الأول . فأوقع المجاهدون بهم خسائر فادحة . ثم هاجمهم مرة أخرى مساء الأمس ، لذا غادر شقيقه"حاجى إبراهيم" إلى هناك وينوى حقانى زيارة المنطقة بعد إنتهاء إجتماع شورى القادة الميدانيين .

 وتجدر ملاحظة أن هذا هو العام الأول فى تاريخ الجهاد الذى يحتفظ فيه المجاهدون بحشود كبيرة وأسلحة ثقيلة حول جرديز التى تتميز بالشتاء القارص. (أقل من عشرين درجة مئوية تحت الصفر) .

ويصادف ذلك نقص فى الأموال، أى نقص فى الغذاء والوقود والملابس ، ثم إنقطاع رواتب الوحدات القتالية الثابتة المتفرغة ، نتج عنها تظاهرات بينهم وقلاقل.

وأزمات يمر بها المجاهدون العرب تدفع بهم خارج ساحة الجهاد فى أفغانستان ، ثم أزمة داخلية حول توزيع غنائم خوست لم تنته كليا حتى الآن .

أزمة لها فرع داخل غوند سلمان الفارسى نفسه ، وفرع داخل مجموعة أبوالحارث شبه المفلسة ،وفرع ثالث مع قبيلة فى خوست تطالب بنصيب سبعة آلاف مجاهد، بينما لم تساهم سوى براجمة صواريخ واحدة يديرها خمسة أفراد .

فى هذه الظروف تعيش القضية الأفغانية أيامها الأخيرة ، التى بعدها سوف يسدل الستار على أكبر تجربة جهادية للمسلمين فى القرن العشرين .

□ □ □□ □ □ □ □

□ المناخ هذا العام محبط للغاية والأزمة المالية خانقة للجميع ، والتهديد الأمنى ماثل ومتزايد ، ومطلوب أن نغادر الساحة الباكستانية هذا وإلا فإن إجراءات شديدة سوف تتخذ ضدنا ـ هكذا قالها الرسميون الباكستانيون بكل صراحة ومرة تلو مرة .

كان يمكن تجاهل الخطر الأمنى بعض الوقت ـ ولكن كيف يمكن متابعة لعمل القتالى بلا أموال؟؟ ـ حقانى ورجاله منغرسون فى ثلوج جرديز،وكذلك أبو الحارث وجماعته . ونحن لدينا مشروع طموح لإغلاق الطريق ومهاجمة مضيق طيرة. العنصر البشرى المتوفر لدينا هو الأفضل على مر السنوات الماضية.

والأسلحة ممتازة وإن كانت أقل من المطلوب ولكن يمكن دعمها بالتحالفات مع مجموعات أفغانية.ولكن الأموال معضلة حقيقية، ونحتاج إلى خمسة ملايين روبية باكستانية لا يتوافر منها شيئ ، فما العمل ؟؟ .

أقرب وأغنى حلفاؤنا ـ تنظيم القاعدة ـ يعانون من الإفلاس، مع التهديد الأمنى لهم ولقائدهم أسامة بن لادن. وسحبوا الكثير من كوادرهم إلى السودان التى على الأغلب سينتقل إليها التنظيم كله فى أقرب فرصة ممكنة .

الأموال التى تصل إلى الجهاد أصبحت نادرة ، وتأتى سراً ، وتذهب فورا إلى المكان الخاطئ. فقد نصبت شراك عديدة لإصطيادها. وتكلمنا عن مشروع سياف لتحرير جلال آباد ، ومشروع حكتيار لاقامة قوة كومانوس حديثة عالية التدريب (لم تغادر نطاق الكلمات إطلاقا)، ومع هذا حصلوا على أموال محترمة بمعايير تلك اللحظة ، وحرموا منها المشاريع الحقيقية التى إنغرس أصحابها فى جبال من الثلوج وتحت وابل من نيران العدو .

إنفراج من تونس

 كدت أستسلم لليأس ـ والإقرار بأن مشروعنا الطموح فى طيرة لن يرى النور بسبب غياب التمويل .

ولكن ظهور الشاب التونسى "**أبوعبيدة المقدسى**" جعل ذلك المشروع يرى النور بالفعل. كان المقدسى أحد معجزات الساحة العربية فى أفغانستان.والمشروع بالطريقة التى تحرك بها كأن أحد المعجزات النادرة التى شهدتها تلك الساحة . ولو أن أمثال تلك المعجزات توالت لتغيرت مسيرة العرب ، بل و تغير مصيرهم فى أفغانستان .

المقدسى شاب فى العشرينات نحيف يرتدى نظارت طبية يتكلم ويتصرف بشئ من العصبية ، له شخصية طالب جامعى مشاكس لجوج ومتحمس .

لا شك أن أمثاله فى تونس، وفى أى بلد عربى آخر، يطردون من الجامعات بسرعة ، وربما أكملوا دراساتهم فى السجون ، أو رفعتهم حكوماتهم الرشيدة عاليا جدا... على أعواد المشانق!!.

تعرفت حديثا على المقدسى ، وكان ناقما بحماس على إنحرافات الساحة الأفغانية عربيا وأفغانيا . كان ناقما على القيادات العربية لحجبها الحقائق ونشر صورة غير واقعية عما يحدث فى أفغانستان. وبصفتى كاتبا كان يعتبرنى مسئولا كذلك.

 فلما أخبرته أننى كتبت الأخطاء الموجودة وعملت على نشرها منذ سنوات، قال أنه لم يصله شيئ مما كتبته ، لذا يعتبرنى أيضا مسئولا عن ما يحدث .

بدأ يسأل عن مشروعنا الجديد فى جرديز فلما شرحت له الإطار العام للفكرة ، تحمس لها بإندفاع كعادته. وقال أنه يريد أن ينضم لذلك المشروع. فأخبرته أن ذلك المشروع كغيره من الأعمال متوقف بسبب عدم توافر المال .

ثارت ثائرته من جديد، إنه لا يتصور ذلك وهناك أموال سعودية تأتى إلى الساحة. فأخبرته بتحفظاتى على تلك الأموال ومن يحضرونها . قال أنه يعلم أشخاصا موثوقين يمكنهم تمويل المشروع . فأخبرته أن ذلك عمل لن أقوم به تحت أى ظروف.

ولما رأيته مصرا قلت له أنه يمكنه عمل ذلك بالترتيب مع أبوحفص وأبوعبيده فى جماعة القاعدة ... وقد كان .

□ □ □ □ □ □ □ □

الأطراف التى عمل المقدسى بينها من أجل إتمام تعاون بين عناصر المشروع كانت عناصر متناقضة فيما بينها ، وذلك لأسباب عديدة .

التناقض شمل أيضا عناصر التمويل نفسها، وكلها سعودية. ثم بين تلك العناصر والقاعدة (ممثلة بأصدقائنا أبوحفص وأبوعبيده). فرغم نفوذهما إلا أنهما فى نهاية المطاف لابد لهما من الحصول على إجازة أسامة بن لادن الموجود وقتها فى باكستان بشكل متخفى وينتقل من مكان إلى مكان آخر سراً .

المشكلة لدى القاعدة أنها لا ترغب فى كشف عجزها المالى أمام الأطراف الأخرى ، خاصة وأنها أطراف سعودية . وأسامة بن لادن كان حريصاً بعنف على عدم أخذ أى تبرعات لجماعته "القاعدة ". كان يقترض عند الضرورة ولكنه لم يقبل تبرعات لغير الأفغان ـ أى كواسطة نقل فقط .

إختلاف المرجعيات الدينية كان سببا إضافيا فى إختلاف المجموعات السعودية فى مشروعنا هذا أو غيره . ففى نهاية السلسلة هناك واحد من الشيوخ يصدر الفتاوى بمنح التبرعات أو منعها ، بالتطوع العسكرى أوعدمه إضافة إلى المسائل التقليدية الخاصة بالاحكام وباقى الفتاوى وشئون العقائد .

□ بعد مجهود هائل لأيام وليالى متواصلة إستطاع المقدسى بإصراره تحقيق إحدى المعجزات نادرة المثال . فقد وافقت ثلاث جهات نافذة على الوقوف خلف "مشروع جرديز " كما أصبحنا نطلق عليه. هذه الأطراف هى :

ـ أبوعبيدة "البنشيرى" النائب الأول لأسامة بن لادن، عن القاعدة .

ـ يوسف حمدان: وهو مدير إحدى هيئات الإغاثة السعودية، و هو ذو سمعة طيبة فى أوساط عرب بشاور .

ـ مختار: وهو شاب سعودى رائع، وكان أحد أفراد المجموعة التاريخية التى قادها أبوعبيده البنشيرى فى أول كمين ضد الكوماندوز السوفيتى فى معركة المأسدة فى جاجى عام ١٩٨٦، و يعمل فى جمع التبرعات للمجاهدين الأفغان.

الجارود: وهو شخصية سعودية نشطة فى جمع التبرعات للمجاهدين الأفغان ـ حقق شهرة بين العرب فى ذلك المجال .

بخلاف الباقين كان الجارود هو الشخصية الوحيدة التى أقابلها لآول مرة

السبت ٢٥ يناير ١٩٩٢

بعد مجهود هائل نجح أبوعبيدة المقدسى فى جميع الأطراف الفاعلة : أبوعبيدة ـ يوسف حمدان ـ مختار ـ الجارود .

رفضت حضور الإجتماع الأول لعدم تشويش المناقشات ومحاولة حصرها من أجل سرعة الوصول إلى قرار. (كنت فى الحقيقة أريد فسح المجال للأطراف من أجل إقتراح الشخصية التى يرتاحون لها لقيادة العملية ـ على إعتبار ـ أن علاقاتى السعودية محترقة منذ وقت طويل) .

بعد نهاية الإجتماع أرسلوا المقدسى لإستدعائى حتى يبلغونى بالقرار .

كانت المرة الأولى التى أقابل فيها الجارود . سألونى عن عدم حضورى الإجتماع فأخبرتهم بالسبب واقتنعوا به .

أبوعبيدة أبلغنى بالقرار بأن الجميع إقتنعوا بالمشروع وقرروا دعمه بقوة وأنهم ـ وهنا المفاجأة ـ إختارونى لقيادة العملية !! .

أخجلوا تواضعى بذلك الإختيار ، وقلت لهم أن السبب ربما يكون فى الشعر الأبيض الذى يقلل الإحتكاك بين الشباب ويهدئ النفوس .

□ تكلمت معهم عن أهمية وجود محاسب مالى للمشروع ـ وكانت تلك بدعه لا يتبعها أحد فى أفغانستان سوى مشروعاتنا فى المطارات ٩٠/٩١ . وقلت أن حساب تكلفة العمليات مسألة هامة من أجل قياس الإحتياجات المستقبلية ، وإكتشاف مسارب

الهدر فى المصروفات . وكان وجود محاسب "للمشروع" يضفى دوما طبعا من الجدية للمشروع ـ والثقة فى إدارته .

تسأل "الممولون"عن الإحتياجات ـ فقلت أن حصرها بشكل نهائى يعتمد على معرفة الإمكانات المتوفرة للمشروع لدى القاعدة ـ وما سوى ذلك سنحاول شراءه (خاصة الذخائر) أما الأسلحة فيمكن بشكل عام إستكمالها من المجموعات الأفغانية الصديقة لنا ـ وبشكل عام كان التقدير مبدئيا يتراوح بين ثلاثة إلى خمسة ملايين روبية باكستانية (سعرالدولار وقتها: من أربعين إلى خمسين روبية تقريبا) .

 سألت أبوعبيدة أن كان قرارهم اليوم يحتاج إلى تأييد أسامة بن لادن (أبوعبدا) فأجاب بأن القرار نهائى ولا يحتاج إلى أى مراجعات .

الأحد ٢٦ يناير ١٩٩٢

فى التاسعة صباحاً جاء أبو الحارث كى يستدعينى على عجل لمقابلة حقانى قبل أن يغادر إلى ميرانشاه .

سألت حقانى فى أول اللقاء عن الصحة والمعنويات والماليات . فقال بأن المعنويات والصحة فى أحسن حال أما الماليات ففى أسوأ حال .

عن الموقف السياسى قال بأن قادة المنظمات لا يرون لأبعد من أنوفهم والأمور ضاعت من أيديهم ، وكل منهم يبحث عن مكاسب صغيرة لنفسه .

وقال بأن "مسعود خاننا" بالتواطؤ مع ربانى ويتصل مع حكومة كابول وطاجيكستان . وأنه إذا تخلى عنا الآن فلا فائدة فيه فى أى وقت قادم. وأن حكومة كابول ستفعل معه كما فعلت مع عبد الرشيد دوستم وأمثاله ، أعطتهم المال والسلاح وبعد أن إستفادت منهم حاصرتهم وقاتلتهم .

عن الحالة المالية قال أنه ينوى السفر إلى منطقة الخليج للبحث عن أموال. وأن حكومة باكستان كانت قد وعدت بالمساعدة ثم ماطلت ما بين وعود باليوم وغد.ولكن الباكستانيين أرسلوا كمية ذخائر لا بأس بها وقالوا لا تقلقوا من ناحية الذخائر.

(هذه سياسة لا تقتله ولا تتركه يعيش. فنظام كابول ما زال قائما، لذا فالمساعدات تأتى بمقدار حتى لا تنفرط قوات حقانى المنغرسة فى ثلوج جرديز أو المضربة عن العمل وتهدد ببيع المعدات فى خوست. والذخائر القادمة تراعى إدامة الأزمة فى الذخائر الثقيلة للمدافع والدبابات).

 أثناء الحديث حضر الشاب الافغانى"منيب" وهو يعمل معنا صحفيا فى مجلة حقانى "منبع الجهاد" . كان يحمل نبأ يتناسب مع المرحلة .. لقد تمت سرقة خزينة المجلة !!. فأمر حقانى أن يقوم الضابط عمر بالتحقيق مع جميع العاملين من خدم وحراس . ثم إقترح أن ننقل مقر المجلة إلى ميرانشاه ، فوافقت على الفور ـ حيث أن ميرانشاه ستكون مرتكزا إداريا لمشروعنا القادم فى طيرة .

 إجتمعت فى المنزل مع مبشر وسيف العدل ـ وتناقشنا مطولا حول مشروع جرديز . سيسافران غدا إلى جلال آباد لحصر الإمكانات "الزائدة"!! هناك كى يتم سحبها لصالح مشروع جرديز.

 أبوعبيده المقدسى , يواصل شراء مستلزمات المشروع الجديد بحماس زائد.

كان لمبادرته دور أساسى فى التطور الحادث . لكنه يتدخل فى أعمال جميع من حوله وحتى فى تنظيم العملية ككل ـ لذا يلزم تذكيره بحدود عمله بحيث لا يربك العمل وفى نفس الوقت لا يفقد حماسة وروح المبادرة لديه .

 الوقت يمر بسرعة . باقى على الربيع أقل من شهرين ، ومن المفروض أن ننجز فيهما ، أعمال تحتاج إلى أربعة أشهر فى الظروف العادية .

يزعجنى للغاية فكرة أن يأتى الربيع ونحن لم ننجز التجهيزات الضرورية من حشد أفراد ومهمات ، وعقد تحالفات ، وتدريب .. الخ .

 يوم " ١٥ فبراير ٩٢" سيجتمع فى خوست ممثلى الأمم المتحدة لبرنامج الأعمار لأجل إقرار مشروعات هذا العام فى خوست .

كنت مع بعض عرب خوست نرغب فى تأجيل الإجتماع إلى أن يقوم مجلس شورى خوست بتشكيل لجنة فنية متخصصة ، تحدد إحتياجات منطقة خوست وتناقشها مع

"الدوليين " ـ وليس مجرد الإستماع من هؤلاء إلى ماقرروا هم فعله فى خوست . رأينا ضرورة وجود مهندس أفغانى واحد على الأقل ـ يجيد الانجليزية ـ هذا ممكن ولكن المشكلة هى توفير راتب له ـ قررنا تكليف بعض العرب بالبحث فى بشاور عن مؤسسة عربية تتكفل براتب هذا المهندس .

السبت ـ أول فبراير ١٩٩٢

(أكد تقرير صدر عن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق المعونات فى إسلام آباد أن الألغام قتلت مئتى ألف شخص أثناء الحرب الأهلية التى إستمرت ثلاث عشر عاما فى أفغانستان . وأنها مع القنابل والدانات التى لم تنفجر تسببت فى إصابة ضعف هذا العدد بعاهات مستديمة) "**عن إذاعة الكويت**" .

ـ لاحظ تعبير حرب أهلية ، وكأن الجيش الأحمر الذى قاتل هناك حوالى عشر سنوات كان أحد المكونات الأساسية للشعب الأفغانى !! ـ إنه التحول الدولى ـ بل التغول ضد المنتصرين فى أفغانستان من أفغان وعرب ـ وقد كانوا فى الإعلام الدولى يطلق عليهم إما مجاهدون أو مقاتلون فى سبيل الحرية !! .

الجميع يبيعون أفغانستان

الأحد ٢ فبراير ١٩٩٢

عاد مولوى نصر ا منصور فى أواخر الأسبوع الماضى من زيارة له إلى طهران . وعقد يوم السبت إجتماعا تنظيميا مع طلاب العلوم الدينية " طالبان".

(عند ظهور حركة طالبان فى عام ١٩٩٤ كان هؤلاء من أهم الأجنحة فى ذلك التنظيم وأكثرهم فعالية ـ حيث ركز منصور مجهودا ضخما منذ عام ١٩٨٣ فى إعداد طلاب العلوم الشرعية ـ طالبان ـ لتولى مناصب قيادية فى التنظيم وفى الدولة الإسلامية مستقبلا على حد قوله وقتها ـ وقد أغتيل منصور عام ١٩٩٢ ـ ولكن طلاب الشريعة ـ طالبان ـ واصلوا مسيرتهم وطردوا الأحزاب وحكومتهم من كابول وسيطروا على البلاد بشكل شبه كامل عام ١٩٩٦ ـ ولكنهم واجهوا تدخلا إقليميا شرساً ودعما مسلحا لمعارضيهم كانت إيران من أبرز نجومه ـ إلى أن أقصتهم أمريكا عن حكم البلاد فى حرب عام ٢٠٠١ م) **(انظر كتاب صليب فى سماء قندهار)** .

ذهبت منفردا لزيارة مولوى منصور فى بيته. كان حديثنا دوما مصدر سعادة مشتركة لكلينا ، فكان يعبر عن آرائه بلا تحفظ .

عن الوضع السياسى قال بالحرف: " **إن الجميع يبيعون أفغانستان** ".

وهكذا لخص الوضع كله فى جملة واحدة ، وعن موقف إيران قال: إنه ليس جيد. وكانت تلك أول مرة أسمع منه مثل ذلك الراى .

وبالفعل وقتها كان الموقف الإيرانى ومعه الباكستانى والسعودى يتحركون بتطابق مع الحل المطروح دوليا طبق الإرادة الأمريكية .

وعن مشروعنا الجديد فى جرديز أبدى له حماسا كبيرا وإستعدادا كبيرا للتعاون .

 إتفقنا أن يجهز من طلاب العلم ـ طالبان ـ من مئتين إلى ثلاثمئة لتدريبهم فى خوست . لإحتمال إشتراكهم معنا فى مشروع جرديز .

<u>الإثنين ٣ فبراير ١٩٩٣</u>

ذهبت إلى مولوى منصور مرة آخرى، بصحبة كل من سيف العدل ومختار . كانت مطالبنا محددة فى ثلاث نقاط هى :

١ ـ مخازن لنا فى منطقة زورمت ٢ ـ شراء ذخائر لحسابنا من أصدقائهم فى غزنى من الشيعة ٣ ـ وضع خطة مشتركة للعمل فى المشروع.

قال الشيخ أنه سيرسل معنا ثلاثة من قادته إلى زورمت وسيكونون مخولين من طرفه بإتخاذ كل الإجراءات الضرورية ـ مباشرة وبدون الرجوع إليه . وقال أنه سيلحق بنا فى زورمت بعد شهر تقريبا .

<u>الثلاثاء ٤ فبراير ١٩٩٣</u>

مرة أخرى أذهب إلى مولوى منصور صباحاً هذه المرة برفقة المقدسى ومختار. هدف الزيارة هذه المرة توضيح الإلتزامات المتبادلة فى عملنا القادم .

كان الرجل متحمسا وسعيدا بالعمل معنا بلا تحفظات. أثناء الحديث دخل علينا مولوى أرسلان رحمانى ، وكنت أبحث عنه منذ أيام .

وقد حضر مولوى أرسلان مؤتمر القادة الميدانين الذى عقد فى جاور مؤخرا.
سمع عن إعتزمنا العمل فى جرديز من طرف زورمت. فقال بأن لديه هناك حوالى خمسمئة مجاهد مع كميات كبيرة من الذخائر والأغذية .
لم أفاتحه فى التعاون المشترك مكتفيا بما قدمه مولوى منصور من قدرات بشرية وتسليحية (كتبها بخط يده فى نهاية مذكرتى الخاصة وقد كانت فى تقديرى أكثر من كافية) .
□ ذهبت ليلا بصحبة أبوالحارث لمقابلة حقانى. كان يستمع إلى إذاعة لندن التى تحاور أحدى الظلمة ـ على حد تعبير حقانى وهو يصف أحد قادة الأحزاب الجهادية فى بشاور ـ كان ذلك "الظالم " يهاجم مؤتمر جاور ويحقر من شأنه .
المفاجأه الكبرى فى المؤتمر أنه ـ على عكس التوقعات ـ حضره وفد يمثل أحمد شاه مسعود ووافق على كل قرارات المؤتمر.
وكان من أهم القرارات هو إختيار مجلس شورى يختار بدوره حكومة للبلاد.
منذ سنوات ومسعود يحاول كسب حقانى إلى صفه وهذه المرة يحاول توحيد نفسه مع القادة الميدانيين، قبل سقوط العظام . وسنرى إستمرار محاولاته تلك حتى عند حدوث الإشتباكات الفعلية بينه وبين حكمتيار داخل كابول وحولها فى إبريل ١٩٩٢" .
فى نهاية الجلسة حضر الجنرال صافى . وهو جنرال سابق فى الجيش الأفغانى فى عهد الملك ظاهر شاه . كان الجنرال يعمل مع جماعة سيد احمد جيلانى (حزب محاز ملى ـ أى الجبهة الوطنية) ولكنه مؤخرا تركهم وإنضم إلى حقانى والجنرال بشتونى متعصب .

الأربعاء ٥ فبراير ١٩٩٢

ليلا أحضر لى المقدسى أزمة جديدة . المموولون يريدون عقد إجتماع حتى يكتب كل طرف ما سوف يقدمه تفصيلا ويوقع عليه . وطلبوا أن يحضر عن القاعدة أبوعبيدة أو أبوحفص ـ وإذا حضر سيف العدل فعليه إحضار خطار توثيق من أحد هاتين الشخصيتين (!!) . كان أمرا غريبا ، وشعرت أنها محاولة لإفشال الإتفاق السابق .

□ قبل سفرنا إلى ميرانشاه عقدنا إجتماعا لتأكيد إتفاقاتنا السابقة قلت لهم أن ميزانية المشروع سوف يستخدم جزء منها لشراء الذخائر لأن المتوفر لدى القاعدة لا يكفى ، وبعض أنواع الذخائر غير موجود . ولا بد أن نأخذ فى الحسبان أن يلقى النظام بثقله ضدنا فوق الممر بإعتبارها نقطه تحسم المعركة كلها، لذا فإن توفير الذخائر المطلوبة أمر حيوى جدا . وأنه أثناء المعارك من المستحيل ضمان الإستعارة أو حتى الشراء من الآخرين. وما حدث معنا فى خوست كان خير دليل . (إذ ان حاجى إبراهيم شقيق حقانى صادر صواريخ كانت فى طريقها إلينا لأنه رأى أنه يحتاجها أكثر . رغم أن شقيقة الأكبر وهو القائد العام ـ هو الذى أرسلها لنا ـ وقت المعركة توقع أن يأتى الآخرون للأخذ منك ، ولا تتوقع أبدا أن يعطيك أحد أى شيئ ـ خاصة الذخائر) .

□ سيمر معنا نماذج عن الحساسيات بين القاعدة (كوادرها فى المشروع) وبين الممولين (ومندوبيهم العاملين معنا) .

الخميس ١٣ فبراير ١٩٩٢

منذ يوم الأحد أعمل فى ميرانشاه كان "عبدالخاق الصينى" ـ كما يطلقون عليه ـ قد سبقنى بيوم ، لتجهيز الأفراد . حصلنا على غرفة فى قلعة تختة بك الكبيرة كى نستخدمها كمخزن لنا . الغرف فى القلعة متسعة جدا وذات سقوف مقوسه ويبدو أنها فى السابق كانت تستخدم كمخازن أيضا.

توجهنا اليوم إلى معسكر "جهاد وال" حيث يستكمل أفراد دورة المشاة تدريبهم. بعضهم سيشارك معنا فى "مشروع جرديز" .

عقدنا جلسة حضرها أبوحفص وكوادر من "جهادوال" لتحديد كميات الأسلحة والذخائر التى سوف يخصصونها للعملية . فكانت أقل كثيرا مما توقعت ـ فحدثت مجادلات خفيفة أثناء النقاش . أبوحفص كعادته يهون كثيرا من الكميات المطلوبة .

كررت مرة أخرى إحتمال أن تتحول المعركة إلى موقعة حاسمة بالنسبة لنا وللعدو الذى قد يركز قوته كلها ضدنا .

محاضرة فى مسجد جهادوال

مسجد المعسكر كان عبارة عن غرفة طينية متسعة . طلب منى أبوحفص أن ألقى محاضرة فى شباب الدورة ـ وكان حريصا على أن ألقى محاضرات فى شباب الدورات كلما تيسرت لى ولهم فرصة لذلك . وكانت تتناول الوضع الأفغانى بشكل خاص والتأثيرات الداخلية والخارجية على مسيرته .

وهذا ما كتبته عن تلك المحاضرة ، كما جاء فى نص مذكرتى :

(بعد المغرب ألقيت محاضرة فى غرفة المسجد عن الوضع الحالى لقضية أفغانستان ، حضرها أعضاء دورة المشاة الذين سيشاركون فى العملية .

شرحت المراحل التى مر بها الجهاد فى أفغانستان منذ الإنقلاب الشيوعى ، ودور أمريكا التى بدأت العمل ضد المجاهدين منذ عام ١٩٨٦ بالمشاركة مع السوفييت ، ثم منفرده منذ أتمام الإنسحاب السوفيتى وحتى الآن ، وأنها تدفع تكاليف الحرب للنظام فى كابول لإفشال الجهاد فى أفغانستان ليكون ذلك مقدمة لإفشال الجهاد فى العالم كله ، وإستسلام المسلمين للحلف الصليبى اليهودى .

شرحت لهم أن معركة جرديز ستكون نقطة تحول إما فشل تام أو إصلاح مسيرة الجهاد والسير به قدما من جديد .

قلت أن حالتنا الراهنة هى بداية جهاد جديد ضد قوة عظمى هائلة ، لهذا قد يطول . لقد إنهار السوفييت بعد جهاد عشر سنوات ، ولا بأس من عشر سنوات أخرى لهزيمة أمريكا .

نحن الآن فى أفغانستان على ثغرة قد يؤتى منها الإسلام ، وسوف يكون حسابنا عسيرا أمام ا إذا أصيب الإسلام بسؤ من قبلنا ، والأفضل لنا من هذا، هو أن نقتل جميعا .

كان التأثر واضحاً على كثيرين ، وظهرت الدموع فى الأعين .

وإن كانت الضحكات قد تعالت عندما شبهت موقفنا بأننا كلاعب كرة قدم إنفرد بالمرمى وأوشك على إحراز هدف فأمسك به الخصم من "الفانلة" ليعرقله .. و"الفانلة" هنا هى المساعدات...

فضحكوا .. ثم أكملت قائلا :

ولكننا سنقلع هذه "الفانلة" ونحرز الهدف بدونها فتعالت ضحكاتهم أكثر) .

□□ □ □ □ □

لماذا خسرنا المواجهة؟؟

تحتاج الكلمات السابقة إلى تعليقات .. منها :

ـ أن أمريكا ساعدت القيادة السوفيتية ممثلة فى جورباتشوف ـ حتى يتخذ قرار الإنسحاب من أفغانستان فى إبريل١٩٨٦، وقت إجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فقدمت له إنتصارا صعبا فى جاور. وحفاظا على كرامة جنرالات الجيش الأحمر قبل شروعهم فى سحب قواتهم فعليا من أفغانستان ـ وحتى يظهر إنسحابهم أنه "إنسحاب المنتصرين !!"ـ أو " سلام الشجعان !!" .

قدمت لهم نصراً أصعب من سابقة على طريق زدران (طريق خوست/جرديز) فى شتاء (٨٧ / ١٩٨٨) ـ **"انظر كتاب خيانة على الطريق" .**

ـ ولكسر ظهر الجمهور الجهادى فى أفغانستان وإقناعة "بالتعقل" و"الواقعية"، تم ترتيب هزيمة كبرى فى جلال آباد عام ١٩٨٩ حتى يتمكن قادة "المنظمات الجهادية" من العملاء فى بشاور أن يدخلوا " مفاوضات السلام" مع الحكومة الشيوعية فى كابول وتشكيل حكومة موسعة تجمع "كل أطياف الشعب الأفغانى "ـ أى العملاء من كل صنف ونوع بحيث يكون المجاهدون مجرد عنصر هامشى .

ترتيب هزيمة جلال آباد للأفغان، سريعا ما تحولت بمبادرة شجاعة من أسامة بن لادن إلى أكبر هزيمة للمجاهدين العرب فى أفغانستان وأكبر مجزرة لهم على الأرض الأفغانية **.(راجع كتاب الحماقة الكبرى) .**

ـ إنقطعت المعونات المالية العربية عن المجاهدين فى أفغانستان (من عرب وأفغان) وبدأ البترودولار يتدفق فى نفس الوقت على موسكو . وكانت الدفعة الأولى هى خمسة مليارات دولار ـ أى مايعادل نفقات الحرب السنوية فى أفغانستان فكان مفهوما أن مال النفط العربى قد عكس إتجاهه وبدأ يمول الحرب من الجانب الآخر !! ومعلوم أن الدولار طبع فى أمريكا ، ويظل فى اليد الأمريكية ، سواء بقى فى أمريكا نفسها أو إنتقل إلى دول النفط العربية .

ـ بعد عشر سنواتمن هذه الكلمة (أى فى عام ٢٠٠١)، تمكنت الولايات المتحدة من القضاء على عرب أفغانستان بشكل شبه كامل ـ ما بين قتيل وأسير ومطادر شريد وعلى الجانب الأفغانى تلقى التيار الإسلامى المجاهد ـ ممثلا بالعمق الشعبى الذى تقوده حركة طالبان ـ تلقى ضربة موجعة للغاية ولكن ليست قاضية .

وكان المفروض أن تكون الحرب الأمريكية على أفغانستان حرب نهائية وقاضية على التيار الجهادى (عربى وأفغانى) الذى قاتل وإنتصر فى أفغانستان .

كان المطلوب أمريكيا :

١ ـ القضاء على خزان الخبرة القتالية الإسلامية (العربية بوجه خاص) التى تكونت فى أفغانستان خلال ثلاث عشر عاما من القتال الضارى . وهى خبرة لا تقدر بثمن ـ ويستحيل تكوينها فى أكاديميات عسكرية بغير الممارسة الشرسة التى حدثت فى أفغانستان .

٢ ـ القضاء على خزان القوة المعنوية (العربية بالذات) التى تشكلت فى أفغانستان كنتيجة لممارسة جهادية عنيفة ضد أقوى جيش برى فى التاريخ (كما كانوا يقولون فى الغرب عن الجيش الأحمر وقتها).

٣ ـ وأخطر ما فى تلك القوة المعنوية هو إعادة إكتشاف حقائق قرآنية من أن الإيمان والتوكل على ا ، وبذل أقصى الجهد والإمكانات كافة (أى الجهاد)، إن هذه القدرة المعنوية الإيمانية هى السلاح الحقيقى لقهر أى قوة طاغوتية أرضية تدعى "العظمة " وتستعبد البشر لأطماعها البشعة .

وكانت أمريكا ترى إنها معنية مباشرة بتلك الدروس، المعنوى منها والعسكرى ـ وكانت إسرائيل ترى أنها المستهدف الأول لكل عربى وعى الدرس فى أفغانستان .

وكانت الأنظمة ترى أن تلك الدروس سوف تتسبب فى تصدع مبررات وجودها ، وأهمها حماية أمن إسرائيل ، وحماية الإستنزاف الأمريكى لموارد

المنطقة، وفى الأول والأخير إبقاء الإسلام خارج نطاق العمل الإجتماعى والسياسى، بل والشخصى إذا أمكن . بل ومطاردته فى الشارع والبيت وحتى داخل الضمائر.

إسرائيل ترى أنها مهددة من أى إنبعاث إسلامى فى أى نقطة على سطح الارض ، فما بال إذا كان الإنبعاث جهاديا ، وشمل مجموعات من الشباب من كافة المنطقة العربية ، التى ترى فيها اليهودية الدولية، أرضها الإمبراطورية وحقها التاريخى ، وجزء صغير من مجالها الحيوى وملكها التوراتى ـ الذى يشمل العالم كله !!.

إذن الأقانيم الثلاث غير المقدسة عملت فى تحالف نشط وشرس منذ اللحطة الأولى لإعتزام السوفييت ترك أفغانستان، من أجل تصفية التواجد الجهادى العربى ماديا، فى شخص القائمين عليه، ومعنويا فى ذات الجهاد كمكون أساسى من الدين الإسلامى.

تم وصم الجهاد وتغيير تسميته إلى "إرهاب" ـ وتشويه المجاهدين بتغيير مسماهم إلى "إرهابين" وتغيير إسم الإسلام إلى "الأصولية". وبدلا من معسكر الشيطان أسموا أنفسهم معسكر"الديموقراطية" التى جعلوها ديانة دولية لا يجرؤ أحد على مجرد نقدها. وشنوا الحرب على الشباب المجاهد والمسلمين بشكل عام بإعتباهم "قوى غير ديموقراطية " ، وأصبحوا غير مقبولين فى الشأن العام سواء دخلوا إليه من صندوق الإنتخابات أو بالبندقية ، أو حتى تقوقعوا داخل المساجد التى أممتها الحكومات وحولتها إلى مساجد ضرار وإرصاد لمباحث قمع الدولة والمخابرات بأنواعها. فأصبح التردد المنتظم عليها شبهة ، وإطالة المكوث بها جريمة ، والخطابة غير المرخص بها ، إرهاب وجريمة أمن دولة .

<u>لكن لماذا هزم العرب فى هذه المواجهة :</u>

ـ لم يكن الشباب العرب جاهزون لمعركة بهذا الإتساع والتعقيد والشراسة . كانوا أفردا صغار السن وبدافع الحماسة العاطفية ، وبتحريض من العلماء (السلاطويين

وغيرالسلطويين) وتحريض الإعلام (الإسلامى وغيرالإسلامى) جاؤا لأجل الشهادة ومعاينة "الكرامات" التى شاع الحديث عنها بشكل مبالغ فيه .

ـ القيادات التى تولت زمام العمل العربى كانت هى الأخرى خارج التصور الصحيح لأبعاد المعركة وتعقيداتها ـ سواء المعركة مع السوفييت أم المعركة التى فرضت عليهم فور نجاحهم فى حربهم الأولى، مع أمريكا وحكومات بلادهم والعالم!!.

فالغرب لم يمهلهم كى يستوعبوا ما حدث أو ماسوف يحدث، فهاجمهم فورا وقتل منهم من قتل وإعتقل من إعتقل .

ـ الذهنية السلفية لم تكن، ومازالت، غير مؤهلة لصراعات عالمية من هذا النوع . فهى أيدلوجية معزولة إسلاميا ، وذات طبيعة محصورة ضيقة ، وميالة إلى التفتيت حتى داخل الصف السلفى نفسه، <u>بالبحث دوما عن الخلافات الفارقة بين الفرق وليس المشتركات الجامعة بين المسلمين.</u>

وبالتالى كانت الكتلة العربية معزولة فقهيا (وعقائديا !!) عن الأفغان ومعزولة عن أى عمق شعبى داخل بلادها نفسها . ومحرومة من إمكانية أى إتحاد حقيقى فيما بينها .

التيار السلفى نفسه يفتقر إلى مرجعية فقهية موحدة . فقد بدأ التيار الجهادى السلفى فى السبعينيات بمرجعية فقهية سعودية (بن باز) ثم إنتهى إلى جماعات لا حصر لها لكل منها مفتيها الخاص . فمن أبجديات السلفنه "عدم التمذهب" ، وأن يستخلص كل فرد بنفسه ما يحتاجه من أحكام ، فأصبح كل سلفى أمة قائمة بذاتها ومرجعية لا تحتاج إلى شيئ من خارجها وعلى الأكثر يحتاج فقط إلى "صفة" الجماعة .

□ الرؤية السياسية للسلفية إما أنها غير موجودة أو أنها ضيقة للغاية بحيث يتحول الجهاد معها إلى كونه نشاط قتالى ليس لأمة المسلمين بل **<u>لفرقة دينية مسلحة</u>** .

وبالتالى يصبح القتال الإسلامى الداخلى هو الأقرب تناولا ضد من تراهم "السلفية التاريخية " كفارا، مثل الشيعة والصوفية على وجه الخصوص ـ وهذا ما فعلوه فى العراق ، وحاولوا فعله فى أفغانستان لكن الفرصة لم تكن سانحة لذلك .

لكن قيادتهم فى أفغانستان (بن لادن) ضحوا بالشعب الأفغانى الحنفى المتصوف (المشرك !!) فداء قضية المقدسات فى بلاد السلفيين والعقيدة الصحيحة "السعودية" .

أى بشكل ما، جعل الحرب بين الكفار (أمريكا وحلفائها) والمشركين (الأفغان!!) ـ وكان بعضهم قد أفتى سابقا وقت الحرب الأفغانية السوفيتية بأنها حرب بين المشركين والكفار .

ويبدو أن "القاعدة" طبقت تلك القاعدة فى أفغانستان وإن بشكل أقل فجاجة. فقال "منظروها" أنهم إستدرجوا أمريكا إلى حرب فى أفغانستان(!!). ثم إستدرجوها مرة آخرى لحرب فى العراق (!!). ولا يدرى أحد لماذا لم يستدرجوها إلى القتال فى السعودية طالما أن القضية هى تحرير المقدسات، وتحرير جزيرة العرب من المشركين؟؟ . فما بال جزيرة العرب آمنة مطمئنة تنعم برغد العيش والعلم الأمريكى يرفرف على أرجائها من صنعاء حتى تبوك ومن الظهران والدمام وحتى جدة وعدن؟.

□ □ □ □ □ □

بعد المحاضرة قال أبوحفص أنه سيشارك فى العملية ، ثم أضاف ضاحكا ـ "على شرط أن أكون الأمير " ـ وافقته فورا ، وكنت جادا فى ذلك ، فقد كنت أرى أنه أفضل منى فى ذلك العمل، فإلى جانب كفاءته، هناك على الأقل سببين آخرين :

الأول أنه أقرب إلى الشباب العرب المشاركين ، فكلهم تقريبا تدربوا فى المعسكرات التى يعتبر أبوحفص مشرفا أعلى عليها .

والسبب الثانى أن بإستطاعته الحصول على أكبر قدر من الإمكانات المالية والتسليحية المتاحة لدى القاعدة على الأقل .

ثم أن معركة جاجى ١٩٨٦ كانت رصيدا أدبيا لا ينفذ مازال يتمتع به أبوحفص مع أبوعبيدة ، فمازالت المعركة فى الأذهان .

طالبت فى كلامى "مبشر"، من كوادر القاعدة والمسئول الإدارى لعمليتنا المطار٩٠ " ، وطالبت كل الآخرين بالمشاركة حتى أسامة بن لادن - إذا حضر إلى بشاور وكان خارجها - وقلت أنها مسئولية ثقيلة على الجميع .

"مبشر" بدأ متحمسا وهذا شيئ نادر جدا ، والجميع على ثقة - أو أمل كبير على الأقل - بأن مدينة جرديز سوف تفتح .

□ كان من المفروض أن نقابل اليوم الضابط الأسير "عبدالجبار" الذى أسر فى معارك جرديز الأخيرة - تأجل ذلك إلى يوم السبت لعدم وجود المسئول عن الأسرى

* الثلوج تملأ الجبال والطرق بشكل لم أراه قبلا فى تلك المناطق . خلال الأيام الثلاث الماضية ملأ الثلج كل مكان . المنظر الأجمل هو الحمائم التى تستمتع بأشعة الشمس الواهنة فوق الغرفات الطينية للمعسكر . كانت حلما جميلا للسلام ..الخادع!!.

السبت ١٤ فبراير ١٩٩٢

ونحن نتهيأ للرحيل بالسيارة جاء شاب من المتدربين يعدو نحونا ، ولما وصل قال :

- "إن جرديز ستفتح بإذن ا " .

ثم أكمل بأنه رأى رؤيا، بأن شخصا جاء من طرف مجموعتنا على ممر طيرة ويقول له أن جرديز سوف تفتح فى ١٥ رمضان. (أى ١٩مارس ١٩٩٢) .

(سنرى أنه فى هذا التاريخ تماما استسلمت مزار شريف ثم بدأ تتابع إستسلام المدن حتى سقطت جميعا، حتى استسلمت كابول فى٢٥ إبريل بعد أن إستسلمت جرديز فى ٢٢ إبريل).

فأخبرته أن ذلك سيكون بإذن ا ، وأن الكثير من إخواننا العرب حول جرديز - من جماعة أبوالحارث - شاهدوا عدة رؤى يبشرهم فيها الرسول صلى ا عليه وسلم بفتح مدينة جرديز ويوصيهم بالصبر .

السبت ١٥ فبراير ١٩٩٢ صباحاً فى ميرانشاه إستجوبنا الضابط الأسير "عبدالجبار" سألناه عن كل شيئ حتى لا ينتبه إلى إهتمامنا الحقيقى . حصلنا منه على الكثير من المعلومات الهامة بالنسبة للوضع العام فى جرديز وبالنسبة لعمليتنا بشكل خاص .

ما أثارنا أكثر هو ماقاله عن وجود مخازن خارج المدينة قريبا من من المضيق ، وذلك لتفادى مدفعيات المجاهدين ، التى تطال المخازن التقليدية داخل المدينة ، وأطلق على تلك المخاذن إسم (أوفشور) . وأعطانا أوصافها بدقة .

أثار ذلك حماسنا وشهيتنا للإستيلاء على تلك المخازن عند الإستيلاء على المضيق ، وبذلك نحل مشكلة الذخائر المزمنة لنا وللمجاهدين .

 ليلا كنا فى زيارة لمولوى منصور فى مكتبة ـ كان عنده عدد كبير من طلاب الشريعة (طلبان) . كان معى أبوحفص وعبدالخالق الصينى وعثمان الصعيدى .

تكلمنا عن مشروع جرديز وأن تعاونه مع حقانى أمر بديهى وحيوى . فأعرب عن إستعداده للتعاون مع حقانى ،ولكن أبدى تشككا فى إمكان حقانى أن يستمر فى ظل الأزمة المالية الخانقة التى يعيشها ـ ثم تساءل مولوى منصور عن توفير الذخائر لباقى قواته فى زرمت .

فأوضحنا له أننا ننوى توفير الذخائر لكتيبتين. واحدة من رجاله،وإختار لها إسم "ابوعبيده"،وتعدادها مئتى شخص. وكتيبة أخرى من مئتى شخص من العرب وأسميناها خالد، والكتيبتان معا تكونان فرقة واحدة للعمل فى"المشروع" وإسمها اليرموك. طلبنا منه التأكد من موقف حقانى فى موضوع التعاون المشترك فى العمليات القادمة. فأبدى إستعداده للإجتماع معه. ثم طلبنا إشراك مولوى أرسلان ومولوى محمد حسن فى العمليات القادمة فوافق.

أجمع الإخوة على ضرورة سفرى لمقابلة حقانى والتأكد من موقفه إزاء التعاون مع منصور والآخرين .

الأحد ١٦ فبراير ١٩٩٢

غادرنا ميرانشاه صوب بشاور فى سيارة مختار . كان معنا أبوحفص وطوال الطريق نتناقش فى العملية القادمة ـ وأهمية معلومات "عبد الجبار" خاصة مخازن "أوفشور" وتحدثنا عن دور المدفعية فى العملية ، والتمهيد للهجوم الأرضى .

قال أبوحفص أن مجموعة ممتازة سوف تلتحق بالعملية وأن قوة الكوماندوز الملحقة بالعملية ستصل إلى ما بين ١٢٠ إلى ١٥٠ فرد بعد إلحاق مجموعة من الباكستانيين من جماعة فضل الرحمن بالقوة .

لدى عبدالخالق الصينى ستون شخصا حتى الآن . عند وصولنا علمنا أن حقانى غادر إلى مدينة "تل" فى نفس اليوم .

الأثنين ـ الثلاثاء (١٧ ـ ١٨ فبراير ١٩٩٢)

سيكون حقانى وأرسلان فى بيشاور وعلينا مقابلتها هناك. أرسلان مفوض بحل مشاكل توزيع غنائم خوست عمل فى هذه المشكلة كعنصر توفيق وتحكيم . لقد إنتهت المشكلة منذ أسبوعين تقريبا . لكن ظهرت مؤخرا مشاكل صغيرة .

ليلة الأربعاء كانت لنا جلسة فى بيت أبوحفص .

حديثنا كالعادة كان حول جرديز وأهميتها . تكلمت عن ضرورة حضور أسامة بن لادن (أبوعبدا) تلك المرحلة الأخيرة من العمليات فى أفغانستان، وهى التى ستكون فاصلة بالإجماع، فإما أن تصلح المسار ، أو أن يضيع كل شيئ .

أبوحفص أكد أنه سيحضر معنا لممارسة أى دور . فقلت له "إنى سأترك لك القيادة لأن الكتيبة لكم ، واليرموك "الفرقة" أنتم أبرز قواتها .

ثم أوصيته مرة أخرى أن لا تنحل هذه القوة بعد نهاية المعركة بل أن تستمر وتتوسع ويكون لها إعلامها الخاص ، والتمويل الخاص من التبرعات.

ورشحت أسامة بن لادن أن يكون "رمزا" للفرقة وناطقا رسميا لها ، وقلت أننى أتوقع أن تصبح هذه القوة هى الأكثر فعالية على الأرض الأفغانية .

(بعد أداء أسامة بن لادن فى معركة جاجى ١٩٨٦ ـ ثم معركة جلال آباد ١٩٨٩ وأسلوبه الفردى فى القيادة كنت أنصح ألا يتولى أى قيادة فعلية ، بل أن يستفيد من سمعته العالية ومصداقيته فى أن يكون رمزا لتيار جهادى ـ وهكذا نصحته بعد عودته إلى أفغانستان عام ١٩٩٦ ـ أن يتخلى عن قيادة تنظيم القاعدة لأحد رجاله ، أو أن يحل ذلك التنظيم ـ وأن يتولى

هو قيادة تيار جهادى إسلامى أممى/وليس حزبا أو تنظيما/ يرفع شعار المقدسات الإسلامية من الإحتلال الأمريكى الإسرائيلى) .

□ □ □ □ □

<u>الإثنين ٢٤ فبراير ١٩٩٢</u>

شاحنة من طراز "هينو" تمتلكها القاعدة بدأت فى نقل الأسلحة والذخائر والبترول إلى مخزننا الجديد فى قلعة "تخته بك" الكبيرة، فى مدينة خوست .

كانت خطتنا أن تكون " تخته بك" هى مركز تموييننا الرئيسى، وفيها يتجمع كل شيئ يتصل بالعملية ـ سواء كان من المعسكرات أو من ميرانشاه .

حتى يتم نقله فى خطوة تالية إلى "زورمت " وفيها يكون مخزوننا الرئيسى فى منطقة العمليات، ثم خطوة أخيرة ننقل فيها المهمات إلى مخازن الخط الأول ـ والمفترض أن تكون مغارتنا المعلقة فى منطقة "أودكاى" .

ونظرا لطول خط التموين هذا فإننا نسعى إلى إختصاره بشراء كل ما يمكن شراؤه من مستلزمات للعملية من منطقة شرخ. وحتى الذخائر نبحث عن مصادر لشرائها وإستكمال النقص فيها من المناطق التى حولنا ، خاصة منطقة غزنى ـ كما إتصلنا ببعض التجار فى زورمت لشراء الذخائر التى نحتاجها. وطلبنا من مولوى منصور أن يرسل رجاله للبحث عن ذخائر للبيع لدى أصدقائه من الشيعة فى منطقة عزنى. وكانت أسعار الذخائر فى داخل أفغانستان أقل كثيرا من مثيلاتها فى مناطق باكستان القبلية. "الهينو" نقلت أول شحنة من براميل النفط إلى مخزن "تخته بك" .اليوم سقطت من الشاحنة "سهوا" مجموعة من الصواريخ ـ ١٢٥ صاروخا ـ عاد سائقنا العربى بسرعة للبحث عنها فوجد نصفها فقط . كان حادثا سيئاً .

******

تحريض على السرقة

□ فى خوست قابلنا مولوى حقانى لسؤاله عن حالة الطريق الجبلى الجديد (فخرى ـ نارای ـ زرمت) فقال أنه مازال مغلقا بالثلوج ـ ولا يدرى إن كان " والى خان " قد تحرك لفتحه بالبلدوزر وكنا قد أمددنا والى خان بكميات كبيرة من الديزل وزيوت للمحرك والهيدروليك لتشغيل البلدوزر .

كان مهما لنا إستطلاع آراء ومواقف حقانى حيث أنه الرقم الأساسى، وربما الوحيد، فى معركة جرديز القادمة ـ والسابقة ـ وكان كلام مولوى منصور من أن حقانى لن يستطيع الإستمرار فى ظل أزمته المالية ، قد أثار قلق الجميع .

وهناك إشاعات عربية فى بشاور تقول أن حقانى قد تخلى عن العمل العسكرى.

(كان هناك جهاز عربى محترف لبث الإشاعات فى بشاور بما يساند الخطة الأمريكية فى المنطقة ـ فكانت الكثير من الإشاعات السوداء ـ أى الكاذبة تماما ـ تظهر وبسرعة تغمر الأوساط العربية كلها بسرعة البرق بدون وضوح مصدرها. ولا شك أن ذلك كان واحدا من جوانب متعددة للنشاط الإستخبارى العربى ، فى حجب الحقائق من جانب ، وبث الإشاعات والأكاذيب من جانب آخر) .

<u>وكان مما قاله حقانى فى جلستنا معه :</u>

□ لو أننى لا أريد مواصلة القتال، فلماذا أبقى فى الجليد طول الشتاء ؟

سوف نواصل العمل العسكرى مهما كانت العقبات .

□ باكستان طالبتنا برد الذخائر التى سلمتها لنا ، وقالوا أنهم أودعوها لدينا على سبيل الأمانة.

وكنا قد أعدنا إليهم بعضها سابقا ، على أساس أنهم سينقلونه إلى ولايات شمال أفغانستان ـ ولكنهم نقلوها إلى "نوشهرة" ـ المدينة العسكرية قرب بيشاور .

فأوقفنا تسليم الذخائر لهم . فجادلونا بأنها أمانة يجب ردها ، فقلت لهم : " إنها أمانة لديكم لنا حتى نصرفها على الجهاد فى سبيل ا ، وهذا ما نفعله ولا ندخر الذخائر لقتال المسلمين " .

فغضبوا منا وقالوا : " إن ذلك سيؤثر على تعاوننا معكم، سلموا الذخائر وسوف نيسر لكم الحصول على إعانات إعادة الإعمار فخذوا جزء منها واصرفوا على "الجهاد" رفضنا العرض فتوترت العلاقات كثيرا .

(تعليق: كان هناك تحريض على الفساد ، ومحاولات مدروسة للإفساد فى الأوساط التى مازالت تعمل للجهاد سواء فى الجانب الأفغانى أو الجانب العربى .

بمعنى أوضح هنا تحريض مباشر على سرقة المال العام وتسهيل ذلك للمجاهدين وبكل السبل .

ما قام به الجواسيس الباكستانيون من تحريض حقانى على أخذ أموال إعادة الأعمار كى ـ ينفقها على الجهاد ـ قاموا به أيضا مع مولوى أرسلان ورفضه أيضا كما رفضه حقانى وقال لهم: أنتم بذلك تجعلوننى رئيسا للسارقين . كيف آخذ أموالا جاءت لبناء مدارس وطرقات ؟ .. كل الناس عندها سوف تمسك بخناقى ويقولون : سرقت أموالنا) .

* على الجانب العربى كانت المحاولات أشد إذ وظفوا كثيرين من فطاحل الجهاد الذين أقعدهم الفقر وإحتياجات العيال عن مواصلة الجهاد . ووضعت أموالا بعشرات الألوف من الدولارات ، بلا أى قيود مالية ، وأرسلوهم إلى الخارج فى مهام شراء لمعدات مشاريع إعادة الإعمار ، مع كل التسهيلات اللازمة لعمليات الإختلاس .

أكثر العرب رفض الوقوع فى ذلك الفخ وقليلون فعلوا، ولكن تحت مظلة "تكفير تلك المؤسسات " و"إستحلال سرقة أموالها" .

موجة السرقات طالت خزينة مجلة "منبع الجهاد" التى كنت أعمل بها ومعى العقيد مكاوى .. وكانت المجلة تتمتع بعداء سعودى شديد . أما السرقة فى ظلال أحكام التكفير فقد طالت ميزانية مشروعنا فى جرديز فى محاولة فاشلة للسطو عليها فى بيت العرب فى ميرانشاه بواسطة أفراد أنشقوا عن القاعدة وكفروها) .

 فى ذلك اللقاء قال حقانى أيضا أن كافة المعونات القادمة من باكستان والسعودية قد توقفت ـ وأنه يحاول السفر إلى دول الخليج لتدبير بعض الأموال. وكان يفضل أن يقوم بذلك النشاط فى شهر رمضان حيث يكون الناس فى حالة روحانية مستعدة للعطاء.

 ثم وافق حقانى على عملنا مع مولوى منصور على ألا نسلم معونات أو ذخائر إلا فى الجبهة .

 قال حقانى أنه على موعد مع قادة لوجر. وطلب منى أن أشارك فى الإجتماع فقلت له أن لا فائدة من ذلك ، كونى لا أتحكم فى أى إمكانات، فالإمكانات مع غيرى. ثم أن أبوعبدالرحمن الكندى قد إتفق فعلا مع حكمتيار، ومع "معلم نور" المحسوب على سياف فى لوجر ـ ومع من تبقى من فرقة "لشكرايسار" كى يعملوا سويا فى لوجر . وطالما أن حكتيار دخل فى هذا الإتفاق فإن لن يسمح بدخول حقانى فيه .

 وصل " أمير الفتح " حتى أرتب معه خطة الإمداد للعمليات القادمة ـ وكان إمير يمثل القاعدة ـ كان هذا العمل لا ينفصل عن عملية تمويل المشتريات والتى يشرف عليها "مختار" مندوبا عن بيت الأنصار ، أى مندوبا عن الجارود.

تناقشنا نحن الثلاثة عن كيفية تنسيق عملية الشراء،"أمير الفتح"،مع عملية الدفع "مختار" ، عبر محاسب سيعينه بيت الأنصار حتى نجرى فى النهاية حساب تكاليف للمشروع كله .

كان الإتفاق بسيطا ومنطقيا وسلساً، لأن الدفع والشراء والمحاسبة سيكونان فى ميرانشاه فى مكتب خاص للعملية فى بيت العرب الذى تديره القاعدة ـ والأشخاص ثلاثة فقط أمير ومختار والمحاسب .

مخازننا الرئيسية للعمليات ستكون فى زورمت . وهناك أيضا ستتم عمليات شراء سواء للذخائر أو للمهام الأخرى .

فهناك إذن من سيشرف على تنظيم الإمداد والشراء والمخازن وأيضا المحاسبات.

كنت أرى أن إشراك الممول معنا فى العمل الميدانى يجعله أكثر قربا من نبض العمل العسكرى وتحمساً له ، خاصة وأن "مختار" وهو شاب مجاهد قديم ويكفيه فخرا أنه من المشاركين مع أبوعبيدة وأبوحفص فى أول كمين عربى للكوماندوز السوفيتى ، وكان نجاح الكمين مبهرا. ومن الشائع أن مختار تحديدا كان أول من أطلق النار على السوفييت . لذا فهو شاب ثقة جدير بالإحترام ومشاركته الميدانية معنا ستكون إضافة إيجابية للعمل، إذ سيكون مدافعاً عن إحتياجات العمل ومتحمسا له.

وقد كان كذلك لولا التناطحات بينه وبين مواطنه "عبد الخالق الصينى " .

عبد الخالق كان مدربا كفؤا شديد المراس وعنيفا ـ وإن كان على خلق رائع ومهذب للغاية . وكان سيقود المشاة والكوماندوز الذين قدمهم القاعدة لعملية (مضيق طيرة) ، وهذه ستكون تلك أول تجربة حقيقية له ـ وقد خاض قبلا تلك الإشتباكات المحدودة التى كانت فى جلال آباد أو خوست.

أما الآن فلدينا عملية كبيرة ومتشعبة على ساحة أرض مثالية للقتال وممتدة لعدة كيلومترات ، وسنخوضها بالمشاة والمدفعية والدبابات. إنها حرب حقيقية وتاريخية بالنسبة لأى مشاركة عربية سابقة .

والحالة النفسية والمعنوية كانت مرهفة للغاية ، وكان هناك تصميم من الجميع من القيادات والأفراد بدون إستثناء هو أننا إما نربح ونحتل الممر أو نموت جميعا ولا نشهد إنهيار كل شيئ فى أسطورة الجهاد فى أفغانستان .

لم أشاهد مثل تلك الحالة المعنوية من قبل ـ بل لم أكن أوافق على هذا الطابع "الإستشهادى" فى العمليات. ولكن الآن جاء الوقت الحاسم :

إما أن نربح الآن أو نقتل الآن .

هكذا دخلنا المعركة... أو على الأقل جهزنا لها .. ولكن كأن ا شعر بصدق نوايا العديد من المجاهدين الأفغان والعرب فأنعم عليهم بفتح كبير .. بإستسلام العدو وبدون خسارة أى شهيد .

□ كنت حريصا على أن تكون العلاقات أخوية وحميمة داخل كل مجموعة وبين المجموعات المختلفة، عربية وأفغانية. كان مستحيلا أن نحصل على وضع مثالى ، فالواجب إذن حصر التناقضات ومنع تصاعدها. أما منعها نهائيا فأمر مستحيل عملياً، لأن هناك طبائع بشرية متنافرة بطبيعتها ـ وهناك أفكار وعادات مترسبة يصعب إزالتها فى عدة أسابيع أو أشهر .

الأهم هو تجنب الصراعات التى قد تقود إلى مكائد أو إفشال متعمد للعمل أو .. إشتباكات لا قدر ا وهذه قمة المأساه والفشل المؤكد.

□ أتفقت على خطة العمل مع مختار وأمير الفتح (نسيت أن اذكر أن أمير هو من أبطال معارك يوليو٨٩ فى جلال آباد ـ **أنظر كتاب الحماقة الكبرى ـ فقرة بعنوان : أمير فى الخط الأول) .**

بعد الإتفاق ، وكان عبد الخالق حاضرا ـ فكلمنى بغيظ مكتوم ، وحملنى مسئولة التنازل الذى قدمته إلى مختار(!!) وقال أنه "أى عبدالخالق" مسئول فقط عن جماعته ، وغير راضى عن الإتفاق .

<u>على أثر ذاك الموقف الإنفعالى من عبدالخالق كتبت الملاحظات التالية فى مفكرتى :</u>

(أظن أن الأسلوب الذى أتبعه مع فرقتنا " اليرموك " شبيه بأسلوب حقانى مع القبائل . والفكرة هى أن تأخذ من كل طرف أقصى ما يمكن أن تـقنعه بأن يعطيه ، وتكون المحصلة هى تحقيق الحد الأدنى من الهدف النهائى المشترك .

والحالة النفسية للجميع هى عدم الرضا التام مع الإحساس بأن الأمور تسير بطريقة لا بأس بها . والنتيجة هى توافر إمكانية تحقيق إنجاز كبير نسبيا فى ظل حالة التفرقة الحاصلة وعدم الإندماج الكامل تحت قيادة مقتدرة .

فحقق فتح خوست فى ظل هذا "الوضع السياسى" . وكذلك الإنجاز الحالى والهائل ، المتمثل فى إختيار حاكم "والى" للمناطق المحررة فى باكتيا . بعد نظر حقانى وصبره اللامحدود جعلا كلا الإنجازاين ممكننا . أظنه قائدا حقيقيا من الطراز النادر ـ أيضا نادرون من يدركون تلك الإمكانية فيه).

□ لا بد من ملاحظة أنه من المستحيل فى أوضاعنا الحالية ـ وأظن أن ذلك صحيحاً فى كل مجتمع بشرى ، من المستحيل تحقيق مسيرة مثالية .
ولكن الممكن فقط تحقيق مسيرة عملية . أى لابد لنا من "التعايش " مع عدد من الأخطاء وأوجه القصور والحلول الوسط ، التى لايمكن تفاديها فورا أو حتى فى وقت قصير . ويكمن فى القيادة فى تفادى تلك السلبيات التى تشبه الجنادل الصخرية فى مجرى النهر . ينبغى ألا توقف تلك العقبات الصخرية مسيرة النهر ولا أن تحطم السفن المبحرة فيه . ويمكن فى أحوال قليلة توظيف تلك السلبيات بشكل إيجابى .
على سبيل المثال توظيف العصبية القبلية المجنونة فى صد معتدى خارجى .
وتوظيف الشجاعة الجاهلة فى قمع معتدى غاشم) .
****

الثلاثاء ٢٥ فبراير ١٩٩٢

تحركنا من ميرانشاه فى قافلة مكونة من أربع سيارات "بيك أب" فى طريقنا إلى زورمت مرورا بمدينة خوست التى وصلناها بعد المغرب .
وصلنا معسكر لجماعة مولوى منصور فى خوست وكان لأفراد المعسكر مجموعة بيوت طينية ـ كانت لحكومة خوست .
وكان "أبوعبيدة المقدسى" يشرف على ذلك المعسكر على إعتبار أن المتدربين فيه مرشحين للإلتحاق بمشروعنا فى جرديز .
خصصوا لنا غرفتين متجاورتين لمبيت أفراد القافلة . العديد من السقوف مثقوب بفعل القذائف ، والأبواب إنتزعت جميعا بفعل "الغنائم" وحل محلها بطاطين وأقمشة ، وقطع البلاستيك ، فتسلل البرد بسهولة والمنظر العام كان بائسا .
سمعنا فى المعسكر أن المجاهدين والقبائل قد إختاروا ـ بالاجماع ـ مولوى نظام الدين ، حاكما "واليا" على باكتيا . الخبر أفرحنا كثيرا وقررنا الذهاب لتهنئته فى مقره فى قلعة تخته بك الكبيرة .

إستقبلونا هناك فى غرفة صغيرة بها مدفئة صغيرة . جاء الشيخ وقمنا نهنئه مبتهجين ونناديه بلقب (والى باكتيا) فابتسم ضاحكا وقال: بل إن الإتفاق أن أكون واليا لباكتيا وباكتيكا معا ، وعلى أساس أن تكون الحكومة إسلامية .

كنا فى غاية السعادة والإنشراح والرجل يشرح لنا الأوضاع الجديدة . قلت للرجل أن ما فعلتموه هو فتح جديد يضاف إلى فتح خوست ولا يقل عنه أهمية . كان ذلك هو رأى جميع إخوننا من أعضاء القافلة . وإعتبرناها ضربة قوية جدا للمجهود الصليبى الدولى من أجل رسم مستقبل أفغانستان .

 عدنا إلى مقر المعسكر التدريبى لجماعة منصور من طلاب الشريعة .

حضر إلينا مولوى أرسلان رحمانى وكنت أبحث عنه لاشراكه معنا فى عمل مشرك يضم أيضا العالمان منصور وحقانى .

كان مما قاله مولوى أرسلان فى تلك الجلسه :

 إن باكستان موقفها سيئ جدا ، فقد أوقفت المساعدات المالية والعسكرية ، وقالت لنا إقبلوا أموال إعادة الإعمار وأنفقوا منها على الجهاد . (سبق عرض موقف ارسلان من ذلك الاقتراح) .

 عرضت على حقانى والآخرين تكوين قوة مشتركة للقتال والحفاظ على الأمن ـ فكل واحد منا أصبح ضعيفا بالنسبة للسابق ولا يستطيع الإنفاق على قوة كبيرة .

 على سبيل المثال . الناس فى الأورجون كانوا يقولون إن فى أرسلان أحد عشر خصلة من خصال الأولياء. والآن هناك من يقول أرسلان قتل الناس ويركب "الباجيرو" من أموال المجاهدين ولا أستطيع فعل شيئ. فى السابق أمرت بإعدام ثمانين عنصراً من عناصر الميليشيا الشيوعية. وتكرر ذلك عدة مرات بأعداد مختلفة.

* قلت له نريدك بالضبط من أجل ذلك الشيئ الذى تسعى إليه، أى تكوين قوة مشتركة معك ومع حقانى ومنصور فى جرديز .

حبذ الفكرة وقال: أنتم تصلحون بين حقانى ومنصور فكلاهما على علاقة طيبة معك، وأنا مستعد لتقديم كل ماتحتاجونه من رجال وسلاح وغيره . فقلت له نحن لا نحتاج لشئ سوى تكوين قيادة واحدة وخطة عمليات واحدة معكم .

قال : سأحضر إليكم إلى زورمت بعد رمضان إن الثلج سيستمر إلى الخامس عشر من شوال . ثم أنصرف مسرعاً إلى بشاور .

أعطانى ذلك شعوراً بأنه يخفى أشياء كثيرة ، وهذا سر عدم حماسته أو إستعجاله لإنجاز المشروع .

****

الصراع مع الجنرال "ثلج " والجنرال " طين "

مقدمة:

السباحة تنهك البدن سواء كانت مع التيار أو ضده . ولكن السباحة مع التيار أيسر كثيرا . والحرب أيضا صعبة فى كل الأحوال لكن إذا كانت تراعى قوانين الطبيعة ولا تصطدم معها تكون أيسر نسبيا.

فى الحرب تكون مجاراة قوانين الطبيعة متمثلة فى إحترام خصائصها فى كل شيئ فى الملبس والطعام وأنواع المعدات ، وأساليب الحركة والتوقيت ، وحتى الألوان .

من المشهور عن الروس أنهم إستخدموا قوة الطبيعة إلى جانبهم واستدرجوا الخصم إلى مجافاة تلك القوانين حتى تضبطه الطبيعة فى حالة تلبس فتقصم ظهره .

فعلوا ذلك مرتين الأولى مع نابليون . فإنسحبوا أمامة طويلا حارقين كل ماخلفهم ، وهو يتقدم فى عمق أراضى لا نهاية لها ، حتى داهمه الشتاء، وهو وجنوده فى ملابس الصيف فكان لابد من إنزال العقاب الرادع بالهلاك والهزيمة .

 قصة الروس مع هتلر كانت أكثر مأساوية لأن أخطاء هتلر كانت مركبة فصادف عقاب طبيعى مركب .

خطأه الأول : لم يحترم طبيعة الأرض الروسية وعاملها كما عامل الأرض الأوربية. المعدات الألمانية كان أداؤها رائعا على أرض أوربية مكسوة بالطرق الحديثة المسفلته لذا كانت تستخدم الاطارات الكاوتشوكية ـ تلك المعدات نفسها لم تقبلها الأرض الروسية المتربة التى تفتقر إلى الطرق المسفلته ، وما أن بدأت أمطار الخريف تهطل حتى تحول الريف الروسى كالعادة إلى أكبر بركة طينية على ظهر الأرض ، فساخت المعدات الألمانية فى الطين ، وإلى جانبها الجنود فى طوابير ممتدة إلى عشرات الكيلومترات. فقد الجيش سرعته الصاعقة بسبب إفتقار آلياته إلى الجنازير فتحولت الآليات إلى جواميس ضخمة بطيئة منغرسة فى الطين ، وهكذا عاقب الجنرال طين أفضل جيوش العالم فى وقته.

خطأه الثانى: نتيجة الغرور تأخر هتلر فى تحريك قواته وأضاع شهرا كاملا من شهور الصيف. وعندما وصل إلى حافة موسكو، داهمه الجنرال شتاء بثلوجه الرهيبة ، فإنهزم الجيش الذى لم يكن يقهر، وبدأت عجلة الهزيمة تدور بلا رحمة على هتلر وجيوش ألمانيا .

□ □ □ □ □ □

تذكرت كل ذلك ونحن منغرسون فى طين وادى زورمت الفسيح ، وتحيط بنا جبال الثلوج تغلق فى وجوهنا كل الطرق الأساسية لعملنا .

لقد تحالف فى مواجهتنا ـ وفى وقت واحد ـ أسوأ جنرالين فى التاريخ الجنرال طين والجنرال ثلج ـ لكننا لم نستسلم كما أننا أيضا .. لم ننجح .

ـ إننا أيضا لم نحترم قوانين الطبيعة . فالأعمال التى كان ينبغى أن نبدأ بها فور فتح خوست أى منذ الأول من إبريل ١٩٩١ ـ بدأنا بها فى ديسمبر من نفس العام ، لهذا أدركنا الشتاء وتحالف ضدنا الجنرالان الأسود والأبيض أى الطين والثلج . وذلك فى ظروف سياسية دولية وإقليمية غاية السؤ ـ تعمل جميعا ضدنا (وكان ذلك من أخطائنا أيضا) .

لكن لطف ا ورحمته بنا كانت أكبر من كل ذلك. أكبر من أخطائنا ، وأكبر من عدوان أعدائنا، فأعطانا مالم نكن نتصور .. ولم نكن نستحق .. لقد فتحت أفغانستان كلها وسقط النظام كله دفعة واحدة .

كان يجب أن نكون جاهزين للهجوم مع بداية الربيع ، وهذا يعنى أن نتم تجهيزاتنا ونكون جاهزين فى مواضع العمل خلال فصل الشتاء ، أو ما تبقى منه. أى بعد أقل من شهرين على أحسن الإحتمالات .

إذن معركتنا الأولى ستكون مع "الجنرال شتاء" ولابد أن ننجح فى تلك المعركة الباردة قبل أن نخوض معركة أخرى ساخنة مع جنرالات النظام فى جرديز.

كان علينا التوجه إلى زورمت لإتخاذ الكثير من التدابير ، وكلها تهون إلا تدبيران أساسيان وقفنا أمامهما عاجزين .

الأول : ـ فتح الطريق الجبلى عبر "ناراى" وهو طريق إمدادنا الأساسى الأسهل والأقصر، الذى مازال مغلقا بالثلوج. والشاب العنيد "والى خان" مازال يصارع الجبل والثلوج بواسطة البلدوزر الذى يواجه تحديات تفوق قدراته التكنولوجية .

الثانـى : ـ فتح ممر خروار الجبلى الذى يصلنا بسهل خروار الذى هو ساحتنا الخلفية وقت العمليات ، وموضع مخازن خطوطنا الأولى والخدمات .

ذلك الممر ضيق ومتعرج وبالطبع غير ممهد ـ هذا فى الصيف ـ أما الآن فهو عبارة عن صندوق مخيف للثلوج المرتفعة التى أخفت تضاريس الأرض ، وهذا يحمل خطورة فى عمليات تنظيف الثلوج بالمعدات لأن لا أحد يدرى أين ينتهى الجبل وأين يبدأ الوادى أو مجرى الماء ، فيمكن أن تتدهور المعدات ، وربما يقتل الأفراد ، وهذا شيء غير نادر الحدوث .

هذا الممر مسئوليتنا نحن أن نفتحه ، ولدينا معدتنا العتيدة (الجنرال غرزتور) الذى أبدى مهارة فائقة فى فن الغرز أثناء معارك خوست وجاء معنا الآن لإستعراض مهاراته من جديد .

قبل أن نتحرك فى رحلتنا تلك صوب زورمت ـ سنستعرضها الآن ـ كان فى تقديرنا أننا نواجه فقط صراعا مع " الجنرال ثلج " ، ولكن ما أن بدأنا العمل بعدة أيام وهطلت بعض الأمطار ، وذابت بعض الثلوج حتى واجهنا جنرالا آخر لا يقل سؤا أنه " الجنرال طين " .

وادى زرمت الزراعى ما أن يستنشق بعض الماء حتى يتحول إلى بركة طين عظمى تعرقل السير وتبتلع السيارات. والطرق التى تصمد هى التى جهزتها الحكومات السابقة ، هى نادرة جدا . بل هى تحديدا طريق واحد مسفلت . ثم أجزاء من مدقات ترابية أمسكتها بعض الأحجار القليلة .

تحالف ضدنا الجنرالان "ثلج" و"طين " فى وقت واحد . الجنرال ثلج أغلق الممرات الجبلية والجنرال طين أغلق سهل زورمت ، ولكن جزئيا لحسن الحظ لأن الأمطار كانت لأيام قليلة فقط . ويستمر تأثيرها لعدة أيام تالية .

<u>الأربعاء ١٦ فبراير ١٩٩٢ (٢٣ شعبان ١٤١٢)</u>

تحركنا فى التاسعة صباحا من خوست فى طريقنا إلى زورمت عبر مدينة الأورجون وهو طريق دائرى طويل . لكنه الوحيد الذى يمكننا عبوره لأن الثلوج لم تغلقه .

فى الحقيقة ليس هناك طريق بالمعنى المفهوم . قضينا معظم اليوم نسير عكس تيار النهر ـ أى أن طريقنا كان هو النهر ذاته ، وتعترضنا ما تعترضه من عقبات.

وكأن عملنا كله ومهمة حياتنا هو أن نسير عكس التيار!!.

قرب الغروب وصلنا قرية تدعى "سلطان خيل" عبأنا السيارات بالديزل وكان عددها خمسة من سيارات (بيك آب) .

إكتشفنا فى الغد أن وقود الديزل كان ممزوجا بالماء، أكثر من المعتاد ، فسبب لنا مشاكل وأعطال.

أجمل ما فى الرحلة كان المناظر الطبيعية الخلابة ، والجبال المكسوة بأشجار الصنوبر التى يغطيها الثلج ، والمسطحات الزراعية التى إختفى أكثرها تحت طبقة بيضاء من الثلوج . لم يسبق لى رؤية مثل هذه الطبيعة الجميلة .

وصلنا مدينة زيروك التى لم تكن بعيدة عنا ، لقضاء الليل فى أحد فنادق المسافرين . وإصلاح أحد عجلات السيارات التى ثقبت فى الطريق .

المهمة الصعبة دوما هو الحفاظ على سرية هويتنا كعرب ، وهذه المرة فإن عددنا كبير نسبيا ـ وعزوفنا عن الكلام فى حد ذاته يثير ريبة المسافرين من رجال القبائل الذين يبادرون الغرباء بسيل من الأسئلة وسرد القصص ـ عن كل شيئ تقريبا . سياراتنا محملة ومغطاة بأقمشة سميكة . وليلا لدينا حراسات علينا فى الفندق وعلى سياراتنا فى الخارج .

الخميس ١٧ فبراير ٩٢

فى السابعة صباحا تحركنا صوب مدينة الأورجون عاصمة باكتيا. وصلناها حوالى الحادية عشرظهرا. وهناك تناولنا الطعام فى أحد المطاعم التقليدية ـ ثنائية الإستخدام ـ فهى مطاعم نهارا ، وفنادق ليلا ، وحق المبيت مضمون لمن يتناول طعام العشاء ، أما الذين وصلوا متأخرين ، ولا ينوون أكل شيئ فيمكنهم المبيت خارج الفندق إن إستطاعوا تحمل برد الشتاء .

قبل الوصول إلى الأورجون كنا نعبر فى "شبه طريق" متسع ، وكانت هناك بركة كبيرة من الماء الراكد، ظننا الأمر سهلا . يبدو أن الطريق قد أصيب فى منتصفه بقنبلة ثقيلة أحدثت فجوة هائلة ، وجاء المطر وغطاها عن أعين الناظرين،ولكننا "نجحنا فى إكتشافها" بأيسر طريقة ممكنة، أى بالسقوط فيها مباشرة. ومن حسن الحظ أننى كنت فى السيارة التى إكتشفت الحفرة. إذ ماكدنا نصلها حتى شعرنا بسقطة كبيرة إلى الأسفل، والماء المثلج يتدفق علينا بقوة من الأبواب والنوافذ .

أستغرق الأمر ساعة أو أكثر من النضال العنيف لإخراج السيارة مستعينين بالحبال وبالسيارات الأخرى ، وبالدفع اليدوى الذى جعلنا كائنات طينية ، فقد غمرنا الطين وغطى الثياب والوجوه ، وأنهك قوانا تماما .

إنهمك عبد الخالق فى تصوير "المعركة" بالفيديو ، فكانت أول معاركنا مع الجنرال "طين". تكررت تلك المواقع "المطينة". فالطرق الترابية المبللة بالماء والثلوج، مع مرور شاحنات التهريب ، والتراكتورات الروسية المهربة تحدث حفرا وأخاديد عميقة ، تجعل مرور السيارات الصغيرة مثل سياراتنا، عملية شاقة جدا. ولولا عددنا الكبير والتجهيزات التى معنا لكان عبورنا مستحيلا .

بعد المغرب بقليل وصلنا قرية "فراو " وكان علينا المبيت فى أحد "فنادقها" حتى فجر اليوم التالى .

الجمعة ٢٨ فبراير ١٩٩٢ (٢٥ شعبان ١٤١٢)

تحركنا من الفندق فى الساعة السابعة صباحاً ، واصلنا الصراع مع الطين ولكن بأجساد منهكه هذه المرة ـ وملابس من الطين المتحجر اليابس .

غرزنا ساعتين فى الطين ، وكل سيارة كانت تحتاج إلى معجزة لسحبها من آبار الطين المتحرك .

أخيرا وصلنا إلى منطقة زورمت فى حوالى الثانية عشر والربع ظهرا . إستقبلونا بالترحاب وذبحوا لنا شاة بيضاء سمينة لطعام العشاء .

أعدوا لنا حماماً ساخنا . بعضنا تحمم وبعضنا أجل ذلك لفرصة أخرى .

كومندان المنطقة هنا هو "عارف ا " جلسنا للحديث معه . أما مسئول هذا المقر فهو الشيخ أدريس ، الذى لم يكن على وفاق مع دليلنا الهمام، الكومندان "خواناى" الذى غادرنا إلى خروار على أن يرسل لنا أخيه كدليل يرافقنا .

لم تكن تلك هى المشكلة الوحيدة ، فما مازال "عبدالخالق" منطويا على نفسه فى حالة عدم رضا مكتومة على وجود مختار معنا، ويعتبرنى مسئولا عن "التنازلات " التى

قدمتها بقبوله فى إداريات المجموعة. رغم أن الأخير أبدى مجهودا رائعا وكان متعاونا ومرحاً ودوداً مع الجميع. ولكن عبد الخالق مازال يدفع ثمن الطعام لمجموعته ، وكان مختار يدفع لباقى القافلة .

هذه التناقضات الصغيرة لا تشكل خطرا على العمل حتى الآن. الطريقة التى أتبعها الآن هو تخطيها والإسراع فى العمل حتى الطاقة القصوى وترك تلك الصغائر تذوى تلقائيا بإندماج كل طرف فى مسئولياته الكثيرة المتتابعة .

<u>الأثنين ٢٩ فبراير ١٩٩٢</u>

القلعة التى نمنا بها حازت إعجاب الجميع لإتساعها ، رغم ضيق الغرف ، ونظام التدفئة السفلية أراحنا كثيرا . فى هذا النظام يصنعون فرنا أسفل البيت ، ويتركون الدخان يمر فى مجارى خاصة أسفل الغرف فتصبح أرضها دافئة ، وجوها مناسب بدون مشاكل الدخان وإشعال الحطب فى مواقد داخل الغرف .

سور "القلعة" السميك والمرتفع مبنى من الطين ، ويحيط بمساحة من الأرض يستغلونها فى زراعة الخضروات . وتكون تلك المساحة إحتياطيا لزيادة حجم الأسرة وزواج الأبناء. وبعض هذه القلاع يحوى أسرا كبيرة ممتدة لعدة أجيال . وبها حظائر للدواب والدواجن وأرض لزراعة الخضروات. إنها مستعمرة صغيرة لأسرة كبيرة جداً ، ويطلق عليها لقب "قلعة " .

وهى بالفعل قلعة إجتماعية لديها قدرة ممتازة للدفاع عن أفرادها بالمفهوم الواسع لكلمة دفاع . والأرض الزراعية خارج القلعة والمحيطة بها تكون عادة من أملاك الأسرة . فى عام ١٩٨٣ زرنا أحدى تلك القلاع فى أورجون ، وكان بداخلها محل بقالة يبيع لأفراد القلعة إحتياجاتهم فلا يحتاجون شيئا من الخارج تقريبا . ومن لطف معاملاتهم وعلاقتهم الطيبة مع المجاهدين وقتها سمحوا لنا بشراء بعض إحتياجاتنا من ذلك الدكان، فاشترينا بيض الدجاج بأسعار رخيصة جدا . وكنا نعيش حالة من القحط الغذائى حتى تخيلنا أن ذلك البيض كان مائدة من السماء هبطت علينا.

ويبدو أن التعامل فى ذلك المحل التجارى كان يتم فى معظمه بنظام المقايضة . لأنه عندما تعامل معنا بالعمله دفع لنا عملات معدنية قديمة لم تعد تستعمل فى أفغانستان!!

كرامة الجليـــد

يتحدثون هنا عن "كرامة" الثلوج هذا العام . فبينما منطقة "زورمت" شهدت ثلوجا لم تشهدها منذ أربعة عشر عاما . فإن الخطوط الأولى للمجاهدين فى الجنوب لم تنزل بها تلك الكمية رغم أن تلك المنطقة كانت تسمى "وادى الموت" لكثرة من يهلكون فيها بفعل الثلوج .

هذا الوضع كان مفيدا فى الناحيتين . فى الجنوب قلة الثلوج أفادت المجاهدين الذين عسكروا فيها شتاء لأول مرة منذ بدء الجهاد . وفى وسط أزمة مالية خانقة وضعف شديد فى التجهيزات .

أما فى الغرب (زورمت) فالثلج الكثيف منع القوات الحكومية من شن أى عملية توسع، وهى المنطقة الخالية تقريبا من المجاهدين .

يتكلمون هنا عن خمسة جنود فروا من خطوط العدو القريبة فى أوائل هذا الشهر ودخلوا ليلا مناطق المجاهدين ، وجدوا جثثهم فى الصباح متجمدة وسط الثلوج .

ومنذ أيام قليلة فر سبعة جنود قتل أكثرهم فى الثلوج .

 يتابع الناس هنا أخبار الطرق الرئيسية التى تربطهم بالعالم الخارجى لأن الثلوج تحاصرهم فى الشتاء . أهم الطرق التى نتابعها معهم هو طريق "جبل ناراى" الذى مازال مغلقاً . ثم الممر الجبلى الواصل إلى منطقة خروار ، وهو أيضا مغلق بثلوج كثيفة .

علينا أن نختار مكاناً آخر كمقر لنا ونترك تلك القلعة لأصحابها . وعلينا البحث عن بيت ذو مواصفات خاصة ليكون مستودعاً رئيسيا لمهمات العملية القادمة .

للأقامة اخترنا بيتا على آخر الخطوط السكنية فى مقابل العدو . كان ذلك أنسب لقربه من أحداث الجبهة وأخبارها .

للذهاب إلى مقرنا الجديد عبرنا مدينة تعمير التى مازالت فى معظمها خالية ماعدا بعض مبانيها التى تستخدم كمقار ومراكز للمجاهدين وعلى مخرجها هناك نقطة حراسة لفحص وتفتيش السيارات الداخلة والخارجة .

المقر الجديد كان مدرسة لطلاب العلوم الدينية ، ولكن بسبب الشتاء وقسوته هاجر الطلاب إلى باكستان وسيعودون فى الربيع .

ذهبنا بالسيارة إلى أحد القلاع وفيها مركز اللاسلكى الخاص بجماعة مولوى منصور. وهناك قابلنا إبنه "سيف ا " وهو شاب فى حدود العشرين يرتدى ثيابا عسكرية مرقطة ـ وهذا شيئ نادر بين المجاهدين ـ الذين يرتدون دوما ملابسهم التقليدية ، التى ربما أضافوا إليها سترة عسكرية زيتونية اللون غالبا .

كنت قد قابلت "سيف ا " عدة مرات فى بشاور ونحن فى زيارة والدة . كان بحق إبنا بارا .

كان فى ساحة مركز اللاسلكى مجموعة من الأسلحة الثقيلة والمتوسطة أغلبها يحتاج إلى إصلاح . أهم مارأيناه كان دبابتان (تى ٥٥/٥٤). سألت الشاب عن حالتهما فقال أنهما صالحتان للعمل . وهناك دبابة ثالثة فى الأمام ولكنها تحتاج إلى إصلاح .

كان مدهشا للغاية أن نجد ثلاث دبابات قريبة إلى هذا الحد من موقع عملياتنا القادمه . طار خيالى فى إحتمالات مدهشة تقول : مع فتح طريق ناراى يمكننا إستقدام دبابتين من طرف حقانى (أعلم أنه لن يفرط فى دباباته بسهولة) ـ سيكون لدى جماعتنا خمسة دبابات كاملة إذن نهاجم بثلاث دبابات من منقطة " أودكاى" على طرف الممر من جهة جرديز . ونهاجم بإثنتان من الطرف الآخر من جهة لوجر فى منطقة تعرف بإسم "تمور" وكتبت فى مذكرتى الفقرات التالية :

(أوحى لى ذلك بفكرة كماشة بالدبابات على الهدف . ثلاث دبابات من الوادى الأيمن واثنتان على نقطة بلح " أى تمورـ وكنت لا أكتب الأسماء الحقيقية للأماكن فى مفكرتى خشية فقدانها أو

وقوعها بشكل ما فى يد معادية " ـ الفكرة رائعة تبقى نقطة موافقة منصور وحقانى على تزويدنا بالقطع المطلوبة برنامج الدبابات يبدو مثيرا ـ سنستقدم طاقما من عند أبوالحارث لإصلاح الدبابة الثالثة . نفكر فى تدريب عدة طواقم على الدبابات الموجودة فى زورمت) .

الأحد أول مارس ١٩٩٢

فى الصباح توجهنا إلى سوق منطقة "قلالجو" ـ أو "قلل كوه " ، لشرء مهام مركزنا الجديد تعرفنا على تاجر لطيف جدا إستقبلنا بحفاوة وقدم لنا الشاى بالحليب، مشروبنا القومى الذى إفتقدناه منذ زمن طويل. وتمادى الرجل فى كرمه ودعان إلى الأفطار فى بيته فى القرية.وهناك قدم لنا طعاما ريفيا خفيفا مكونا من البيض والزبدة والزبادى والخبز الحار الطازج، والشاى بطبيعة الحال. الشباب أكلوا بشهية وحماس. صلينا الظهر فى مسجد القرية . واشترينا من التاجر بعض المعدات للسيارة وأوصيناه بأشياء أخرى وعد بتسليمها لنا بعد يومين .

فى الطريق سألت قائد المنطقة "عارف ا " عن راجمات الصواريخ لديه فقال أن لديه إثنتان : واحدة كابلها الكهربائى ضائع ، والثانية كابلها مقطوع.

كان ذلك مزعجا جدا أن يسمح قائد الجبهة ببقاء أسلحته الأساسية معطلة. ولكن ذلك كان شيئا عاديا فى مثل تلك المجموعات الريفية المتراخية بطبيعتها.

الأثنين ٢ مارس ١٩٩٢

فى الصباح أفرغنا حمولات سياراتنا فى مقرنا الجديد ـ فى عمل جماعى جيد فأنهينا المهمة فى وقت قصير .

ـ توجهنا بسيارتين إلى مقر المخابرة لمعاينة الدبابات مرة أخرى .

ـ قمنا برحلة على الأقدام ، طويلة نسبيا، لفحص القلاع المهجورة لنختار المناسب منها لتخزين مهام العملية .

وجدنا القلاع مثل آثار الحضارات القديمة، ضخمة ومهيبة وصامته ومهدمة ومهجورة وساحتها تحولت إلى برك مياه، وأعشاب برية طويلة نمت بطريقة وحشية حتى فى

الجدران الطينية وأسقف الغرف. مياه الأمطار هدمت العديد من الأسقف والأسوار. باختصار: إنها أماكن تصلح لأحد أفلام الرعب .

أنهينا الجولة ولم نعثر على شيئ مناسب . هناك قلاع بعيدة حيث لا طريق سوى الطين وبرك الثلج والماء وكان ذلك محبطاً إلى حد ما .

فى الطريق إستضافنا المجاهدون مرتين ، فأكلنا معهم الثريد والشاى . وعدنا إلى المركز كى نتناول الغداء "للمرة الثالثة". ولكن حالتنا المعنوية لم تسمح لنا بذلك لأن شخصا عاد من طريق ناراى ليقول أنه مغلق ولا مجال لمرور السيارات عليه ـ إذن لا طريق ولا مخازن.. فكيف نجد الشهية لتناول الطعام للمرة الثالثة ؟؟ .

<u>الثلاثاء ٣ مارس ١٩٩٢</u>

بعد صلاة الفجر فى مركزنا الجديد ألقى الشيخ أدريس كلمة بعد الصلاة عن فضائل شهر رمضان وعبادة الصوم . عند المغرب سيذهبون "لترصد" هلال رمضان .

تحركنا فى الصباح صوب مركز درويش ، وهو يقع بين جبال منيعة ورأيناه سابقا وبه مغارة ضخمة بعمق خمسة عشر مترا فى الجبل ، ولها باب واحد ، ثم غرفتين لمعيشة أفراد المركز بالقرب من المغارة .

فحصنا فى الطريق مراكز حقانى ، فربما نجد شيئا أقرب من مركز درويش . مررنا على مركز شانزده (أى سته عشر) فقابلنا "شريف" خال حقانى وتكلم مع مرافقنا "حاجى إبراهيم" بغضب لأنه يعتبره مسئولا عن ذهابنا إلى جماعة منصور، وسأله عن موعد وصولنا إلى المنطقة .

ـ ذهبنا إلى مركز يدعى "جمال تنجى" . كان عبارة عن غرفة واحدة للمعيشة بنيت على هضبة وكأنها مكان للإستجمام . أما الذخائر فخصصوا لها خيمتين فى الخارج . رأيت فى المركز مثالا للإهمال ، فلا الغرفة مناسبة للأفراد فى جبهة ولا الخيام مكان مناسب لذخائر فى جبهة .

ـ ذهبنا إلى مركز درويش وفحصناه مرة أخرى ـ لم يكن درويش موجودا ـ وكان يعانى من عدم القدرة على السيطرة على تفكيره بعد أن إستشهد أخوه "محمد فاروق". كان ذلك محزنا بعد ذلك المشوار الطويل لهذا المجاهد المغوار .

ـ كان التراكتور موجودا فى مركز (١٦) وسائقة فى إجازة إلى قريته .

ـ عدنا إلى مركزنا فى "حياة خيل" فوجدنا أن ٥٦ من طلاب العلم قد انتقلوا إلينا من مركز التدريب فى خوست ـ أخبرنا الضابط أن ذلك تم بعد أن تشاور "المقدسى" مع مولوى منصور.

وجدنا أنفسنا فجأه أمام أزمة طعام وخشب تدفئة وأماكن إيواء لهؤلاء . ستكون الأزمة شديدة هذه الليلة ثم تنفرج تدريجيا.

ـ الكومندان "خواناى" أرسل إلينا أخاه "وزير" برسالة يقول فيها أنه ينتظرنا فى قريته فطلبنا من وزير إبلاغه أننا سنحضر عند فتح طريق "خروار" وطالبناه بإرسال سائق للتراكتور كى يفتح الطريق .

وكان قد حدثنا عن مهارة أبن أخيه التى لا تبارى فى قيادة التراكتور، وإنجاز أصعب المهام . وكنا فى شوق أن نرى ذلك واقعا يتحقق وأثبتت الأيام أنه كذلك بالفعل .

ـ أبوكنعان وعثمان الصعيدى ذهبا منذ الصباح الباكر لتفقد راجمتى الصواريخ وإصلاح مابها من أعطال كهربائية . ذهب معهما "مختار" لشراء بعض المهمات من السوق .

ـ وصلتنا آخر الأخبار عن طريق ناراى بأنه مازال مغلقاً. والبلدوزر يعمل من جهة زدران إلى إتجاه "زرمت " وقام بتحويل مدخل الطريق لتلافى مياه السيول التى تنتج عن ذوبان الثلوج ، وما يليه من موسم أمطار. العمل يبدو سليما ومنطقيا ولو أنه سيؤخرنا لعدة أيام. على كل حال مازلنا هنا فى حاجة إلى فرصة أطول لتنظيم أمورنا الإدارية ، وكذلك فتح طريق "خروار" .

<u>الأربعاء ٤ مارس ١٩٩٢(اليوم الأول من رمضان فى منطقة زورمات)</u>

إتفق مختار مع ضابط فى قرية قريبة من "كلالجو" على توريد بعض الذخائر الثقيلة لنا. فوجد أن لديه إستعدادا وطلب مهلة يومين لإعطاء التفاصيل فأفهمه مختار أن تلك الأموال هى من أموال الصدقات لشراء الذخائر للمجاهدين. ولم يكن ذلك ليفيد فى شيئ .

قررنا أن نفاتح التاجر "عبد الغنى " الذى إشترى لنا لوازمنا من غزنى. وكنا قد رأيناه يبيع عدة بنادق كلاشنكوف روسية ، بمبلغ أربعة آلاف روبية للواحدة أى ما يعادل ثلث ثمنها فى ميرانشاة الباكستانية، فقررنا أن نفاتحه فى شراء ذخائر لحسابنا.

ـ عقدنا جلسة ليليه مع مولوى عارف ـ بعد صلاة التراويح التى قاطعها العرب فأحدثوا صدمة فى نفوس المجاهدين ـ لم نناقش هذه المرة مشكلة التراويح (ناقشناها فى يوم آخر) ولكن تناقشنا فى ضعف إمكانات واستعدادات المجاهدين. فالراجمات الثلاث التى ذكرها مولوى منصور لم نجد منها شئ سوى واحدة معطلة .

إكتشفنا أكثر أن وضع جبهة جماعة منصور هنا سيئ جدا ، وليس لديهم قيادة جيدة ولا كوادر ذات خبرة . نحن فى قرية بها بعض الأسلحة المعطلة..وهذا كل شيئ !!.

ـ غادرنا "حاجى إبراهيم" فجأه حتى بدون الحصول على إذن بذلك، قال أنه سيعود بعد أسبوع وترك لنا أعزارا واهية أبلغونا بها . شعرت وقتها بغضب شديد وفكرت جديا فى قطع إرتباطنا معه.

(أشعر الآن أنه كان يمتلك سببا قويا لذلك ، فحيث أنه العائل الوحيد لأسرة كبيرة ، وأننا اليوم فى أول أيام شهر رمضان ، فكان لابد له حسب ما تقتضيه الظروف والأعراف أن يرتب أمور عائلته لشهر رمضان خاصة أنه لا يضمن العودة إليهم فى العيد . هذا إلى جانب أسباب آخرى جعلت عمله معنا فى هذه الظروف غير مريح .

فهناك التضارب بين جماعة حقانى ومنصور بشأننا ـ وهناك المجموعة العربية الجديدة التى تعمل معنا ولم تتعرف عليه سابقا ولا تقدر أمكاناته حق قدرها ، خاصة أننا ضيوف على منطقته وبين أقوام هو جزء منهم) .

الخميس ٥ مارس ١٩٩٢

ـ عبد الخالق غادرنا فى طريقة إلى ميرانشاه لمقابلة أبوحفص ولإستكمال بعض المهمات . يخلفه فى قيادة المجموعة الشاب "أبوهمام" قائد المغاوير .

ـ حضر " المقدسى" من ميرانشاة عن طريق الأورجون ومعه الشاحنه "الهينو" وبها مستلزمات للعملية، لكن "الهينو" غرز بشدة وتعذر اليوم إخراجه .

ـ "هينو" آخر تحرك لنجدة الأول فغرز هو الآخر فى الطين وكلاهما مقابل أحد مراكز إبراهيم شفيق حقانى .

ـ تحركنا مع أبوكنعان ومصعب الشركسى متوجهين إلى قرية نيازى لشراء بطاريتين للتراكتور . قرب القرية قابلنا أسرة غرز بهم التراكتور فى بركة من الماء والطين حملناهم معنا لنوصلهم إلى قرية نيازى كى يطلبوا نجدة من هناك ، لكن سيارتنا غرزت فى الطريق . فأكملت الأسرة طريقها سيرا على الأقدام ـ وقفنا نحن حوالى الساعتين فى الطين والماء والثلج نخرج سيارتنا . فى الأخير وصلنا القرية ، وإشترينا البطاريات على سبيل القرض (هذه القرية قصفتها الطائرات الأمريكية عام ٢٠٠١ وقتلت مئة من سكانها بدعوى أنها تأوى عناصر من طالبان !!).

ـ استطاع أفراد مجموعتنا إخراج شاحنة الهينو من الغرز فى نهاية اليوم .

الجمعة ٦ مارس ١٩٩٢

ـ توجهنا إلى المركز الجديد الذى سيحتله الطلاب ، وأفرغنا فيه حمولة الشاحنة "الهينو" التى أخرجناها من الغرز أمس .

ـ ذهبنا لإحضار التراكتور والذهاب به إلى طريق خروار للشروع فى تنظيفه من الثلوج ، ولكن بلغنا أنه مغروز حيث كان الهينو أمس .

ذهبنا إلى هناك عند ساحة واسعة أمام بيت ضخم وساحة مسورة بسور قصير وبها أشجار كثيفة. الساحة كانت مأساوية مثل ساحة إعدام ـ ولكن بالطين ـ وجدنا التراكتور مغروزا فى الطين كعادته التى أكسبته لقب "جنرال غرزتور" . وإلى جواره

تراكتور آخر حاول إنقاذه ، ثم سيارة إسعاف قريبا منهما،لا أدرى من أحضرها إلى هنا ولماذا ؟، ثم شاحنتان كبيرتان ساختا فى الطين إلى المنتصف وفى نفس الساحة .
حاولنا الإقتراب فغرزنا أيضا ، وبسرعة إنسحبنا إلى الخاف لكن بيك أب آخر ذهب وغرز إلى جانب باقى الضحايا . كل ذلك فى ساحة واسعة تماما ومكشوفة تمام الإنكشاف أما جبل "سرواراى" أهم مراكز الجيش الحكومى للترصد وتوجيه النيران .
شعرت بالقشعريرة ، وأنا أسأل نفسى : ماذا لو ظن هؤلاء الجنود على "سروراى" أن هناك تحشدا للآليات فى مكان كذا ألن تأتى الطائرات أو على الأقل قذائف المدفعية، وبدلا عن يومنا المطين هذا يصبح يومنا أسود ومطين أيضا؟؟ .
قررت أن لا فائدة من وجودنا هنا سوى إهدار الوقت والمجهود فى عمل لا طائل منه. فكلما فعلنا شيئا للإنقاذ تعقد الوضع أكثر وزادت حالات الغرز. ولا داعى لإستفزاز "سروراى" أكثر من ذلك .
 قررت مع "أبوهمام " قائد المغاوير خطة جريئة ليوم غد . فليس من المستحسن أن نترك منطقة خروار خالية طول هذا الوقت إنتظارا لفتح الطريق الذى لا يعلم أحد ولا يمكن لأحد أن يتحكم فى موعد فتحه .
إذن سنرسل غدا داورية قوية إلى هناك يصحبهم عثمان الصعيدى "كضابط علاقات عامة " لمعرفته بالناس هناك وصداقته مع الكومندان خواناى . فعثمان كان معنا فى رحلة الاستطلاع الأولى لتلك المنطقة فى شهر ديسمبر الماضى ، والناس هناك يعرفونه. كما سيصحب الداورية دليل أفغانى، سيذهبون إلى هناك، وهنا الجديد فى الأمر، عبر ممر دارانج الذى يمر من جنوب جبل "شيخان " المتحكم فى طرف الممر من جهة وادى جرديز ـ وكان مجاهدو منصور يستخدمون ذلك الطريق بشكل إعتيادى ولكن بحرص شديد لقربه نسبيا من مواقع الحكومة وكمائنها .
كانت الفكرة مثيرة للمغوار "أبوهمام" وباقى المغاوير ولصديقنا عثمان الصعيدى ، ولأصدقائنا الأفغان .

سنرسل مع الدورية بغلا محملا بالأطعمة والأغطية وبعض المعدات الضرورية .
قضى الشباب باقى يومهم بحماس فى التجهيز للداورية فى صباح الغد .

السبت ٧ مارس ١٩٩٢

قرر "أبوهمام" أن يقود بنفسه مجموعة الإستطلاع إلى خروار. إستكمال النواقص والحصول على بغل استغرق وقتاً. لدواعى الأمن فإن التحرك ينبغى أن يكون فى الصباح الباكر جدا، لذا سيتأجل إلى الغد .

تحددت مهمة "أبوهمام" فى إجراء تقدير موقف للمنطقة هناك،وتحديد خطة للتخزين ومواضعه، وبحث إمكانية تحويل المغارة المعلقة إلى مركز رئيسى للإيواء والإمداد وهى ستكون مقر الداورية على أية حال .

الجانب الساحر فى الفكرة كلها أن ذلك الممر "دارنج " أقصر وأسهل من طريق خروار الذى ننوى تطهيرة من الثلوج . ولكن نظرا لقربة من مواقع العدو فان إستخدامه ينبغى أن يكون حذرا. ولكن الكثير من الأفراد ، وقدراً لا بأس به من المهمات الخفيفة يمكن إيصالها بسرعة إلى شبابنا فى الخط الأول ، خاصة إذا إمتلكنا أسطولا مناسبا من البغال، وهؤلاء القرويون حولنا ماهرون للغاية فى ذلك الأمر، وخطوطهم القتالية الأمامية تعتبر على مسافة معقولة من جبل شيخان (الذى هو فى قبضتهم) ومدخل ممر دارانج . إذن بدأت إبتسم من السعادة .. ولكن إلى حين !!.

 ما سوى أفراد الداورية ، قسمنا باقى الشباب إلى قسمين :

الجزء الأكبر سيذهب لإخراج التراكتور من الطين بالقوة إذا لزم الأمر.

الجزء الأصغر ، سأكون معه ويرافقنى أبوكنعان والشيخ إدريس وعدد قليل من الشباب لمعاينة طريق خروار.

وصلنا إلى الممر وسرنا بداخله بسيارتنا مسافة لا بأس بها، قدرت أنها حوالى ثلث الطول الإجمالى للممر. ولكن الجزء الباقى يغطيه الثلج الكثيف. ويستلزم خوض معركة مع الجنرال ثلج، مريرة كتلك التى نخوضها فى زورمت مع الجنرال طين .

 في طريق العودة وجدنا مجموعتنا الأولى قد عادت منتصرة من صراعها مع الجنرال طين وأنقذت "غرزتور" العزيز الذى جاء منهكا ويحتاج إلى عدة إصلاحات. فأعطيناه لكهربائى كى يصنع له " ضفيرة" ولإصلاح الهيدروليك. سيأخذه إلى قريته على أن يعيده سالماً بعد يومين. جماعة منصور يعرفونه ، ولكن للتأكيد أرسلنا معه أحد الشباب المسلحين ، لضمان جدية التنفيذ .

 مختار سيغادرنا صباحاً لأسباب عائلية واعدا بالعودة فى أقرب فرصة مصطحبا بعض النواقص عندنا . فى الطريق سيمر على حقانى لتحريضه على الإسراع فى فتح "ناراى" .

 سائقنا أبوصهيب سيغادرنا هو الآخر لأسباب واهيه .

ذكرت فى مواضع سابقة أن فترة الإعداد للمعركة تكون أصعب من المعركة ذاتها على نفوس الأفراد (خاصة العرب) .

فالأعمال كلها غير جذابة ، وقد تكون مملة جدا ومرهقة ، وأطول مما توقع أى فرد . خاصة إذا كانت الأحوال الجوية غير مواتية أو الأجواء الإجتماعية فى مناطق العمل غير مستقرة والجماعات غير متجانسة .. الخ .

ومع هذا فإن نتائج المعركة تتوقف إلى حد كبير على جودة الإعداد . بل أنه من الخطر الزج بأفراد بشكل سريع إلى معركة فى أرض لم يألفوها ومع أناس لم يتعرفوا عليهم بشكل كاف قبل المشاركة معهم فى القتال .

والتعرف لا يعنى مجرد التعرف على أشكال وأسماء الأشخاص بل يعنى أيضا التعرف على عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم وحتى أمزجتهم فى الطعام والشراب والنوم والإستيقاظ .. الخ .

 العمل العسكرى فى أجواء صعبة من الثلوج والطين ، يكون أيسر للجيوش لتوافر التجهيزات الهندسية ومعدات وملابس وطعام الأفراد.

ومع هذا تخسر الجيوش الكثير من قدراتها فى مثل تلك الأجواء .

كنت أفكر فى ذلك وأنا أتذكر فكرتنا المبدئية بمهاجمة مضيق طيرة وقت الثلوج وإشتداد الشتاء ، لتحقيق مفاجأة للعدو .

أظن أن ذلك كان صحيحا . كان من السهل تحقيق المفاجأة اذا تيسر لنا التجهيز المناسب للأفراد والمهاجمين (وهذا لم يحدث) .

لكن عدم قدرتنا على الإتصال بهم وإمدادهم لإدامة المعركة كان سيجعلنا نخسر كل ماكسبناه ، بل وغالبا سنخسر عناصرنا المهاجمة .

فالعدو لديه طرق إمداد مفتوحة إلى مواقع جنوده ، بينما سنفقد نحن أى إتصال أرضى مع عناصرنا .

بدلا عن مختار الذى سيغادرنا صباحاً ، سيتولى أبومصعب الشركسى متابعة شراء الذخائر . تم ربطه بالتاجر عبدالغنى ، ومع الضابط وهما سيقدمان إليه نتائج بحثهما غدا . التاجر عبدالغنى عرض سعرا معقولا للصواريخ مقارنة باسعار ميرانشاة سعر الصاروخ هنا ٢٨٠ روبية مقابل ٣٢٠ فى ميرانشاة ، ويمكن الحصول على سعر أرخص . أى أن السعر يتراوح بين ٧ إلى ٨ دولارات للصاروخ!! .

الجبـــل .. الجبـــل

الأحد ٨ مارس ١٩٩٢

تحركنا صباحاً نحو نقطة الترصد فى الخط الأول ـ وهى ليست بعيدة عن البيت الذى نسكن فيه . ولكن الطين والأوحال جعلت الرحلة إليها تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة ، أى أكثر مما إستغرقه عبور مضيق خروار فى رحلتنا فى ديسمبر الماضى ، إلى هذه الدرجة يمكن أن يكون الطين عائقا خطيرا .

□ تحركت الداورية بقيادة "أبوهمام" فى طريقها إلى منطقة خروار عبر ممر "دارانج" ذهبت إلى نقطة الترصد بصحبة مولوى إدريس . السهل شاسع الإتساع مكسو بالثلج

مواقع العدو أمامنا على هضاب كثيفة الإستحكامات تشرف على الوادى الأبيض بإستكبار. بعض الدبابات والمدافع واضحة للعيان كأنها وضعت هكذا للإرهاب .
لا تبدو أى إمكانية للهجوم على المدينة من هذا المحور ، فالأرض المنبسطة وقوة سلاح الدبابات لدى العدو ، وضعف تجهيز المجاهدين ، لا تعطى الأمل بإمكان فعل شيئ . إلا بمحازاة سلاسل الجبال .
من طرف هذا الوادى إلى الشرق يوجد جبل"سرورای"،الذى حاول حقانى بإستماته الإستيلاء والمحافظة عليه لكنه لم يستطع.وأظنه سيحاول فى المرة القادمة وينجح.
ومن طرفنا نحن إلى الغرب عندنا هنا "ممر دارانج " ومدخله الذى يطل عليه من الجانبين: جبل شيخان، وجبل "جول غته غر" على كتفى المدخل. وعلينا إحكام السيطرة على ذلك الممر الذى سيكون حيويا لعمليتنا القادمة حيث أنه يفتح فى منتصف صفوفنا تماما . فى المفصل بين خطنا الأول وبين قواعد الإمداد .
تكلمت مع مولوى إدريس على تلك النقطة أى الممر والجبلين . فقال إنهم يستخدمون الممر بشكل إعتيادى ولكن مع الحرص عند عبور الواداى لأنهم يكونوا مكشوفين للعدو . وعن جبل شيخان وهو الأقرب من جهة العدو فإن رجالهم يحتلونه ، أما القرية أسفل منه وتدعى أيضا شيخان فإن العدو تقدم واحتلها. ثم أضاف أنه مع إشتداد البرد فإن رجاله لا يستطيعون البقاء فوق الجبل فيعودون إلى القرية ويرجعون إلى الجبل فى الربيع.
شعرت بالقلق لأن الإحتمال الأرجح أن قمة الجبل خالية الآن ، ويمكن أن يشغلها العدو قبل عودة المجاهدين إليها فنصبح أمام مشكلة جديدة . أفصحت لمولوى عارف عن شكوكى فقال أنه سيعقد شورى غدا لأخذ القرارات. أما بالنسبة للأفراد الذين سيشاركون معنا فى العملية فإن القرار فى ذلك لمولوى منصور .
 بعد صلاة التراويح تحدثت مرة أخرى مع مولوى عارف. المقدسى حضر أيضا هذ النقاش كما حضر مناقشة الصباح عند الترصد .

تكلمت بصراحة مولوى عارف عن أوجه القصور الموجودة لديهم وإمكاناتهم المتواضعة وقلة الأسلحة وعدم صلاحية بعضها وتلف البعض الآخر. طفح الكيل بالمقدسى، وكنت قد أعطيته صلاحية إعداد شباب جماعة منصور للمشاركة معنا فى العمل القادم. وقطع شوطا فى تدريبهم فى "قريتهم" فى خوست. والآن عليه من الواجبات:

١ ـ إكمال تدريب الموجود من هؤلاء .

٢ ـ التمركز بهم فى مدخل ممر "دارنج" تحت جبل شيخان لهدفين: الأول إستكمال التدريب. والثانى التمهيد لإشراكهم فى القوة التى ستصعد جبال شيخان و"جول غته غر" وتحمى مدخل ممر دارانج أثناء العمليات لحماية مجنبتنا .

فى نهاية اليوم كتبت فى مذكرتى هذه الملاحظة :

(ملاحظة : من الواضح أنه من المستحيل أن يتقدم المجاهدون من أى جهة سوى من جهة الشمال . والسبب :

فى الشرق : حزب "حكمتيار" فى سيد كرم . وموقفة معروف فهو يرفض الحل العسكرى ويقاومة بالسلاح .

فى الجنوب : قوات حقانى وقد ركز العدو فى مواجهتهم أعتى قواته ، بشريا وآليا .

فى الغرب : سهل زورمت وهو مفتوح ومنبسط لدرجة تثير القنوط بالنسبة لقوى مثلنا . كما أن قوات منصور ليست سوى ميليشيا فلاحية قليلة الخبرة ومتكاسلة .

فى الشمال : هى الجهة الوحيدة المتبقى لدينا لامكان إحداث تقدم " المقصود بالشمال هنا مضيق طيرة"

الإثنين ٩ مارس ١٩٩٢

أوضاع جماعة منصور مرتبكة للغاية. والصراع على أشده بين مولوى عارف مسئول المنطقة ، وبين مولوى كليم الذى جاء مع القوة الجديدة من خوست ويتصرف باستقلالية كبيرة عن مولوى عارف . وهذا سيضعنا فى موقف حرج مع عارف .

هطلت الأمطار غزيرة عند المساء ، وأملنا أن يؤدى ذلك إلى ذوبان سريع للثلوج حتى نتقدم بسرعة فى عملنا.

الأربعاء ١١ مارس ١٩٩٢

الأمطار هطلت بغزارة ليلة أمس والطرقات "مطينة" .

عقدت فى الصباح إجتماعا صباحيا مع الرباعى : المقدسى ، وأبوحفص ، الشركسى ، وأبوكنعان . وكان الإتفاق على الآتى :

١ ـ إيقاف العمل فى تشكيل كتيبة مولوى منصور المسماه "أبوعبيدة". فما أنفقناه حتى الآن وصل مئة وخمسين ألف روبية ، والنتائج لا شيئ سوى خلافات داخلية تتزايد ، ومطالب لا تنتهى .

٢ ـ أن نقدم مساعدتنا فى مشروع محدد يفيد الجميع ، وهو التجهيز الهندسى لجبل " جول غته غر"، عبارة عن خنادق فوق الجبل وطريق صاعد إلى قمته ثم مغارة أسفل الجبل لتخزين المهمات والأعمال الادارية .

مولوى عارف عقد مجلسا للشورى فى الثالثة عصراً ـ ثم إجتمعنا معه بعد صلاة التراويح وأخبرته بما جرى الإتفاق عليه بالنسبة للجبل ، مع وقف تجهيز الكتيبة إلى أن يحضر مولوى منصور .

□ أثناء النهار حضر الكومندان "خواناى" ومعه سائق جديد للتراكتور وهو إبن أخيه ويدعى " دوتار" .

التراكتور جاهز للعمل بعد إصلاح كل الأعطال التى ألمت به .

الخميس ١٢ مارس ١٩٩٢

ذهبنا إلى ممر خروار ، ومعنا خواناى و"دوتار" سائق التراكتور ، ومجموعة من الشباب . دوتار عمل لعدة ساعات فى قهر الثلوج ولكنه رأى أنه بحاجة إلى محراث خلفى للتراكتور ، وأن السكين الأمامى منفردا لا يكفى .

أثبت دوتار أنه سائق تراكتور لا نظير له. أداؤه كان رائعا، بل واثقا من قدرته على إنجاز المهمة على خير وجه .

علينا أن نبحث عن المحراث الخلفى عند أحد مراكز حقانى فى المنطقة . ذهبنا إلى مركز"١٦" فأرشدونا إلى محراث موجود فى مركز"ديراى". النهار كاد أن ينقضى ولكننا كنا فى عجلة زائدة من أمرنا فقررنا التوجه فورا إلى "ديراى" .

ضللنا الطريق وسط مهالك فى الثلوج والأرض عديمة المعالم ، وبرك الطين ، وقنوات الرى الوحشية التى تعترض الطريق فجأة بلا معابر أو إنذار كأنها أفخاخ موت قد تهوى فى أى لحظة .

وزاد الطين طينا أن وقود الديزل كان مغشوشا "كالعادة" فبدأت السيارة تتوقف كل عدة دقائق. الشمس بدأت فى المغيب بينما زادت شدة الرياح وإنخفضت حرارتها بشكل جنونى ، وكاد وقود السيارة أن ينفذ، ونحن على وشك التجمد سواء كنا خارج السيارة أو داخلها . ولأول مرة نواجه خطر الموت بالتجمد .

كدنا أن نستسلم وسط تلك البرارى التى يغطيها الثلج ويجثم على ظهرها ليل بلا نجوم ، بل سحب سوداء ، فلو أمطرت لقطعت عنا كل أمل فى النجاة.

لمحنا ضوء ظهر من بعيد وإختفى ، قدرنا أنه لسيارة ربما دخلت إلى مركز"ديراى" تشبث السائق بالمقود وتوجه على خط مستقيم نحو مصدر الضوء الذى لمع لثوانى ثم إختفى. وبعد حوالى ساعة كتبت لنا النجاه بمعجزة حقيقية .

دخلنا إلى مركز "ديراى" ونحن ننتفض من البرد. فأجلسنى خال حقانى إلى جوار موقد النار مباشرة فى درجة حرارة تكفى لإنضاج الخبز فنجحت فى تفكيك أوصالى التى بدأت تتجمد.

بدأت أشعر بالمرض قليلا. عمال اللاسلكى أخبرونى أن حقانى يطلب مقابلتى ومقابلة "خواناى" . وهو حاليا فى بشاور أو إسلام آباد .

أظن أن اللقاء سيتأجل إلى أن يفتتح طريق جبل "ناراى" .

الجمعة ١٣ مارس ١٩٩٢ (٩ رمضان ١٤١٢)

بعد صلاة الفجر شرعت فى كتابة أوامر لأبى عبيدة المقدسى لأنه فقد إتجاهه فى عمله مع الطلاب ومشروع الكتيبة. فى أربع صفحات، طلبت منه التركيز على مشروع الجبل "شيخان " والصعود عليه قبل العدو وتجهيزه إداريا ـ على نفقتنا ـ لأنه يعتبر حماية لمجنبتنا ـ أو ثغرة فيها. وإعتبرته مسئولا عن أى تقصير فى ذلك العمل ، وطالبته بتجاهل مشروع التدريب فى الوقت الحالى .

(علمنا فى صباح الغد ، السبت ، أن العدو صعد جبل شيخان فى نفس اليوم الجمعة)

وهذا هو نص الرسالة كما جاء فى أوراقى :

بسم ا الرحمن الرحيم

الأخ ابوعبيدة ـ حفظه ا

إليكم البرنامج الخاص بكم فى خطوطه العامة

١ ـ المطلب الأساسى فى برنامجكم هو عدم تمكين العدو من السيطرة على قمم شيخان . وذلك بدفع المجاهدين للسيطرة على قمم الجبل قبل أن يبادر العدو بذلك ، فيضع قوات المجاهدين فى خروار فى خطر الحصار أو التطويق .

ولتحقيق ذلك الهدف، عليكم بإتخاذ الخطوات التالية إضافة لأية خطوات أخرى ترونها ضرورية:

أ ـ تجهيز مغارة أسفل الجبل لاستخدمها كمخزن للذخائر والأطعمة ومأوى لقوة إحتياطية للجبل.

ب ـ تمهيد الطريق الصاعد إلى قمة الجبل وتجهيزه لإستخدام البغال . على أن يطور فى وقت لاحق ليكون مناسباً لإستخدام السيارات إذا كان ذلك ممكنا .

ج ـ تجهيز قدر معقول من الخنادق على قمة الجبل .

د ـ تحديد الأسلحة الضرورية لأداء المهمة المطلوبة .

٢. التزماتنا فى المشروع :

يمكننا الإلتزام بالآتى لتحقيق ذلك المشروع :ـ

١ ـ تمويل عمليات التجهيز الهندسى للجبل المذكور .

٢ ـ إمداد قوة الدفاع عن الجبل بالذخائر والأطعمة على ألا يتعدى عددهم من٣٠إلى٥٠ مجاهد

٣ ـ تقديم عدد محدود من إخواننا لتقديم أى مساعدة فنية مطلوبة ـ أو للمشاركة للدفاع عن الجبل عند الضرورة القصوى فقط .

٣ اداريات وقيادة المشروع :

ا ـ إداريات وقيادة المشروع يفوض بالكامل إلى مولوى عارف أو من ينوب عنه .

وتقوم مجموعتنا بتموين قوة الجبل عن طريق ممر "دارانج " من مخازنا فى خروار.

وتسلم المهمات كلها إلى الشخص المعين من قبل مولوى عارف .

ب ـ القوة العربية المشاركة فى شيخان تكون تحت قيادتكم إلى حين إشعار آخر .

٤ التدريب:

قضية التدريب وتشكيل "غوند" من جماعة "زورمت " ظهر أنها غير مجدية حتى الآن، كما أنها كلفت أموالا ووقتا بدون عائد ملموس لهذا نرى تجاهلها والتركز على برنامج جبل شيخان مباشرة ويمكن تدريب الأفراد المشاركين فى الدفاع عن "شيخان" و"ليوان" وغيرها من مناطق الخط الأول كلما تيسر ذلك . بدون جعل التدريب هو الهدف الأساسى من تواجدنا فى المنطقة والتعاون مع جماعة "زرمت" .

لهذا نرى أن تنقل كل المجموعة المتواجدة فى مركز التدريب إلى الخط الأول . وإشراكها فى برنامج الدفاع عن المنطقة فى "ليوان " وعمليات التجهيز الهندسى لجبل شيخان إلى أن يحين وقت صعودها على الجبل .

كذلك لابد من وضع القوة تحت الإدارة المباشرة لقيادة مولوى عارف . وتسليم كافة ماهماتها الإدارية وغيرها إلى مولوى عارف للتصرف فيها لحساب القوة المذكورة .

ملاحظات :

نرجح أن يقوم العدو بالعرض على المنطقة للإستيلاء على قمم شيخان وربما على منطقة "ليوان" نفسها .

أخطر الأوقات لحدوث هذا التعرض هى الفترة من ٢٠ رمضان إلى ٥ شوال .

فنرجو أن تعتبر نفسك والمجموعة المرافقة لك من الأفغان والعرب مسئولين عن إتخاذ كافة الإحتياطات الضروريه لإحباط أى تعرض من جانب العدو على تلك الإهداف . كما أنك ستكون مسئول شخصيا عن نتائج أى تقصير فى هذا الصدد .

وا الموفق . والسلام عليكم ورحمة ا

ابو الوليـ ـ ـ د

الجمعة /زورمت فى ٩ رمضان ١٤١٢

١٣ مارس ١٩٩٢

******

ملاحظة : من الجائز جدا أن العدو وصله خبر عن إهتمامنا بقمة جبل شيخان فبادر بالصعود إليها فى وقت مبكر قبل الأوقات المتوقعة مثل تلك التى ذكرتها فى رسالتى إلى المقدسى فتحرك بسرعة قبل الميعاد الذى حددته .

* ذهبنا فى سيارة مع التراكتور ضمن فريق لفتح طريق خروار. فى كل مرة يثبت "دوتار" أنه سائق ماهر وشجاع . إنتهى فى ساعتين من فتح قمة الجبل وهى النقطة الأصعب . قال أن باقى الطريق سوف يستغرق يومين .

خواناى وأبن أخيه "دوتار" سيبيتان فى قرية هى الأقرب إلى الممر ، ونأتيهم بطعام فى السابعة صباحاً .

عدنا إلى مركزنا ، وقد ضاع صوتى تقريبا وأشعر ببرد شديد وألم فى جسمى كله .

السبت ١٤ مارس ١٩٩٢ (العاشر من رمضان)

اليوم أجازة مرضية بالنسبة لى . لا أستطيع الكلام تقريبا، مع ألم فى الحنجرة وضعف جسمانى . أبوكنعان ومصعب الشركسى ومعظم الشباب ذهبوا فى حملة لفتح الطريق ومساعدة التراكتور كما فعلنا بالأمس . بقى معى فى الغرفة أثنان من الشباب العرب هما أيضا مريضان .

ـ قضيت فترة الصباح أطالع الخرائط بعد أن فجعنى أبوعبيدة المقدسى بخبر إستيلاء العدو على جبل شيخان .

ـ جماعة مولوى عارف فى حيص بيص ، خليط من العجز والبلادة. معنوياتى ليست طيبة بسبب المرض أيضا .

ـ بات جليا أن مشروعنا مع جماعة منصور فاشل تماما . فليس لديهم ما يقدموه لنا سوى تعطيلنا وإستنزاف القليل الذى بحوزتنا ، بدون حركة جادة من جانبهم .

أفكر فى حل ورطتنا معهم بدون أن نخسرهم نهائيا وبدون أن أسمح لهم بتعطيلنا أو إستنزافنا .

ـ أرسلت أبوعبيدة المقدسى لنقل خبر "شيخان" إلى خواناى والفريق الذى معه.

فعلينا تحذير الجميع ، خاصة إخواننا فى المغارة المعلقة فى"اودكاى" حتى لا يستخدموا ممر دارانج بدون الإنتباه إلى وجود العدو على قمة شيخان . وفى الثالثة عصراً إتصلت داوريتنا فى خروار وأودكاى فطلبت منهم عدم القدوم إلينا مطلقا حتى نصل نحن إليهم ـ شعرت بالراحة أننا حذرناهم.

ـ فى الليل جلسنا مع أحد الجنود الفارين من الجيش ، قال أنه زار ممر طيرة مرة واحدة تكلمنا معه طويلا ـ وكان بعض ماقاله مفيدا .

 ظهرت المعضلة المذهبية بوجهها الكئيب .. حدثنى سيف الرحمن منصور عن حادثة الأخ العربى من جماعتنا الذى أحدث مشكلة فى مسجد القلعة التى نعيش فيها مع جماعة مولوى عارف . الشاب صرخ فى المسجد معترضا على عبارة مكتوبة على باب المسجد كتب فيها (ياا ـ يامحمد) ، وإعتبر ذلك شركا وقام بنزع (يا) الثانية فأثار إستياء الناس، ولولا أننا ضيوف مولوى منصور لكان لهم معنا تصرفاً آخر. قال لى سيف الرحمن : إن مذهبنا يجيز تلك العبارة ، فلا تتركوا الناس يكرهونكم وتثيروا عداء ليس له داع .

كلامه كان معقولا ، ونبرته الهادئه المهذبة كانت أيضا تحذيرية . قلت له أننى سأتكلم مع الشباب عند عودتهم من عملهم مع التراكتور فى الطريق .

(كثيرا ماقلت أن الشباب العرب الذين ذهبوا للجهاد فى أفغانستان لو كانوا أحنافاً لتغير مجرى تاريخ العالم .وأن ذلك كان سيحدث أيضا لو أنهم كانوا على أحد المذاهب الأربعة.

إن أى مسلم فى وسعه أن يكون سلفيا ولا ضير فى ذلك ـ وفى وسع جماعة سلفية أن تعمل فى الدعوة ولا بأس من ذلك ـ أما أن يصبح عندنا جماعة سلفية مسلحة ترفع راية الجهاد، فالذى ثبت حتى الآن أن الأمة الإسلامية ستكون المتضرر الأول والأخير من ذلك "الجهاد

السلفى" الذى سيكون سلاحه إلى الداخل أكثر منه إلى الخارج ، وستتولى قياداته الصراخ الخطابى ، ويتولى العدو بشكل غير مباشر التوجيه الفعلى لعملنا العسكرى. وهذا ما حدث معنا فى أفغانستان ،وكل ماتلاها من مواقع تصدت لها السلفية الجهادية) .

<u>الأحد ١٥ مارس ١٩٩٢</u>

فى مثل هذا اليوم من العام الماضى بدأت معركة فتح خوست. إلى الآن الطرق مازالت مغلقة من أمامنا ومن خلفنا بالثلوج ، ومن تحت أرجلنا بالطين. الكثير جدا علينا أن نعمله حتى نكون جاهزين للعمل مع إشراقة أول شمس فى الربيع.

ـ لم يعد لدينا أموال ونحن الآن مدينون لكل من نتعامل معهم فى السوق. مختار ذهب ولم يرسل الأموال وهذا شيئ مقلق, وكل من ذهبوا لم يعد منهم أحد حتى الآن رغم أن المدة التى طلبوها قد إنقضت .

عبدالخالق أظنه ممتعض من شيئ ما ، كذلك حاجى إبراهيم.

كنت أفكر منذ الصباح على هذا النحو حتى جاء إلى غرفتنا، وكانت فى نهاية القلعة الواسعة التى نسكنها، مولوى عارف الذى أخبرنى عن جلسة شورى عندهم تعقد اليوم لمعالجة الموقف على جبل شيخان.

حذرته من أن العدو قد يستولى على قمة "ليوان" قريبا حتى يؤمن لنفسه مجنبتى ممر "دارانج" قبل الربيع . وهذا يمكنه أن يهاجم "أودكاى" وقد يصل حتى إلى خروار.

أظن أنه إستمع لى بإهتمام ، خاصة بعد أن حذرته سابقا من إحتمال تقدم العدو إلى جبل شيخان . فقال لى أنه سيحشد ما تيسر له من قوة فوق قمة ليوان .

 وصلنا بالأمس خبر أن البلدوزر وصل إلى قمة جبل ناراى . هذا يعنى أنه إنتهى من الجانب المواجه لمنطقة فخرى وإنه سيهبط قادما إلى جهتنا فى زرمت.

 تعطل التراكتور أمس وهو يعمل فى ممر خروار ، إنفجرت أنابيب الهيدروليك ـ سنقيم معسكرا دائما للعمل فى الممر . هناك مجموعة قلاع مهجورة عند المدخل ، علينا إختيار واحدة منها .

خواناى يقيم الآن فى تلك المنطقة سنرسل له اليوم إمدادات وأفراد .

 من المفاجآت السارة اليوم وصول عبدالخالق وحاجى إبراهيم ومعهما ثلاثون من القوة العربية الجديدة . وصلوا إلى تعمير سيراً على الأقدام . لقد عبروا أيضا ثلوج جبل "ناراى" على أقدامهم . تدريب شاق لكنه مفيد .

وصلتنى مع عبدالخالق رسالة من البيت ، ورسالة من صحفى صديق جاء من الإمارات .

 هذا هو اليوم الثانى الذى أقضيه راقدا على أثر أزمة برد. أفضل إنجاز فعلته منذ مدة هو كتابة مسودة مشروع لخطة العمل ضد المضيق .

حصرت عدد الأسلحة والأفراد المطلوبين ، ووضعتها فى جداول لمقارنة المطلوب بالمتوفر فعلا .

ثم كتبت فى مذكرتى هذه الملاحظات والخواطر حول عمليتنا المزمعة على مضيق طيرة وحول الوضع العام :

هذه العوامل كانت فى مصلحتنا فى عمليتنا الحالية :

التكدس البشرى والآلى فى المدينة (٢٠٠ دبابة ، ٦،٥٠٠ مقاتل) يمثلون صفوة مالدى النظام من قوة ، إضافة إلى قوات إستعارها من ٧ ولايات أخرى .

هزيمة هذه القوة تجعل كابل مكشوفة أمام المجاهدين .

العملية الفاشلة على الهدف "طيرة" فى أكتوبر كانت سيئة لدرجة جعلت العدو فى ثقة تامة من أن الهدف خارج قدرات المجاهدين . فالمتوقع أن تقل إحتياطاته بزيادة غروره .

الموقف السياسى المتلبك والحرب الدولية التى تقودها أمريكا ضد الأفغان، أوجد ظاهريا عوامل ضعف تمثلت فى قلة الأموال وإحباطات معنوية لكثيرين . من جانب آخر فانه محص صفوف الأفغان وميز الغث من السمين.لأن ١٣ عاما من المعونات الدولية، أفسدت الصفوف والنفوس . مرة أخرى تتمايز الصفوف وتقاتل فى جرديز صفوة المسلمين .

المعركة الحالية بين صفوة كابل مع مجهود دولى . ضد صفوة المسلمين مع خذلان دولى .
وتلك من المعارك الإيمانية المثالية : قلة مع ضعف مادى وإيمان قوى ضد كثرة مع قوة مادية وإلحاد . يبدو النصر أكيداً وكبيراً . رغم كل زبد السلبيات على سطح الحدث .
نظام كابل جثة هامدة حنطها الأمريكان إلى حين العثور على حل سياسى يستبعد الإسلام من الساحة الأفغانية .
نفقات الحرب تدفعها أمريكا ـ وحلفائها ـ لصالح نظام كابل . والمجهود الدولى لإيجاد حل سياسى قبل أن يتهاوى نظام كابل هو خطة أمريكية فى إطار حرب غير معلنة ضد الأفغان . وبالتحديد ضد الإسلام فى أفغانستان .
الدولار الأمريكى يلعب بشدة لفتح الساحة الأفغانية أمام النفوز الصليبى. إعادة الإعمار هو خطة إختراق واسعة تحت تموية علم الأمم المتحدة
ما يجرى الآن من مشاريع إعادة إعمار ليست إلا تجنيد لآلاف من كوادر المثقفين الأفغان للعمل الإستخبارى لصالح أمريكا . بعد عدة سنوات سنواجه مرة أخرى إنقلاب آخر يقوده "طراقى" أمريكى هذه المره.

***

{ملاحظة: الطائرات الأمريكية هى التى جلبت طراقى الجديد عام ٢٠٠١ ، وكان إسمه هذه المرة كرزاى} .

****

الإثنين ١٦ مارس ١٩٩٢

القوة الجديدة ستبيت فى المسجد هذا اليوم حتى ظهر الغد عندما يتم إخلاء المدرسة. جزء من طلاب العلوم الدينية (طالبان) طالبوا تجهيزات ، وافقت على تزويدهم بها بعد أن علمت بتوجههم إلى الخط الأول وكنت أرفض فى البداية .

 مفاجأة جديدة للمقدسى ، إنه يريد تكوين (قوة خاصة به) من شباب الشمال الأفريقى من أصدقائه كى يعمل معهم ومع جماعة منصور من طلبه العلم فى حماية مداخل ممر دارنج فى شيخان وليوان .

وافقت على مشروعه وأيدته على شرط أن يبحث عن تمويل خارج ميزانية مشروعنا ويمكن أن نساعده بالذخائر والأسلحة أو الأفراد بشكل محدد فى حالات خاصة .

كنت أرى أن "المقدسى" سيمثل عنصر تنشيط لتلك المنطقة الهامة الراكدة فطبيعته الحيوية ولجاجته فى التعامل ، لن تترك فرصة لأحد كى يستريح. ولكننا فى المشروع سنستريح منه قليلا ، وسيكون هو مرتكزا قويا لنا فى مدخل "مضيق دارانج" الذى توجد قوتنا الأساسية على الجانب الآخر منه فى "أودكاى" .

هذا من جانب ،من الجانب الآخر أن عناصر الشمال الأفريقى التى بدأت تتوافد بدعوة من المقدسى (التونسى) لن يمكننا إستيعابها فى صلب المشروع ، لأن قوة المشاة عندنا و"القوات الخاصة " كلهم من معسكرات القاعدة وقد تلقوا جميعا نفس التدريبات، وهذا يخلق حالة مفيدة جدا من التجانس والإنسجام سيضر بها كثيرا أى عملية إدماج لعناصر من الخارج ، كذلك عناصر الخارج لا يمكن طردهم هكذا .. والأفضل إعطائهم مهمة مستقلة نسبيا ، ولكن مرتبطة جوهريا بصميم عملنا فى حقيقة الأمر ـ وكان المقدسى مناسب تماما لهذا العمل .

نقطة أخرى هى جرأة المقدسى فى إقتحام معاقل التمويل التى أصبحت نادرة وقليلة ، فليس لديه حساسيات كتلك التى تكبلنا ، ثم إنه شاب نظيف وغير حزبى ، صريح ومباشر ومقتحم، يكتسب ثقة الآخرين فيمكنه إذن تدبير أمر مجموعته الصغيرة. بينما نحن قد تأمنت لنا إمكانية بداية بمبادرات المقدسى نفسه ، ولكنها مازالت فى المنطقة الرمادية وليست مؤكدا إن كانت ستوصلنا إلى المدى الذى نخطط له.

أم أنها ستنقطع فى منتصف الطريق.لذا لا يمكننا المجازفة بدخول أى تشعبات خارج جوهر عمليتنا ـ أى مضيق طيرة، وسنرحب بشدة بأى مجهود يتكفل بتأمين "ممر دارانج" .

□ عبد الخالق لم يكن سعيدا بالإتفاق . فمنهج التنظيمات الإسلامية العربية هو المركزية المفرطة ـ وتوجيهات الجهاديين لأفرادهم فى الجبهات هو "لا تجتهدوا" ـ

ولا يقصد هنا الإجتهاد الدينى فهو مفتوح للجميع "سلفيا"، ولكن المقصود هو الإجتهاد الميدانى وإتخاذ المبادارات فى العمل، وهو شيئ مفيد ومطلوب وينبغى تدريب الجميع عليه وعلى كافة المستويات.

طبيعى أن تحدث أخطاء كثيرة ـ ولكن مع الوقت عندما تصبح "المبادرة" منهجا يتبعه الجميع تقل هذه الأخطاء ـ ولكن لن تنتهى .

وهذا أفضل بكثير جدا من الإفراط فى المركزية التى تحول الأفراد إلى مجرد "كمية " متحركة بالأوامر عن بعد ـ فإذا إنقطع التسلسل القيادى لأى سبب وهذا شيئ غير نادر الحدوث فى ظروف القتال . فإن الفرد يضيع ويفقد القدرة على فعل أى شيئ مفيد . كما أنه يعجز عن إقتناص أى فرص تعبر من أمامه وتكون حيوية جدا بالنسبة للمشروع العام للمجاهدين.

إما اذا حاول إتخاذ مبادرة وهو لم يتمرن على هذا الأمر تحت إشراف قياداته فإنه أيضا قد يرتكب أخطار جسيمة .

 حسب التسلسل القيادى المتفق عليه للمشروع ، أن أتولى قيادة العملية مشروع الطريق أو المضيق، وأن يكون عبد الخالق نائبا لى .

لذا كنت حريصا على التشاور معه وإطلاعه على كل ما يجرى أو يصلنا من أخبار على جبهتنا أو جبهة العدو أو المجال السياسى للقضية الأفغانية.

وكنت حريصا على أن أشارك جميع أفراد المجموعة فى معظم ـ أو كل ـ تلك المعلومات ، وأرى أن ذلك يكون مفيدا لهم للغاية فى إتخاذ مبادراتهم الفردية أو الجماعية أذا أتيحت لهم الفرصة أو أجبروا على ذلك .

 وفى كل مرة أتيحت لى فرصة إتخاذ القرار الأساسى فى عمل، إنتهجت نفس الأسلوب ، فاتخذ العديد من الشباب العديد من المبادرات المناسبة والجيدة والرائعة ـ والأخطاء التى حدثت كانت غير مؤثرة على مجرى العمل ومفيدة للفرد ، حيث أن

كل مبادرة ـ تقريبا ـ كان يجرى مناقشتها أو تقييمها فيما بعد ، ليس للملامة ، ولكن للفحص والإستفادة .

 حاول عبد الخالق تصعيد مبدأ المشاورة إلى درجة المشاركة فى القرار بمعنى عدم إتخاذى قرارا ما إلا بموافقته بصفته نائبا .

أفهمته أن ذلك غير صحيح وغير ممكن فى ظروف ميدانية قتالية. المشاورة ضرورية جدا ـ هذا صحيح ـ أما إتخاذ القرار النهائى فينبغى أن يكون للقائد وحده لأنه يتحمل المسئولية كاملة عن كل القرارات .

ثم عرضت عليه ـ بإخلاص ـ أن يتولى هو القيادة وأعمل معه كمستشار وقلت له أن المشروع فى حقيقته هو مشروع القاعدة فهى التى قدمت أكبر الإمكانيات وكل الأفراد تقريبا، لكنه رفض بما يشبه الإعتذار .

الكومندان خواناى وإبن أخيه دوتار

ـ عملنا طول اليوم فى فتح طريق "خروار". نجم المشهد هو البطل "دوتار" المتألق ، وتراكتورنا العجيب " غرزتور" . العرض كان مثيرا ومدهشا ، والثلوج تتقهقر أمام مهارة وإصرار "دوتار" وقوة "غرزتور". والشباب فى قمة الحماس، يقدمون الخدمات الضرورية لمساندة الأبطال وإستمرارية العرض .

المشاحنات بين الكومندان "حاجى خواناى " وإبن أخيه السائق "دوتار" كانت تضفى جوا من البهجة ، لأنهما فى الحقيقة متقاربان من السن لذا لا يظهر "دوتار" الإنصياع الضرورى لأوامر عمه "خواناى " الذى يصر على معاملته كطفل صغير قليل الخبرة ، وهذا بدوره يتجاهل توجيهات عمه حتى لو كانت فى موضعها .

فى العديد من المرات ظهرت تحديات جدية فى الطريق ، فكان خواناى يعطى توجيهات لدوتار ، فيبادر الأخير بركوب التراكتور ويشرع فى العمل بعكس توجيهات عمه ، فينجح فى قهر التحديات ، ولكنه لا ينجح فى إيقاف إنتقادات عمه وشتائمه .

فى وقتها قلت لأحد الزملاء العرب أننى فى المستقبل قد أكتب رواية وأطلق عليها "الكومندان خواناى وإبن أخيه دوتار" .

 أوقفنا العمل عند الغروب وتوجهنا للمبيت فى أحد القلاع المهجورة كان بها غرفة صغيرة مازالت تحتفظ بسقفها سليما .

صلينا المغرب والعشاء فى جماعة وبسرعة تمددنا منهكين كى نأخذ قسطا من النوم ، بالطبع وزعنا جدول الحراسات كالعادة .

لكن هناك من لم يغمض له جفن ، إنه ديك المعسكر ، كنا أشتريناه صباحاً عند مرورنا فى سوق "قلالجو". أعجبنى منظره ، فقد كان أبيض اللون ممزوجا بلون ذهبى لامع . هو أيضا أحب المجموعة كثيرا لذا لم يتوقف أبدا عن الصياح، منذ أذان المغرب. كان أمرا غريبا وغير عادى ، وهناك من فقد أعصابه أثناء الليل ولم يستطيع النوم رغم الإرهاق فأراد إطلاق النار على الديك الذى كنا نحتفظ به فى نفس الغرفة على حافة نافذة مغلقة .

ومنعاً لإسالة الدماء وحفاظا على السلم العالمى ، إقترحت إخراج الديك من الغرفة .. ومن هناك واصل الصياح حتى أذان الفجر، لكن بمعدلات أقل من السابق .

فقدنا هذا الديك العزيز عندما قضينا أحد الليالى فى قلعة لجماعة منصور. فدخل ثعلب إلى القلعة ليلا وطارد الديك فى ساحتها الواسعة ، فأخذ يولول فخرجنا مسرعين لإنقاذه ، ولكنه من فرط الخوف رمى نفسه فى موقد النار وكان مليئا بالجمرات ، فاحترق الريش والجلد وأشرف على الموت ، فذبحه فريق الإنقاذ. لقد ترك فراغا ملموسا فى حياتنا وحزنا عليه كثيرا .. ولكننا أكلناه على مائدة الإفطار .

الثلاثاء ١٧ مارس ١٩٩٢

تحرك موكبنا لإستئناف فتح الطريق الذى وصل إلى مراحلة الأخيرة .

بقيت معهم لفترة ولكن شعرت بإعياء شديد وبرد غير عادى . نزلة البرد عندى لم تشف تماما . عدت مع أبوكنعان سيرا على الأقدام إلى غرفتنا فى القرية المهجورة. المنطقة ساحرة الجمال ، وأحببناها كثيرا .

كنت أشارك أبو كنعان فى أفكارى وقتها. كنت قلقا منذ أن إستولى العدو على قمة شيخان فى هذا الوقت المبكر .

لم يكن مناسبا أن نكشف عن تواجد قوى لنا فى المنطقة ، حتى تحتفظ بأكبر جزء من المفاجأه وقت العمليات الرئيسية .

لابد أن العدو يعرف بوجود عدد محدود من العرب مع جماعة منصور على خط الجبهة الأول فيما بين مركز "تعمير" ومدينة جرديز. وكنا نتحرك على الخطوط الخلفية والأسواق مثل "فلالجو" بإعتبارنا تابعين لهيئة إغاثة عربية لإعادة الإعمار .

ونعرف أن الأسواق والفنادق بها نقاط رصد للعدو ، فكنا نضخ بها أخبارا مضللة .

ونعلم أيضا أن سوق السلاح الحرة هى نادى تلتقى فيه الحكومات وأعداء الحكومات وجيران الحكومات .

فكنا نحاول الشراء وتجار باكستانيون يسابقوننا فى الشراء ونعلم أن حكومة جرديز تتابع الأخبار عبر نفس التجار أو البائعين أو مقاهى الطريق .

ولكننا لم نشترى شيئا حتى الآن ولم نطلب كميات محددة أو أنواعا بعينها وكنا نتكلم ـ على سبيل الإحتياط ـ بإسم جماعة منصور وليس العرب .

لم نشأ أن نكشف أوراقنا للعدو فى شيخان فنرمى ثقلنا هناك وفى ذلك عدة محاذير:

١ ـ سيعرف حجمنا الحقيقى المتواجد حاليا فى الميدان . وسيعلم أنه ليس حجم مجموعة من عابرى الطريق العرب الذين تعرفهم الجبهات بل هو حشد جدى وراءه شيئ .

٢ ـ سيجذبنا العدو إلى هدف حدده هو فى توقيت حدده هو .

وهو ليس فى برنامجنا وليس جهدنا الأساسى فمن الأفضل التريث ودفع

جماعة مصور إلى شيخان وليوان فيجعلونها مجهودهم الرئيسى ،وهى كذلك بالفعل ، ونكتفى بشد أزرهم ودعمهم عند الضرورة بما يناسب إمكاناتنا. ومجموعة المقدسى قد تكون كافية ، وقد نقدم دعمنا من خلال تلك المجموعة .

ما يزعجنى الآن هو إحتمال أن تستمر يقظة العدو وحيويته خاصة فى أواخر رمضان وأوائل شوال (كما يفعل دوما) وأن يحتل شريطا أضافيا فى منطقة "أودكاى " بمحازاة الطريق ، والجزء الهابط من الطريق فى إتجاه لوجر فيما يلى مضيق طيرة . أى من تلك الإجراءات سيخلق عقبات إضافية بالنسبة لنا . واذا تحرك العدو الآن ، فلن يتصدى له أحد ، فالمنطقة فعلياً خالية بفعل الشتاء ، وستكون خالية فى بداية الربيع بمناسبة الأعياد . ونحن مازلنا منغرسين مابين ثلج وطين !! .

لقد وضعنا قوتنا كلها خاف "الجنرال غرزتور" وقائده "دوتار" حتى نصل إلى خطوطنا الأولى قبل أن يحتلها العدو قبلنا .

وعلى جبل "ناراى" هناك "والى خان" ومعه البلدوزر يخوضان حربا ثلجية لاهواده فيها لفتح الطريق القادم من زدران إلينا فى زرمت .

الأبعاء ١٨ مارس (١٤ رمضان)

فى السابعة صباحاً وصلنا شخص يحمل رسالة من الكومندان "حاجى خواناى" أن طريق خروار صار مفتوحا ، ويدعوننا لزيارته فى قريته " بانج باى" .

هذا أول خبر مفرح نستلمه منذ مدة .

كتبت رسالة إلى أبومصعب الشركسى حتى يحرك التراكتور لتطهير الأماكن الخشنة فى الممر ، ثم يأتى إلينا فى مركز مولوى عارف حتى نرتب أمورنا من جديد ونحدد خطواتنا القادمة .

أزلنا معسكر الطريق فى القلعة المهجورة ، وذهبنا إلى "المدرسة" التى أتخذها عبدالخالق مع مجموعته ، مقرا لهم .

مازال عبد الخالق فى حالة تذمر دائم . جلسنا على إنفراد فوق سطح المدرسة وتكلم بغضب حول ملاحظات وهى :

١ ـ ضرورة إبتعاد "بيت الأنصار" من العملية.

٢ ـ أن القاعدة توفر لها الآن المال اللازم للعمل .

٣ ـ أن هناك تدخلات "سوف تحدث" من الجاررود ، الذى يدير الآن حملة دعائية فى السعودية لصالح مشروع جرديز .

٤ ـ إتهمنى مرة أخرى بتقديم تنازلات لمختار "بيت الانصار" بجعلة مسئولا عن إمداد المشروع بدلا عن أمير الفتح "القاعدة" .

□ عرضت عليه مرة أخرى أن يتولى المشروع كله منفردا فلديه الآن كل الأمكانات المالية والبشرية الكافية ـ وعليه أنسحب من قيادة المشروع وينسحب بيت الانصار من عملية التمويل والإمداد.

أما عن أمير الفتح فهو الذى يتولى السيطرة على عملية الإمداد ، ومختار يتعاون معه بتواضع ونشاط ، وعلاقته ممتازة مع أمير الفتح ـ ولو أن أمير إعترض على مختار فسوف نقوم بتغيره .

ثم شرحت له بما أن العملية تخوضها عدة جهات ، فإن كل طرف بطبيعة الحال يقدم تنازلات للطرف الآخر ـ والمهم أن يبقى الهدف النهائى ثابتا ونحافظ عليه ونصرعلى تحقيقه .

<u>كتبت فى مذكرتى هذه الملاحظات حول ذلك اللقاء :</u>

(وافق على مضض "عبد الخالق" . لا يبدو متحمساً لشئ ، سوداوى النظرة ، متشكك فى الآخرين "الأفغان" ـ أظنها إفرازات جلال آباد .

وهو عكس حالة كنعان المتفائل والمتحمس والمستعد لأى مبادرة.

وقد سألنى أثناء النقاش عن كنعان قائلا : " ماموقعه من الإعراب ؟ " وأيضا عن المقدسى "ماذا يفعل ؟ " .

كان بإختصار يرغب فى إستبعادهما لأنهما ليسا من القاعدة ، وأن الأفراد من القاعدة يكفون للعمل) .

ثم أضفت تلك الفقرة فى مذكرتى :

(المسألة السلفية تأكدت لى أكثر من ذى قبل من حيث النزعة إلى الصدام مع الآخرين ، وعدم الثقة بهم ، وإضمار الإحتقار الحقيقى لهم ، مع التركيز على أشد الجزئيات تفاهة على حساب الهدف الأعظم . تكلمت مع الشباب صباحاً ونحن فى مركز الجبل عن مسألة تسفيه المذاهب "الأربعة " خاصة الأحناف . وخطورة ذلك على المسلمين " خاصة الأفغان" الذين وصلهم الإسلام عن طريق تلك المذاهب ، وأن تركيز السلفية على إظهار" أخطاء الأئمة " سوف لن يساعد إلا على ضياع هيبة الدين نفسه ، فى ظل ظروفنا الإسلامية الحالية ، ومع إنتشار الصراعات المذهبية على الفرعيات) .

□ تحركت مع عبد الخالق ، وأبوصهيب إلى مركز شانزده (١٦). قابلت هناك "خان والى" الشخصية التاريخية فى رماية الهاون ، ثم "والى خان" الشخصية التاريخية فى شق الطرق الجبلية. كلاهما ساق البشرى لنا بفتح طريق ناراى لقد وصل البلدوزر إلى قمة الجبل من طرف فخرى ، وعليه أن ينحدر الآن إلى طرفنا .

وهكذا تجمع لنا اليوم أسعد خبرين منذ أن بدأنا العمل ، لقد فتح الطريقان الحيويان فى يوم واحد .

* أعلن الرئيس الإفغانى"نجيب" عن تخليه من منصب رئيس الجمهورية، مع تمسكه برئاسة الجيش والحزب.

رأيت فى ذلك ضعفا وتلاعبا فى نفس الوقت . فالرئيس يتراجع شكليا أمام تهاوى الموقف العام للنظام ، ولكنه فى نفس الوقت مازال يتمسك بالمفاتيح الحقيقية للسلطة .

* إستسلام مزار شريف *

الخميس(١٩ مارس ١٩٩٢ ـ ١٥ رمضان)

□ **(خبر عن استسلام مزار شريف لأحمد شاه مسعود ،وأن الطائرات** تقصف **المدينة) .**

الأخبار فى بدايتها مشوشة خاصة عندما تصلنا هنا عبر محطات إذاعية مختلفة وعبر أجهزة لاسلكى المجاهدين . ولكن بعد عدة أيام تتضح صورة ما حدث .

وما حدث هذا اليوم ، هو حلقة من سلسلة من التصدعات التى بدأت جديا منذ فتح خوست وإقتحام دفاعات جرديز التى نجت بصعوبة فى هجوم الخريف الماضى، ويبدو أنها على موعد للفتح لن تخلفه فى الربيع الذى يبدأ جغرافيا بعد يومين .

التصدع الذى حدث اليوم للشمال الأفغانى ربما يصب فى سيناريو لتقسيم للبلاد تكون فيه مزار شريف عاصمة للشمال و كابول عاصمة للجنوب ـ اليوم إتخذ طرفان قويان من "المفروض" أنهما متناقضان وهما أحمد شاه مسعود ـ أشهر القادة الميدانيين فى أفغانستان على الإطلاق والمدعوم غربيا ـ وبين عبد الرشيد دوستم أشهر قادة الميليشيات الشيوعية على الإطلاق.الأول يمثل عرقيا (الطاجيك أو الفارسوان) ـ والثانى يمثل الأوزبك.

من الآن فصاعدا ، الطرح العرقى سيكون هو السائد، بقرار أمريكى على الأرض الأفغانية، متخطيا الشعار الإسلامى الذى إستخدموه ضد السوفييت وانصهر فيه الشعب كله .

دار قتال فى مزار إستمر لعدة أيام بين الحليفين الجديدين وبين الحامية الحكومية فى المدينة "مزار شريف". ليس بصفتها حامية عسكرية تمثل نظاما متصدع يبحث عن ورثه جدد ، بل تحت عنوان جديد ومدهش وهو أن القادة العسكريين هم من البشتون. هناك أقلية بشتونية قوية فى منطقة مزار شريف ولكها بالطبع لم تقف إلى جانب الجيش من منطلق عرقى ، لأن الشعب الأفغانى بطبيعته لا يميل إلى التعبير العنيف عن الإختلافات العرقية إلا على مستوى فردى ضيق جدا . ومالم يوجد قادة سياسيون أقوياء (بسبب الدعم الخارجى لهم مثل حالتى مسعود ودوستم) ، فإن الجمهور لا يجد أى حافز " للذبح " العرقى .

ولأجل تمزيق المجتمع الأفغانى وتطويقه وسحبه بعيدا عن خيار الحكم الإسلامى والإنتماء عميق الجذور لهذا الدين كان لابد من البحث عن "مذابح" داخلية . وهى أما أن تكون على أساس :

١ ـ دينى طائفى ٢ ـ عرقى ٣ ـ سياسى

١ ـ الأساس الطائفى للفتنة جربوه فى كونار ولم ينجح لهشاشة الطائفة السلفية التى لا يمكن أن تغامر بحرب طائفية مضمونة الخسارة مع وسط حنفى، شاسع الأتساع عظيم الحماس لمذهبه .

ـ أيضا الطائفة الشيعية ، وإن كانت فى وضع أفضل إلا أنها تعانى من نفس المشكلة. ولكن بعد فتح كابول حاول قادة لشيعة ركوب تلك المغامرة تحت رهانات سياسية خاطئة على الوضع الدولى والإقليمى ، ولكن طائفتهم دفعت أثمانا فادحة ولم تحقق أى مكسب من أى نوع . وإزداد وضع الطائفة ضعفا داخل أفغانستان، وهم الذين يعانون تاريخيا من الفقر والجهل والتهميش وإنتزاع الممتلكات والأراضى.

٢ ـ الأساس العرقى للفتنة ممكن أذا توفر له كما ذكرنا قادة أقوياء بالدعم الخارجى.

وهذا ماتوفر للقادة البشتون للتنظيمات الجهادية "سابقا" فحافظوا بذلك على دعم مالى "خارجى" معقول ـ وموقع متصدر فى المشهد السياسى بعد سقوط النظام الشيوعى .

العصابات المسلحة بكثافة والمدعومة من قادة المنظمات السابقين إرتكبت المجازر الطائفية ما أقنع المترددين أن هناك مشكلة "ذبح" جديدة ، وأن الذى لا يقبل أن يكون جزارا سيكون هو الضحية .

نفس هذه العصابات التى تحولت من "الجهاد" إلى "الذبح العرقى" ـ بأوامر من قادة الأحزاب الجهادية الذين أصبحوا أسيادا فى كابول ـ تلك العصابات إن لم

تجد من تذبحه عرقيا فى مناطقها تحولت إلى فرض الإتاوات على الطرق والسرقات المسلحة .. ثم .. الإغتصاب المسلح !!! .

ومن هنا تراكمت الضغوط إلى حد الإنفجار. وكان الإنفجارهو حركة طالبان بقيادة الملا عمر الذى إجتاح أفغانستان كالإعصار وبتأييد شعبى وقبلى لم يسبق له مثيل فى البلاد. وكان شعار الحركة هو التطبيق الفورى للشرائع الإسلامية. فانخمدت نيران الفتنة بشكل فورى . ولم تشتعل إلا بضغط دولى وإقليمى عنيف ومكثف ومنسق ومتكامل بشكل مدهش قل نظيره على المستوى الدولى حتى وقت الحرب الباردة ضد الشيوعية. وتولى "العالم" قصف طالبان بكل أشكال القصف الإعلامى "المحرمة أخلاقيا" وإمداد المعارضين لها بكل وسائل القتل والتدمير ، مع مساندة دولية كاملة وغير مشروطة .

ومع هذا فلولا الضربة التى تلقتها أفغانستان وحركة طالبان على يد أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ، لكان الوضع هناك أفضل بكثير."**انظر كتاب صليب فى سماء قندهار**

٣

الأساس السياسى لفتنة : لم تكن له جذور فى افغانستان كون الأحزاب السياسية جميعها لم تكن إفرازا أفغانيا داخليا ، بل مظهر لتدخل دولى فى شئون البلاد . يستوى فى ذلك الأحزاب الشيوعية التى مهدت للإحتلال السوفيتى وقاتلت إلى جانبه، أو الأحزاب الإسلامية "الجهادية" التى مهدت للتدخل الغربى والأمريكى تحديدا ، وقاتلت أيضا إلى جانبه مرتين: ومرة ضد الشيوعية وأحزابها ومرة ثانية ضد الإسلام وتطبيقه العملى الحازم على يد حركة طالبان.

"ومرة ثالثة عندما أرسلت مرتزقتها لدعم القوات الأمريكية فى حرب تدمير العراق عام ١٩٩١ وكانت معركة أفغانستان نفسها لم تحسم بعد" .

كما أن الأحزاب أثبتت أنها آليات عمل باهظة التكاليف . فهى تدير الناس على قدر ما تدفع لهم من أموال وتعطيهم من سلاح ، لكن ليس لديها ما تقنع الناس به إقناعا يصل إلى درجة بذل الدماء والأرواح .

ولكن الحافز الطائفى يمكن أن يكون فاعلا بشكل معقول إذا تمت مساندته بالمجازر الطائفية المبرمجة وعصابات المجرمين المسلحين بشكل مكثف . والقادة السياسين المدعومين دوليا وإقليميا .

وهذا ما حدث فى أفغانستان ـ ثم العراق ـ وقبل ذلك لبنان ـ ثم .... إلخ.

إن الفتن الداخلية "عرقيه أو طائفية " سلاح ناجح لتحطيم المجتماعات وتفكيك الترابط الداخلى بين مكوناتها التقليدية . وهى وسيلة تخريب إقتصادى لا مثيل لها، وهى مقاوم مثالى للمشاعر الدينية الحقيقية التى سريعا ترحل فاسحةً المجال لهيستيرها التعصب الحيوانى الذى لا رابط له بعقل أو ضمير .

حروب الفتن يشعلها الغرب فى المجتمعات التى يريد السيطرة عليها ، أو إسقاط أنظمتها التى لم تعد تروق له . لذا فهو ينفذ من الشقوق الرفيعة بين المكونات الإجتماعية ويوسعها محولا إياها إلى خنادق مشتعلة بالنيران التى تأكل الجميع .

أنه ينفذ من جميع الشقوق دفعة واحدة ، ثم يمضى قدما من حيث يصادف ممانعة أقل ونجاحا أسرع .

[راجع ما كتبة الأستاذ محمد حسنين هيكل حول "هندسة الفتنة" فى كتابه ،عام من الأزمات "ص١٨/١٧ " وقد نقلنا رأيه ضمن فقرة بعنوان :هيا إلى الفتنة ـ فى كتاب صليب فى سماء قندهار]

لقد عانت من ذلك الداء الغربى كل شعوب العالم تقريبا ، ونذر أن نجد شعبا لم يتعرض لتلك المحن على يد المتحضرين البيض ، صليبيين كانوا أم يهودا .

□ □ □ □ □ □

<u>تعليقا على خبر إستسلام مزار شريف، كتبت فى مذكرتى الملاحظة التالية :</u>

"أظن أن الجيش كله سوف ينهار أو يستسلم أمام أى هجوم قوى ".

وبالفعل خلال شهر وعدة أيام إستسلم الجيش فى كل المدن وإنهارالنظام بالكامل لصالح نظام جديد تحاول أمريكا لملمة مكوناته الجديدة بمساعدة حلفائها الاقليميين

□ فى المساء عقدت جلسة مع أفراد القوة العربية حضرها معظم المتواجد منهم. كنت كالعادة أشرح لهم آخر تطورات التجهيز لعمليتنا وأحداث أفغانستان وتطورات الوضع فيها .

شرحت لهم توقعى أن ينهار الجيش فى جرديز فى مقابلة أى هجوم ـ وأن هذه ليست دعوة للتهاون ـ لأن أى إنتكاسة لنا فى جرديز سترفع معنويات الجيش والنظام وقد يتبدل مسار الأحداث ـ لذا لابد من الجدية الكاملة فى العمل وكأننا نقاتل جيشا فى أحسن حالاته .

ثم تكلمت عن ضرورة إستعداد كل فرد منهم أن يتولى عملا قياديا فى المستقبل فالمعارك هى مصنع الرجال والقادة، وطريق الحرب يستهلك الرجال والقيادات. فقد تبدأ المعركة بقيادات ولكن الذى ينهيها قيادات إخرى تولت المسئولية من بعدهم. فمن نراهم الآن يقودون الجهاد فى أفغانستان، القليل منهم كانوا من الذين بدأوا معاركه الأولى . وبالتالى فإن المعركة التى نجهز الآن كى نبدأها ربما الذى يختتمها واحد منكم .

كانت تلك المحاضرات تساهم كثيرا فى رفع الروح المعنوية ، وتحفزهم على المشاركة الإيجابية بالمقترحات ، وأن يتفهموا أكثر ما نقوم به من إجراءات.

مولوى إدريس ذاهب اليوم لمقابلة بعض بائعى الذخائر فى مناطق مجاورة .

الجمعة ٢٠ مارس ١٩٩٢ (١٦ رمضان)

جغرافيا اليوم هو آخر أيام الشتاء . المطر مستمر حتى الظهر ، الجبال أشد بياضا بعد أن نزل عليها الثلج .

□ عوضت نقص النوم بأن نمت حتى الظهر ، غدا نسير إلى خروار عبر الممر الذى تم فتحه، سنذهب فى سيارتين مع الأفرد. حملة إصلاح السيارات مازالت مستمرة فالأعطال كثيرة بسبب الأمطار والثلج والطين والطرق الوعرة .. فقط!!.

□ المقدسى يسافر غدا إلى ميرانشاه ثم بشاور ، كتبت رسالة إلى أسرتى حتى يوصلها معه .

□ مولوى إدريس قابل بائعى الذخيرة طلبوا منه أن يدفع مقدما "عربون" نصف مليون روبية أفغانية ـ وقال مولوى إدريس أن هناك خمسة تجار باكستانيين موجودين فى المنطقة يجمعون الذخائر بأسعار عالية ، ووصف ذلك بأنه "مؤامرة من الدولة الكافرة " .

السبت ٢١ مارس ١٩٩٢ (١٧ رمضان)

أول أيام الربيع متناسبا مع ذكرى معركة بدر الكبرى . الجو اليوم ربيعى بالفعل بعكس اليومين الماضيين حيث المطر والرياح الباردة .

لم يستمر ذلك الإعتدال الربيعى طويلا إذا إنهمرت الامطار بشدة فتأجل سفرنا إلى خروار. ملابسى لم تكن مناسبة لمقاومة الريح الباردة التى كانت تصطدم بعظامى مباشرة فأصابنى ألم فى الظهر يشتد ليلا .

□ فى سوق "قلالجو" قابلنا خال حقانى الذى أخبرنا بوجود حقانى فى منطقة الخليج "باحثا عن تبرعات" . وأن الأمطار والطين أغلقت طريق ناراى .

□ قابلنا الضابط عبد الستار ـ بائع قطع الغيار والذخائر ـ كان يتكلم مع كنعان فقال تعليقا على أحداث مزار شريف ومعاركها التى ما تزال دائرة .

(إن أفغانستان قد خربت ولم يعد بها أى متعلم ولا طبيب ولا أستاذ جامعة ..) .

كتبت فى مذكرتى تعليقا على كلامه تلك الملاحظة :

(ذكرنى ذلك بأزمة الطبقة المثقفة فى بلادنا المتخلفة التى تعلمت على النمط الغربى ، وكيف أنها طبقة أنانية خائنة ، لا تبحث إلا عن رفاهيتها الخاصة بمعزل عن مصير المجتمع .. فأى جرثومة خبيثة فى هذا التعليم الغربى ؟؟ .

وبعكس ما حدث مع أهل التعليم الدينى فى أفغانستان الذين حملوا على كواهلهم نيران الحرب ومقاومة المحتلين .

لابد من إنقلاب جذرى فى التعليم لأسلمته هذا إذا أراد المسلمون النهوض مما هم فيه) .

الأحد ٢٢ مارس ١٩٩٢ (١٨رمضان)

ألم الظهر عندى أشد من الأمس والمطر مستمر طول الليل تقريبا. سنخرج لمعاينة حالة طريق خروار قبل عبوره غدا .

عند الظهر خرج كنعان مع مجموعة فى سيارة لمعرفة حال طريق خروار بعد هذه الأمطار. عادت المجموعة بعد العصر ولم يكملوا المسير لأن الثلوج بدأت تهطل بغزارة .

الإثنين ٢٣ مارس ١٩٩٢ (١٩ رمضان)

صوب خروار خرجنا صباحاً فى سيارتين ، ونحن على إستعداد للمبيت . وصلنا إلى معسكرنا القديم أثناء عملنا فى فتح الطريق. وهو أطلال قلعة فى قرية "سلمان خيل"،ولكن قبل وصولنا إلى مركزنا القديم بدقائق قليلة ، كانت مجموعة من البدو ومعهم تراكتور قد دخلوا وإحتلوا القلعة .

المكان رائع الجمال ، ألتقطت العديد من االصور للمنطقة ، كانت الثلوج ملحوظة الكثافة ومن الواضح أننا لن نستطيع عبور الممر. وبمعنى آخر : يبدو أن مجهودنا قد ضاع هباء وأن الجنرال ثلج قد إستعاد سيطرته على الطريق وأغلقة مرة أخرى .

فضلت أن نعود إلى مركز قرب تعمير وتكرار المحاولة فى الغد لعل وعسى .

الثلاثاء ٢٤ مارس ١٩٩٢ (٢٠ رمضان)

عبد الخالق يغادر إلى ميرانشاه الهدف هو الإسراع فى نقل الأسلحة والذخائر من معسكر "جهادوال" إلى خوست فى مخازننا فى قلعة "تخته بك" الكبيرة . سيرافقه المقدسى لإستكمال مشروعه الخاص الذى ذكرناه سابقا . عبد الخالق أبدى مرونه أكثر أرجو أن تستمر ، سواء تجاه مشروع المقدسى أو تجاه بيت الأنصار خاصة عندما عرضت عليه أن يقوم بيت الأنصار بتجنيد مجموعة جديدة من الشباب

لتدريبهم كمجموعات إحتياطية لمشروعنا، ولحشد قوة أكبر لإستثمار النصر المتوقع لهجومنا المرتقب . كنت أتكلم معه عن قوة إحتياطية مكونه من : ـ

- عشرة مجموعات إقتحام بمجموع مئة عنصر.
- خمسة أطقم دبابات .
- خمسة أطقم مدفعية .

الهدف من القوة الإحتياطية هو الإستفادة الفورية من أسلحة العدو التى نسيطر عليها وأيضا تطوير الهجوم فى المحور المناسب وقت العمليات ، إما بالهجوم فى إتجاه جرديز نفسها إنطلاقا من المضيق ، هذا إذا كان هجوم حقانى من الجنوب بطيئا أو متعثرا فى هذه الحالة نتقدم نحن إلى مدخل الطريق من طرف جرديز.

أما إذا كان هجوم حقانى ناجحا ، فنهبط نحن من المضيق فى إتجاه "لوجر" حتى تصل إلى مسافة مناسبة فى المناطق المفتوحة وهناك منطقة تلال تأتى بعد منطقة "تمور" تصلح للإستحكام وإغلاق مدخل الطريق من طرف وادى لوجر .

- كنا نطمح فى أن تصل قواتنا من الدبابات إلى عشرة وذلك بشراء بعض المعروض للبيع منها فى خوست مع دبابتين أو ثلاث من جماعة منصور . وفى هذه الحالة يمكن أن نطوق المضيق بسرعة فى عمل هجومى . ثم الإنتقال بسرعة إلى عمق "لوجر" حسب ما تسمح به الظروف وقتها ، وبالتنسيق مع حقانى بطبيعة الحال .

- طرحت بالأمس فكرة عن شكل مساعدتنا لهجوم على جبل شيخان وهو يتصور تحمس له "المقدسى" كثيرا بطبيعته المندفعة . ولم يمانعه عبد الخالق المتحفظ بطبيعته .

طبقا لهذا التصور سيشارك المقدسى ومجموعته إضافة مع خمسين من جماعة منصور بالهجوم على قمة شيخان والإستلاء عليها بالأسلحة الخفيفة ومضادات الدروع .

□ تتولى مجموعتنا العربية تقديم دعم مدفعى قوى ومناسب والمقترح هو :
(١٢ هاون عيار ٨٢ مليمتر ـ ٣ راجمات صواريخ فردية ـ راجمة واحدة MB١٢ إذا توفرت وقت العملية) .

ـ تكلمت عن الهدف وهو إجراء مناورة واقعية تتعايش فيه قواتنا مع أسلوب الهجوم تحت ستار مساندة مدفعية قوية ـ وهو غالبا الأسلوب الذى سنتبعه فى عمليتنا القادمة على الممر .

ـ وهدف آخر هو تحفيز المشاعر وإستثمار النصر فى تعبئة نفسية وبشرية للعملية الأساسية.وهنا أضاف عبد الخالق أفقا جديدة للعمل حين قال :

(إن شراءها للدبابات الأربع المعروضة للبيع فى خوست ، ثم فتح باب التدريب عليها للشباب الجدد ، سوف يجذب عددا كبيرا من المتطوعين خاصة من الإخوة اليمنيين) .

□ □ □ □ □ □

□ أشعر بقلق متزايد لغياب إخواننا فى خروار فهذا هو اليوم الثامن بدون أخبار من طرفهم ـ أخشى أن يكون هناك شيئ ما ليس على مايرام .

الأربعاء ٢٥ مارس ١٩٩٢ (٢١ رمضان)

أخذنا دورية إستطلاع فى محاولة لإقتحام ممر خروار الذى أغلقته الثلوج أو أرسال الداورية مع دليل إلى إخواننا هناك الذين نخشى أن يكون أصابهم مكروه .

حاولنا فتح الطريق حتى وصلنا إلى نقطة معينة إذا واصلنا السير بعدها فقد لا نستطيع إكمال الطريق كما لم نستطيع العودة .

أرسلنا الدورية بقيادة "أبوعثمان " وإتفقنا أن يحضروا شبابنا من هناك وسنكون فى إنتظارهم غدا فى نفس النقطة عند التاسعة صباحاً.

الخميس ٢٦ مارس ١٩٩٢ (٢٢ رمضان)

ذهبنا فى الموعد لإنتظار الشباب فى ممر خروار ـ ولكن حتى الحادية عشر لم يحضر أحد . توقعنا عدم حضورهم نتيجة الثلوج المتساقطة والهواء البارد .

رجعنا على أن نتصل بهم بالمخابرة عن طريق مركز " شانزاده" .

□ فى تعمير وجدنا زميلنا الحاج إبراهيم ومعه الكومندان خواناى وأحد طلاب العلم منتظرين قرب حاجز التفتيش .

علمنا منهم أن أفراد دوريتنا الأولى إلى "أودكاى" قد عادوا ولم يقابلوا داورية الأمس. لقد عادوا بالطبع عن طريق ممر "دارانج" الذى يحتل العدو كتفه الشمالى فى جبل شيخان .

حاجى إبراهيم وخواناى قدموا لنا مجموعة من الأخبار الهامة بعضها يرتبط بالمنطقة التى كانوا فيها والآخر بأخبار الوضع فى أفغانستان .

<u>أولا ـ من أخبار المنطقة</u>

□ فى نهاية ممر خروار من الطرف الآخر قرية تدعى "مانى خيل" سكان تلك القرية رفضوا إصلاح الطريق المار من قريتهم أو مرور جماعة خواناى بها ، قبل أن يأخذ سكان القرية حصتهم من أموال العرب !!!.

(لاحظ هنا أنه حتى فى تلك الأماكن المجهولة على سطح الكوكب فإن الناس يعتقدون فى أسطورة أن العرب مجرد حمير يحملون زكائب من الأموال ـ رغم أنه فى ذلك الوقت تحديدا ، يكافح العرب ـ فى أفغانستان ـ لتوفير الطلقة ولقمة الخبز. من الغريب أيضا أن رجلا مثل مولوى أرسلان قال لى ذات مرة ونحن فى ميرانشاه : لماذا يصر العرب على أخذ نصيبهم من غنائم خوست ، لماذا لا يتركونها للمجاهدين الأفغان الفقراء .

حاولت إفهامه أن العرب صاروا أشد فقرا وهم مقطوعون تماما عن بلادهم ، لكننى أظنه لم يقتنع).

□ الخبر المحلى الثانى هو أن الطريق الواصل بين منطقة خروار ومدينة شرخ أصبح مغلق بالثلوج .

 الخبر الثالث أن أعمال الحفريات لايمكن أن نبدأ بها إلا بعد عيد الفطر لأن السكان يرفضون العمل فى هذه الأيام .

ثانيا عن أخبار أفغانسان :

ـ إنتهى القتال فى مزار شريف وأصبحت المدينة فى يد مسعود ودوستم تماما .

ـ حدث قتال فى كابول بين أجنحة الحكم ، ودمرت قلعة "بالا حصار" وإدعت الحكومة أن السبب هو إنفجار فى محولات الكهرباء .

ـ قافلة عسكرية كانت فى طريقها إلى جرديز ، وعادت إلى كابول بسبب أحداث مزار شريف، وقد تصدى لها مجاهدون عند منطقة "كلان جار" فى لوجر .

ـ هناك أزمة تموينية شديدة فى كابول، والحكومة تجمع المواد الغذائية من عزنى وعمليات التهريب من باكستان على أشدها .

 بناء على تلك المعلومات قررنا منح المجموعة إجازة حتى الأسبوع الأول من شوال وجعل ذلك إختياريا لمن أراد .

إجتمعنا بالشباب بعد صلاة التراويح ، شرحت لهم الأوضاع الأخيرة وتركتهم مع أبوهمام وأبومصعب لشرح الأوضاع فى خروار .

بالنسبة للاجازة وافق ٢٢شخصا على الشروع فى إجازتهم منذ صباح الغد والسفر إلى ميرانشاه .

تكلمت معهم عن ضرورة كتمان أخبارنا هنا عن جمهور بشاور والإكتفاء بالحديث العام عن مشاركة فى جرديز بدون تحديد أى تفاصيل فى أى نوع.

الجمعة ٢٧ مارس ١٩٩٢ (٢٣ رمضان)

تحركنا فى سيارتين لنقل المجازين إلى أقصى نقطة ممكنة على طريق ناراى .

ثقب أنبوب زيت الفرامل فى أحد السيارتين، ثم توقفنا نتيجة الثلوج، فترجل الشباب لإكمال طريقهم سيرا على الأقدام .

عدنا بالسيارات لاصلاحها فى سوق "قلالجو".

كنعان ومصعب على موعد أفطار وسحور عند الضابط عبد الستار .
وأنا سأقضى ليلة هادئة مع المتعبدين فى القلعة .
****

مصرع ثعبان

السبت (٢٨ مارس ١٩٩٢ ـ ٢٤ رمضان)

فى السادسة والنصف صباحاً حضر أبومصعب الشركسى . وأبوكنعان حتى نغادر نحن أيضا إلى خوست برفقة آخرين .

كان لدينا أمل أن نعبر ناراى بالسيارة التى معنا. ولكن بدأ الثلج يهطل بغزارة فأعدنا السيارة يقودها مصعب وجزء من القافلة ، وعبرت الجبل بصحبة حاجى إبراهيم وكنعان وشاب آخر يدعى عمير .

فى خلال ساعة نصف عبرنا قمة ناراى وهبطنا فى قرية تدعى "سفر خيل" فى منطقة فخرى. ركبنا السيارة ورياح باردة شديدة تهب علينا ونحن نرتجف من البرد.

عند المغرب وصلنا إلى قرية تدعى"مارة" وتقع بين دوامندو ونادرشاه كوت . قضينا الليل فى أحد الفنادق هناك ونمت إلى جانب البخارى لأكتسب مزيدا من الدفء، لكن القمل والبراغيث قاموا بالواجب. والأكثر من الواجب قام به "حيوان" تسلل قرب أذنى اليمنى ليلا ونهشها. فأصبحت حمراء ملتهبة ، ولكننى تجاهلت الأمر حتى الصباح لكونى فى حاجة إلى النوم أكثر من حاجتى إلى الصراخ .

لعدة أيام أصبت بشلل نصفى فى الوجه عالجنى منه فى ميرانشاه الدكتور عبد المعز (أيمن الظواهرى) . وقال أنه نتيجة الإرهاق والبرد. فقلت له أن السبب هو عضة ثعبان فى أذنى اليمنى، فسألنى إن كنت قد رأيته. فأجبت بأننى سمعت

حركته تحت كومة الأخشاب القريبة منى وقت النوم فى الفندق، وأظنه قد مات مصابا بالتسمم .

 فى ذلك الفندق على حافة قرية "ماره" لاحظت أن مجموعة من الشباب الأفغان صغار السن لم يتناولوا طعام العشاء "الإفطار فى رمضان" وجلسوا فى هذا الجو البارد خارج الفندق يهيئون لأنفسهم مكانا للنوم ـ كان ذلك دليلا على أنهم لا يمتلكون نقودا ـ أرسلت لهم حاجى إبراهيم لمعرفة أمرهم.

فعلم أنهم من طلاب العلوم الشرعية "طالبان" وأنهم عائدون من الجبهة فى جرديز لقضاء العيد مع عائلاتهم المهاجرة فى باكستان .

عرضنا عليهم أموالا فرفضوا بشدة . فطلبنا لهم طعام العشاء وقضوا الليل معنا داخل الفندق ، وصاحبونا حتى ميرانشاه .

الأحد ٢٩ مارس ١٩٩٢ (٢٥ رمضان)

تناولنا طعام السحور مع الشاى، وتحركنا صوب خوست ومعنا طلاب الشريعة المجاهدين . وصلنا خوست مع إسفار الصبح، وصلينا فى غرفة حارس لمحطة بترول . فى قلعة تخته بك سألنا عن "الدكتور نصرت ا " فقالوا أنه فى بشاور .

وصلنا ميرانشاه وفيها نزل طلاب العلم ماعدا واحد كان طريقه معنا إلى بشاور .

قررنا البقاء فى ميرانشاه لأننا علمنا أن أبوحفص موجود فى معسكر جهادوال ، وأن "نصرت ا " موجود حاليا فى معسكر سلمان الفارسى، لهذا سننتظرهم هنا .

إعتذرنا لطالب العلم ورجوناه بحرارة قبول أجره الطريق إلى بشاور فقبلها محرجاً .

سرقة الخزينة/ وقف الصرف

ثلاثة أحداث مؤسفة حدثت فى ميرانشاه أثناء رحلتنا ولم نسمع بها إلا اليوم وهى:

١ ـ ثلاث شباب ليبيين كانوا سابقا فى القاعدة والآن هم فى جماعة جديدة للتكفير، سطوا على بيت العرب فى ميرانشاه وسرقوا الخزينة التى بها الأموال المخصصة لمشروع جرديز "ممر طيرة" .

تم إعتقال السارقين ومعهم الخزينة ، والتحقيق جار معهم فى معسكر جهادوال.

إقترحت تحويل القضية إلى والى خوست مولوى نظام الدين ، للخروج من إحراج معاقبة العرب بواسطة العرب أنفسهم . رجحت أن يكون هناك متواطئون فى العملية من داخل مضافة العرب فى ميرانشاه . وكان هؤلاء الشباب قد أقاموا بها لفترات.

كانت مصادفة عجيبة أن تسرق الأموال من الأماكن التى أعمل بها . فى المرة الأولى سرقت أموال مجلة منبع الجهاد فى بشاور ـ والآن تسرق أموال مشروع عمليات جرديز . فهل من علاقة بين الحادثين ؟؟ وهل لذلك صلة بى شخصيا ؟؟.

٢ ـ مختار طلب من أبوأحمد (المحاسب وأمين الصندوق لميزانية مشروع جرديز) أن لا يصرف أى مبالغ لطلبات من طرف عبد الخالق !!. كان التصرف غريبا حتى مع وجود ذلك التنافر بين الشخصين . فلا يمكن أن تكون عملية الصرف مزاجية ، ومن جانب طرف واحد فى مشروع يجمع أكثر من طرف .

"رأيت فى ذلك إشارة إلى أن الممول يريد إستعراض عضلاته وإخضاع باقى الأطراف لإرادته فى وقت حرج للغاية مع دخول فصل الربيع الذى من المتوقع أن يحسم فيه الموقف كله "

كنت أحسن الظن كثيرا فى مختار ، لذا توقعت أنها لحظة غضب لا أكثر . وجدت أنه ترك لى رسالة يطلب منى الحضور إلى بشاور لمقابلته مع الجارود هناك .

{{سياسة الوقف التعسفى للصرف إما أنها كانت عادة متأصلة لدى إخواننا هؤلاء أو أنها كانت سياسة عمليات!!. ففى ذروة أحداث إستسلام جرديز ثم كابول وقوتنا العربية هناك تراقب وتتابع التطورات، وصلتنى رساة من"مهند" أحد كبار مسئولى بيت الأنصار ومن الشباب

المميزين هناك، يخبرنى فيها بأنهم قرروا وقف الصرف لأن "الأمر قد إنتهى" ويطلب إعادة الشباب التابعين لبيت الأنصار، حتى تتضح الرؤية للإخوة فى بيشاور.

مرة أخرى يوقفون الصرف فى وقت حرج ومن جانب الممول وحدة، وبدون مراعاة أو مشاورة مع من يتحملون المسئولية فى الميدان . كأن سحب القوة من الميدان يتم بقرار إدارى وكبسة زر من جرس على مكتب مسئول،وأن ذلك الإنسحاب لايتطلب جهدا ووقتا ومالا. فالقوة الموجودة ليست مجرد أفراد من رعايا تلك الجهة أوتلك وعند إستدعائهم من الجبهة يلقون أسلحتهم على الأرض ويذهبون . إنهم جزء من قوة تتقدم أو تنسحب مع أسلحتها ومهماتها وعتادها وفق ترتيبات منضبطه، خاصة وأن القوة لم تنهزم فى معركة وليست واقعة تحت أى ضغط .

حتى محاسب العملية الذى أرسلوه لنا فى ميرانشاة ظهر بعد سنوات أنه يعمل لصالح إستخبارات دولة عربية مهتمة بمكافحة الإسلام . أظن أن عبد الخالق الصينى لم يكن مخطئا تماما فى إساءة الظن بمواطنيه السعوديين .

وهذا هو نص رسالة مهند التى وصلتنى فى مدينة جرديز:

الأخ أبو الوليد.. حفظه ا . السلام عليكم ورحمة ا . كيف حالكم وحال الإخوة عندكم. نبلغ فضيلتكم بأن الإخوة فى بيشاور طلبوا منى وقف الصرف لعملية جرديز لإنتهاء الأمر وذلك من يوم٢٧/١٠/١٤١٢ ـ "يوافق٣٠ أبريل ٩٢"ـ .

والذى منتسب إلى بيت الأنصار يذهب إلى طرفهم حتى تتضح الرؤية للإخوة فى بيشاور.

أخوكم الفقير: مهند }}.

****

٣ توجد أزمة بين بيت الأنصار وأبوالحارث، وأن لى دخل فى هذه الأزمة .

أخبرنى بذلك أبومحمد السورى الذى قابلناه ونحن فى الطريق إلى معسكر سلمان الفارسى لمقابلة نصرت ا .

فيما بعد، ظهر أن هذه الأزمة جاءت أيضا من الممولين فى "بيت الانصار" الذين طلبوا من أبوالحارث أخذ موافقتى على أى مساعدات يطلبها منهم بصفتى "أمير العرب فى جرديز!!" .

إعتبرت ذلك وقيعة بينى وبين أبوالحارث وجماعته ، وإرباكا لوضع العرب فى جرديز، وفتحا لباب الصراعات العقيمة على شئ وهمى إسمه الإمارة!!. وكأن جرديز لا أصحاب لها حتى يكون العرب أمراء فيها أو عليها .

ونحن وأبو الحارث تربطنا علاقات تاريخية متينة ، ونعمل حاليا فى مناطق مختلفة ومتباعدة جدا ، فجرديز ليست قرية أو حتى مجرد مدينة أنها منطقة شاسعة الأرجاء .

هذا من جهة ومن جهة آخرى فأبوالحارث وجماعته هم الأقدم فى المنطقة وشاركوا فى معاركها قبلنا ولهم فيها العديد من الشهداء ، وهم الأكثر عددا ونحن بالكاد نحاول تثبيت أقدامنا فوق أرض زورمت الزلقة .

فإن كان لابد أن يكون هناك أميرا واحدا للعرب فينبغى أن يكون هو أبوالحارث .

ثم ما جدوى أن يكون هناك أميرا واحدا ، وكلا الطرفين يستحيل له أن يقود المجموعتين فى ذات الوقت نتيجة التباعد الجغرافى .

الأسلم أن يكون الطرفان يعملان فى إطار خطة واحدة يضعها ويشرف عليها قائد واحد . وذلك الشخص موجود فعلا وهو حقانى .

فهو الذى يقود العمل العسكرى كله الذى نحن جزء منه وأبوالحارس جزء آخر .

□ □ □ □ □ □

الغرض من الإطالة هنا هو دراسة ملامح صغيرة للتأثير الضار للتمويل الذى يأتى من خارج السياق التنظيمى للجهاد . ثم يتدخل فى ذلك السياق تدخلا ضارا (بغض النظر عن النويا) ، فيضر البنيان التنظيمى وحتى بمسار العمليات العسكرية وتدريجيا ينتقل من التأثير على القرارات إلى إصدار الأوامر وإغتصاب القيادة الفعلية ـ وفى النهاية تقرير المسار السياسى ومصير القضية نفسها **(سنرى بعد قليل أن مدير الإستخبارات السعودية، وهى الممول الأساسى"للجهاد" هو الذى شكل حكومة "المجاهدين" التى دخلت كابول لتتولى الحكم بعد سقوط النظام الشيوعى) .**

فى البداية يأتى الدعم إلى المجاهدين مشفوعا بإسم ا والدين ، وفى النهاية يأتى الدعم مقابل الإذعان مشفوعا بإسم العقلانية والواقعية وقرارات "الشرعية" الدولية

□ □ □ □ □ □

وصلنا إلى معسكر سلما الفارسى عند مجموعة التباب الأخيرة فى منطقة بارى جنوب خوست. أكداس من الغنائم مازالت متناثرة مع العديد من المركبات العسكرية. تحدثنا مع نصرت ا عن عمليتنا القادمة فى جرديز وفى ذهنى أن تكون مجموعته ـ أو جزء منها ـ بديلا عن جماعة منصور الذين ظهروا أقل كثيرا من المستوى المطلوب .

وافق معنا على فكرة المشاركة بل تحمس لها ، وقال أن لديه عدد متوفر من الأفراد. وعن الراجمات قال أنه يمتلك واحدة صالحة للعمل يمكن أن يقدمها لنا. فطلبنا منه مساعدتنا فى شراء ثلاث راجمات أخرى .

وعن الهاونات لم يكن لديه ما يستطيع تقديمه لنا ، فالهاونات الثقيلة كلها فى الجبهة وعددها قليل جدا . والهاونات المتوسطة ليس لها قذائف فقلنا له أننا نريد أثنى عشر هاون من الطراز المصرى .

الفقرة الأهم فى الأسلحة كانت الدبابات وكنا نريد شراء ست دبابات فقال أنه كان يتفاوض على شراء دبابة مع أربعمئة قذيفة بمبلغ سبعمئة ألف روبية باكستانية ، وأنه يمكن أن يترك هذه الصفقة لنا .

إتفقنا مع "نصرت" على أن يأتى معنا إلى منطقة "أودكاى " لإجراء التجهيزات النهائية للهجوم.

الترابـط المفـقـود

الإثنين(٣٠ مارس ١٩٩٢ ـ٢٦ رمضان):

وجدت أبوحفص فى بيت العرب وتحدثنا طويلا عن كل شيئ ـ كما جرت العادة عندما نبتعد طويلا فى مهام عمل . وعلمت منه مايلى:

- أن أسامة بن لادن "أبوعبدا " كان فى طريقه إلى ميرانشاه ولكن الرحلة ألغيت فى اللحظة الأخيرة .
- أبوالفضل المصرى "مدرب على المضادات الجوية" ذهب للإتفاق على صفقة من صواريخ سام مع أحد التجار الذى رفع السعر من عشرة إلى إثنى عشر ألف روبية باكستانية للصاروخ الواحد . ومن المفروض أن نصطحب معنا بعض هذه الصواريخ فى عمليتنا الجديدة ـ رغم عدم ثقتى بها .
- تم إرسال بعض المستلزمات لعملية شق طريق نازاى ، فإرسل إلى هناك براميل الديزل وبعض المتفجرات . وقد إستلمها "والى خان" سائق البلدوزر .
- طلبت من أبوحفص التفرغ لتجهيز قوة المشروع من الأفراد والأسلحة والمطلوب هو مئتى شخص مع المدفعية وقد تم تحديد كل ذلك بدقة فى أوراق سلمتها لهم.

وفى الحقيقة كنت أطمع فيما هو أهم من ذلك وهو تكوين مركز قيادة فى ميرانشاه أو بيشاور ، يرتبط وينسق ويجهز المجموعات العربية الثلاث المرتبطة بالعمليات المتوقعة فى هذا الربيع فى جرديز.

هذه المجموعات هى: مجموعة أبوعبدالرحمن الكندى فى لوجر ومجموعة أبوالحارث جنوب جرديز ـ ثم مجموعاتنا فى شمال جرديز وغربها.

وأكرر مرة أخرى أن هذا الأقتراح لو تم تنفيذه ربما تغير تاريخ أفغانستان، ولما حدثت التداعيات الكئيبة التى توالت بسقوط النظام، ثم تولى حكومة تركى الفيصل "مدير الإستخبارات السعودية" زمام الحكم فى كابول طبقا للتصور الأمريكى لمستقبل مظلم فى أفغانستان.

- والسبب هو أن إنعدام الإتصال بين المجاهدين فى الولايتين لوجر وباكتيا حرمهم فرصة نادرة تلقفها العدو .

لقد إستسلمت لوجر قبل أسبوع أو تسعة أيام من إستسلام جرديز . طول هذه الأيام كانت أخبار لوجر مشوشة تماما لدى قيادة جرديز التى تتفاوض مع القيادات العسكرية للمدينة بشأن الإستسلام .

جنرالات جرديز ـ وكانوا على درجة عالية من الذكاء ـ أدركوا أن مفاوضيهم لا يعلمون بما حدث فى لوجر ، فتصنعوا التماسك وماطلوا وإبتزوا المجاهدين وتلاعبوا بهم ، حتى حصلوا على أكثر مما هو مفترض من أجل الإستسلام .

فى نفس الوقت فإن تسعة أيام أهدرت فرصة نادرة للمجاهدين، بأن تأخرت قوات حقانى بأن تكون على خط التماس المباشر مع كابول . ولو تم ذلك لتجمع المجاهدون المخلصون حول تلك النواه القوية ، وفرضوا رؤيتهم فى تشكيل النظام القادم ولمنعوا نشوب الحرب حول كابول التى إشتعلت لسنوات ودمرت كل ماهو ذو قيمة فى العاصمة وهجرت الآلاف من سكانها وقتلت آلافا آخرى ـ ودمرت أحياء بأكملها إضافة إلى القاعدة الصناعية للمدينة ـ وهى الأفضل فى أفغانستان ـ وكذلك الأكاديميات العسكرية وكامل البنية التحتية . لقد قطعوا كابل ـ وهى رأس أفغانستان ـ فاستحال "إلى الآن" تجميع الجسد الممزق .

تسعة أيام كانت كافية لأن تحشد أمريكا أدوات الحرب الأهلية على نفس الخطوط التى كان من المفروض أن يشغلها حقانى والمجاهدون من حوله .

لقد دفعت باكستان فتاها المدلل " حكمتيار" إلى لوجر التى فرغها حكمتيار سابقا كى يفتح الطريق أمام القوات الحكومية المتحركة لدعم صمود جرديز أمام هجمات حقانى. فجأة أعاد حكمتيار كل ماالستطاع من رجال وسلاح ، إلى لوجر على حدود كابول ، وبدأ سيناريو الحرب الأهلية بمساندة كاملة سياسية وعسكرية من باكستان ، ضد أحمد شاه مسعود الذى حظى هو الآخر بدعم واسع إقليمى ودولى وهكذا بدأت قصة خراب أفغانستان التى ما زالت مستمرة .

أقول لو أن خبر إستسلام لوجر قد إستلمته " مركزية عربية " متمثلة فى أسامة بن لادن ومساعداه أبوعبيدة وأبوحفص ، ثم نقل ذلك إلى عرب جرديز وحقانى لكنا :

١ـ حصلنا على شروط أفضل بكثير لصالح المجاهدين فى إستسلام جرديز ـ التى نهبت كما نهبت خوست وأسوأ لأن الضباط الشيوعين من قادة الحامية أعطوا أنصبة كبيرة للعناصر المشبوهه حول المدينة ممن تعاونوا معهم سابقا .

٢ـ ولأمكن للمجاهدين أن يكونوا على حافة كابول قبل أمريكا وباكستان وحكمتيار، وقبل تشكيل حكومة تركى الفيصل زعيم الجاسوسية السعودية .

ولما كان هناك فرصة لإشعال حرب أهلية ، فلم يكن مسعود ليجرؤ على إشعالها بدون طرف متعاون معه من الجانب اللآخر وهو غريمه حكمتيار . وكلاهما (مسعود /حكمتيار) قادر على إشعال حرب أهلية وغير قادر على حسمها .

ولكن أيا منهما ماكان يمكنه مواجهة حقانى ومجموعة الميدانيين الذين كانوا فى إنتظار وصوله إلى حدود كابول كى ينضموا إليه ، هذه القوة كانت فى حاجة إلى تلك الأيام القليلة كى تفرض واقعها ، وتحسمه عسكريا إذا لزم الأمر ـ وحتى هذا لم يكن ضروريا ـ لكن عندما وصل حقانى إلى لوجر كان حكمتيار قد شكل فى وجهه حاجزا عسكريا على حدود كابول ، ومسعود شكل حاجزا من الطرف المقابل ـ وبدأ الإثنان برنامجا مشتركا متفقا عليه بين سادة اللعبة الحقيقين لتخريب أفغانستان . وإغلاق المنافذ أمام أى فرصة لحل إسلامى يحكمها .

بقى أن نكرر لمرات كثيرة أن تخطيط اللعبة وسيدها الأكبر كان ومازال هو القطب الأمريكى الأوحد فى العالم ـ وأن الحركة الميدانية كان يشرف عليها الأقزام الإقليميون ظاهرا وباطنا .

والبيادق الحزبية الأفغانية بأطيافها الواسعة من الجهادى الأصولى إلى الشيوعى الراديكالى مرورا بالملكى الليبرالى ، جميعهم مستعد للحركة بعد أن يملأ خزاناته بوقود الدولار النفطى.

نقـابة التكفـريين

 مسئول (حزب إسلامى/حكمتيار) فى معسكر جهادوال أخبر جماعة القاعدة هناك عن مشروعنا فى جرديز بتفاصيل وأسماء القائمين عليه .
قال أبوحفص أن القصة أصبحت متداولة فى بشاور بين الأفغان والعرب !! .
وهكذا أصبحت عمليتنا سراً مشاعاً.

 التكفريون العرب الذين حاولوا سرقة خزينة المشروع قالوا أثناء التحقيق معهم أنهم فعلوا ذلك لإنقاذ أرواح العرب من مؤامرة تديرها السعودية عبر هذا المشروع. ثم أفتوا بأن القائمين على هذا المشروع كفار .

 فى بشاور قابلنى شاب سعودى يدير أشهر شبكة تكفير . وجه لى تهديدا من الإستمرار فى "مشروع جرديز " وقال بأن عواقبه ستكون أوخم من عواقب معركة جلال آباد (١٩٨٩) !!
هذا الشاب ظهر أنه ضابط إستخبارات نشيط ومحقق بارع فى التعذيب عرف عنه ذلك بعد إنتهاء التواجد العربى عام ١٩٩٣ ، وقد حقق مع كثير من "إخوانه" المجاهدين فى سجون المملكة." كان لقبه فى بشاور هو ، أبو الموت!!"

 كان ذلك الضابط البارع يدير مكتباً فى بشاور ينشر فيه الفكر التكفيرى ويوزع منشورات ضد حكام السعودية والقادة الأفغان وأسامة بن لادن .
كان مكتبه عبارة عن "نقابة للتكفيريين العرب " ومموِلا لهم .
ـ نشاط التكفيريين ظل ثقافيا لعدة سنوات ، وأبرز حركة "ميدانية" لهم كانت ضد مشروع جرديز . ولكن نجاحهم الأكبر كان بإعلان الخلافة الإسلامية عام ١٩٩٢ على يد خليفة بريطانى الجنسية إستمر على رأس منصبه حتى ١٩٩٦ حتى لفظ المشروع أنفاسه الأخيرة ـ بعد قتل وقتال وسطو وخطف ـ ثم عاد الخليفة إلى بريطانيا العظمى بدون أن يعكر صفوه أحد هناك . (**انظر كتاب صليب فى سماء قندهار**)

<u>الخميس ٢ إبريل ١٩٩٢ (٢٩ رمضان)</u>

فى بشاور زارنى مولوى منصور فى بيتى للإطمئنان على صحتى. تطرق حديثنا فى أغلبة عن التطورات السياسية، التى يتابعها منصور عن كثب منذ أشهر وذكر تفاصيل عن مشاورات قادة الاحزاب حول مقترحات الأمم المتحدة(أمريكا) بشأن أفغانستان وهى المقترحات التى تدعمها باكستان وإيران والسعودية .

قال أنه كان من المفروض أن يتم إجتماع فى جنيف فى أواخر هذا الشهر"ابريل " يضم ١٥٠ شخصا لإختيار حكومة للبلاد. ولكن نجيب ا إعتزم الفرار خارج البلاد خوفا من إغتياله على يد أحد جنرالات الجيش الذى سيتقدم بعدها كمنقذ للأمة ومحورا للوحدة الوطنية على جثة نجيب.

لكن مندوب الأمم المتحدة المكلف بالملف الأفغانى "بنون سيفان" رجاه شخصيا أن يستمر فى الحكم حتى يتم العثور على حل بسرعة . لكن مزارشريف إنقلبت على نظام نجيب ا ، بحثا عن حلول شخصية لعبد الرشيد دوستم ولوقوع بعض الصدامات العرقية بين البشتون والفرسوان .

الأحد ١٢ إبريل (٩ شوال)

إجتماع لنا فى بشاور مع القاعدة وبيت الأنصار نجحنا فى حل المشاكل القائمة بينهما ـ كان نصرا "دبلوماسيا" لمشروع جرديز :

- فالقاعدة وعدت بدعم إضافى فى مجال التسليح والذخائر .
- وبيت الإنصار أبقى دعمه ثابتا ، مع وعد بالمزيد إذا ظهرت الحاجه لذلك .
- دعم بيت الإنصار لأبى الحارث سيستمر مستقلا عنا ـ ولكنهم سيشاوروننا فى الأمر عند الضرورة .

ـ جارى تجميع ١٨ مليون روبية باكستانية لدعم حقانى تصرف له عند الحاجه.

الاثنين ١٣ إبريل (١٠ شوال)

تحركنا من بشاور فى اتجاه ميرانشاه ـ عبد الخالق يقود السيارة وبجانبه أبوتراب الليبى وجلست فى الخلف مع أبوجهاد ـ صديقنا القديم الذى قرر الإنضمام معنا

فى مشروع جرديز ، بعد أن كان معنا فى الأيام الذهبية لنا فى منطقة بارى فى خوست فى أعوام (٨٥ ـ ٨٦).

كنا نستعيد معا أفراح الذكريات القديمة وأحزان فراق الشهداء من إخواننا خاصة عبد الرحمن المصرى ـ نجم مجموعتنا الذى نفتقده دوما .

كنا نتحدث بمرح ونضحك كما كنا نفعل فى الماضى . ولكن حزنا ثقيلا يجثم على قلوبنا ـ لا نحاول إخفائه لأننا لا نستطيع .

كان أبوجهاد يقولها بصراحة : لقد جئت لأن هذه ستكون آخر فرصة لى حتى أستشهد فى أفغانستان.

حتى أنه ودع أسرته فى بشاور على هذا الأساس، إنه لن يعود.

كنت أصارحه فى بشاور أن معركة ممر طيرة ستكون قاسية جدا، وأتوقع خسائر فى الأرواح لا سبيل إلى تفاديها فى إقتحام ممر جبلى شديد التحصين .

وقلت له بصراحة الزملاء القدماء : إنها المرة الأولى التى أخوض فيها معركة فى أفغانستان تحت شعار"إما أن نكسب أو أن نموت " وأننى لست مستعدا لأن أعيش حتى أرى بعد تلك السنوات الطويلة من الجهاد فى أفغانستان ، وإذ البلاد ترأسها حكومة يشكلها بطرس غالى "سكرتير عام الأمم المتحدة".

ربما أن كلامى هذا معه فى بشاور شجعه على المجئ لإغتنام فرصة "الرحيل المشرف عن هذا العالم " .

 فى ميرانشاه ليلا أخبرنا أبوحفص أن خبرا وصله يفيد باستسلام لوجر كاملة . وما لبث أن تواترت أخبار أخرى تنفى ذلك . وظل الوضع هكذا غائما حتى فتحت جرديز فى ٢٢ إبريل .

 ذهبنا إلى مضافة حقانى ليلا لمقابلة شقيقه إبراهيم. فى الطريق قابلنا الكومندان خواناى فى طريقه إلى هناك أيضا.

حاجى إبراهيم أبدى إستعدادا واسعاً للتعاون معنا حسب توصية حقانى على شرط عدم التداخل مع الآخرين (يقصد جماعة منصور) . فأفهمناه أن أفراد البرنامج سيكونون من جماعتنا وجماعة "د.نصرت ا " فقط .

ـ ثم حصلنا منه على ورقة للمخازن بصرف مسدس لزميلنا الصحفى الأردنى "صالح إلهامى" الذى سيرافقنا إلى جرديز ـ وصالح كان قد أصيب إصابة بليغة بلغم فوق جبل تورغار فى اليوم الثانى لفتح الجبل. وكان يغطى المعارك فى خوست لصالح مجلة الجهاد فى بشاور .

ـ زميلنا كنعان عاد من بشاور فى طريقه إلى أبوالحارث فى جرديز ويستأنف قريبا مشروع زواجه (من شقيقة صالح).

******

لوجر : الـصـقـريـنـقـض

فى صيف ١٩٩٦ جلست مع أبوعبد الرحمن الكندى فى جلال آباد ، داخل مدرسة للأيتام كان يجهزها كأحد مشروعات مؤسسته هناك .

كان همى وقتها تسجيل أحداث "لوجر" . حدثنى شفويا وسجلنا بعض الشرائط التى بقيت معه حتى يكملها لكنه فقدها.

وها أنا أكتب من الذاكرة أهم مادار بيننا:

 حاول أبوعبدالرحمن إقناع حكمتيار وقياداته العسكرية بشن هجوم كبير على مراكز العدو فى"لوجر" لكن القادة العسكريين إعترضوا كون دفاعات العدو هناك قوية جدا ، فاحتج أبو عبد الرحمن بأنه يعرف المنطقة جيدا والعدو فى المنطقة ضعيف ويمكن التغلب عليه .

فردوا عليه قائلين إن مايراه أمامه فى "لوجر" ليس إلا خط الدفاع الأول وأن خلفه خطان آخران أقوى منه ، لذا فإن أى مجهود ضد الخط الأول لن يكون مجدياً والهجوم على ثلاث خطوط دفاعية للعدو هو أمر خارج قدراتهم فى "لوجر" .

ثم أخرجوا له خرائط عسكرية مرسوم عليها الخطوط الدفاعية الثلاث بشكل يدعو فعلا إلى اليأس من إمكان التغلب عليها .

لكن معلوماته كانت غير ذلك وقال بأن هذا الكلام غير موجود على الأرض .

وفى النهاية أصر كل جانب على موقفه . وتقرر أن الحزب لن يقوم بهجوم كبير فى لوجر .

تحرك أبوعبدالرحمن إلى لوجر وبصحبته عدد ممن يثق بهم هناك ، وهم أيضا من جماعة حكمتيار. ويبدو من سياق الأحداث أنهم ذهبوا معه بسيف الحياء ، وخشية أن يقطع علاقته بالحزب ، ويبحث لأحلامه عن مجال آخر خاصة وأنه عرف الطريق إلى حقانى وكان يبحث عنده عن حل لمعضلة لوجر .

وفى الواقع كان حقانى يركز على قطع الطريق الذى يعبر لوجر من صحراء يابوس ـ ولا يهتم تقريبا بالطريق الزراعى الذى يشغل بال أبوعبدالرحمن.

أخبرنى أبوعبدالرحمن أن "لوجر" فتحت قبل جرديز بأسبوع أوعشرة أيام .

(إستسلمت جرديز فى ٢٢ إبريل ١٩٩٢ ، وأول خبر وصلنا عن استسلام لوجر كان فى ١٣ إبريل، ولكننا لم نصدقه نظرا لكثرة الأقاويل وقتها عن إستسلام المدن وأكثرها كان سابقا لأوانه. ولكن يظهر من رواية أبوعبدالرحمن أن ١٣ إبريل كان هو الموعد الفعلى لفتح لوجر ، أى بفاصل تسعة أيام سابقة على فتح جرديز).

ولكن كيف حدث ذلك ؟؟ .

يقول أبوعبدالرحمن أنه ألح كثيرا على الذين معه كى يهاجموا مواقع العدوالقريبة منهم وكانت منطقة محمد أغا، وهى مركز هام على حافة محافظة لوجر ، من جهة كابول .

فى الصباح الباكر لأحد الأيام (١٣ إبريل ١٩٩٢) بدأت السماء تمطر بشدة وقف أبوعبدالرحمن يكلمهم بضراعة وتأثر:

"إن تلك الأمطار بشائر النصر وتثبيت من ا ، وإننا إذا توكلنا على ا وهاجمناهم الآن فسوف نباغتهم فى وقت لا يتصورون فيه قتالا، خاصة وأن لوجر كلها هادئه منذ وقت طويل " .

كان يكلمهم وهو بكامل تجهيزاته القتالية ، وقال أنه سيتحرك منفردا إذا لم يأت أحد معه. أخجلهم حديثه وشجعهم فتحركوا والدموع تفيض من أعينهم .

أرض لوجر الزراعية تصبح موحلة جدا فى مثل ذلك الجو الممطر . كان السحاب كثيفا كأنه الليل والمطر ينهمر بشدة .

إستمرت قافلة المجاهدين تسير ببطء تحت المطر وفوق الطين حتى وجدوا أنفسهم داخل مواقع العدو وفوق رؤوس الجنود.

بادر الجنود بالإستسلام وكأنهم كانوا فى إنتظار طويل لتلك اللحظة فسقطت "محمدأغا" المنيعة بدون طلقة واحدة .

أخذ المجاهدون سيارات من الموقع وتحركوا بها على الطريق العام .

ـ وكانوا فى أقصى نقاطه فى الشمال، هابطين صوب مواقع الجنوب ـ وكلما صادفوا موقعا هبطوا إليه شاهرين السلاح ـ كانت مفاجأة للمواقع الباقية أن يأتيها المجاهدون فى سيارات عسكرية حكومية على الطريق العام من جهة كابول .

تساقطت المواقع جميعا بسهولة وبلا طلقة واحدة ، والمطر يزداد هطولا .

تسرب الخبر إلى الأهالى وباقى مجموعات المجاهدين ـ على قلتهم الشديدة فهبوا جميعا وإستسلمت لهم المواقع بلا قتال فيما عدا موقع واحد هو موقع "تنجى" ـ أى المضيق ـ وهو هضبة كبيرة تسيطر على الطريق العام ، الذى تحصره قناة رى وأرض زراعية على جانبه الآخر .

قال أبوعبدالرحمن أن إطلاق النار هذا لم يكن مبررا وأنه تم نتيجة سؤ فهم وسؤ تقدير للموقف من جانب الجنود ومن جانب المهاجمين . فالمهاجمون لم ينذروا الجنود بالإستسلام ويخبرونهم عماحدث فى باقى المواقع ـ وكان ذلك هو

الأسلوب المتبع لتجنب القتال ـ والمدافعون بدورهم كانوا معزولين عن باقى الوحدات وظنوا أنها حالة إقتحام فى هجوم كبير فخافوا على أنفسهم من القتل فقاوموا .

فى"تنجى" تمت العملية بسلام ، وربما جرح أحد من الجنود . لاحظ أبوعبدالرحمن أن سيارة جيب عسكرية من الغنائم الجديدة تمرق مثل السهم فى إتجاه كابول . وكان يركبها القائد "معلم نور " المحسوب على سياف . فطلب من القائد إلى جانبه المحسوب على حكمتيار، أن يركب الجيب العسكرية بسرعة ويشحنها بالرجال ويدرك كابول قبل أن يأخذها " معلم نور"!!! .

فكان سباقا مجنونا بالسيارات للإستحواز على فرق عسكرية ومواقع صواريخ فيما بعد "محمدأغا" وضمن الحدود الإدارية لمحافظة كابول. فإستولوا على (تشارأسياب) وهى منطقة استراتيجية مشحونه عسكريا .

قال أبوعبد الرحمن أنهم دخلوا فرقة للدفاع الجوى الصاروخى عن كابول وتوجهوا بسياتهم مباشرة إلى مكتب قائد الفرقة طالبين منه التسليم فورا لأن المجاهدين سيطروا على المنطقة " فسلم لهم مفاتيح القاعدة" ـ حسب تعبير أبوعبد الرحمن .

(هنا يخطر على البال سؤال غريب هو: لولا مبادرات أبوعبد الرحمن تلك هل كان حكمتيار يستطيع أن يرتكز فى "تشارأسياب" ويخوض منها حربه المهلكة ضد مسعود والعاصمة؟؟ .

وهل كان حكمتيار سيجد عمقا حيويا لعملياته ممثلا فى محافظة لوجر ؟ .

وهل يمكن إعتبار أن فتوحات أبوعبدالرحمن فى" لوجر" "وتشارآسياب" تحولت على يد حكمتيار تأسيسا لمرحلة الحرب الأهلية ؟؟ .

وهل أن تلك الفتوحات إذ لم تحدث هل كانت الحرب الأهلية فى كابول سوف تمتنع أصلا أم أنها كانت "مشيئة أمريكية " ستجد لنفسها منفذا ما وطيقا آخر مهما كان الثمن ؟؟).

المهم هنا أنه بعد إستسلام قاعدة صواريخ سام المضادة للطائرات تحرك أبوعبد الرحمن ومعه أحد كومندانات الحزب ومجموعة من المجاهدين فى سيارة الجيب العسكرية ـ سيارة الفتوحات ـ وتوجهوا عميقا فى أتجاه مدينة كابول نفسها . وكان ذلك طبقا لأوامر أبوعبدالرحمن بطل هذه الفتوحات المذهلة ، التى لم تكن لتتم بدون عون ا ـ ومبادرات هذا الشاب المقدام .

تقدم الجيب صوب كابول ، ولكن فوق أحد الهضاب كانت مجموعة دبابات تترصد الطريق . أحد الدبابات ضربت طلقات تحذيرية بالرشاش ، لكن الجيب لم يأبه بها وظله يعدو نحوها .

ثم أطلقت الدبابة قذيفة تحذيرية ، وأيضا لم يتوقف الجيب المقتحم، والطلقة التالية للدبابة كانت مباشرة فى منتصف الجيب الذى تناثر ممزقا بمن فيه ـ لقد قتلوا جميعا فيما عدا أبوعبدالرحمن الذى أصيب إصابات بليغة . وسرت إشاعات ـ وصلتنا بعد عدة أيام ـ أنه قد إستشهد . لقد ظل حيا بصعوبة ولكن فى حاجة إلى طرف صناعى لدعم ساقه التى أصيبت بشدة وفقدت العضلة التى تحركها .

(قررت أمريكا أن تعيش الأمة الإسلامية عامة والأمة العربية خاصة بلا أبطال ، وبلا أناس ذاقوا طعم الإنتصار وحققوه بدمائهم. فقررت إبادة هذه الفئة التى إنتصرت فى أفغانستان خوفا على مستقبل إسرائيل ، ومستقبل أنظمة تحكم الشعوب العربية بالحديد والنار والتعذيب والمعتقلات حفاظا على أمن إسرائيل ، ومصالح أمريكا . كان لابد من إبادة هؤلاء قتلا وسجنا فى أبشع المتقلات التى عرفتها الإنسانية على مر العصور فى سجون سرية وعلنية على إتساع الكرة الأرضية كلها ، وبتواطؤ من كل الحكومات خوفا من أو طمعا فى أمريكا وما يمكنها فعله أو دفعه .

لقد تمكنت أمريكا بآلتها الحربية الأقوى فى التاريخ البشرى التعيس ، من قتل الكثير من هؤلاء ومنهم "أحمد خضر" صقر "لوجر" أبوعبدالرحمن،المصرى الأصل ، الكندى الجنسية والدكتور فى علوم الكمبيوتر .

تمكنت أمريكا من قتله ، وبمعونة مباشرة من كلاب صيدها فى باكستان بزعامة رئيس أركانهم ورئيس دولتهم برويز مشرف .

كما تمكنت من أسر إبنه عمر ووضعه فى أحد أقفاص جوانتانامو رغم عمره الصغير/١٣ عاما/ فقد تجرأ عمر على قتل أحد جنود المارينز الذين هاجموه بغرض إعتقالة ومن معه من أطفال. وخوفا من أن يصبح عمر وشقيقه الأصغر عبد الكريم، الذى أصابوه بطلقة فى عموده الفقرى فتركته عاجزا مشلولا، قدوة لأطفال العرب، المرغوب أمريكيا وإسرائيليا مسخ هويتهم وتسفيه عقولهم بواسطة مناهج تعليم مشوهة وبراج تلفزيون مخربة لنفسياتهم وإنسانيتهم).

****

<u>الجمعة ١٧ إبريل ١٩٩٢</u>

أكدوا لنا أمس أنباء عن إعتقال الرئيس نجيب ا أثناء محاولته الفرار من مطار كابول فى طريقه إلى الهند .

منذ يوم الثلاثاء ونحن نسمع أخبار قريبة من ذلك ، وأن مندوب الأمم المتحدة (سيفان) يطالب نجيب بعدم المغادرة قبل إيجاد البديل الذى يجرى "طبخه" فى بشاور .

"سيفان" طلب من كل حزب فى بشاور إختبار ١٥ إسما، ثم يختار هو بين كل تلك الأسماء ١٢ إسما، ستختار "جهة ما " من بينهم الوزراء والرئيس.

حدث خلاف شديد بين المرشحين أنفسهم ، وبينهم وبين "سيفان" ،نتيجة جلافته فى التعامل معهم. (فى الحقيقة لا يمكن لأى شخص، منعدم الضمير، وحتى ولو كان مندوبا للأمم المتحدة، أن يحترم شخصيات من هذا النوع) .

□ ثبت أيضا أن المجاهدين إستولوا منذ يومين على مطار بجرام القريب من كابول. وأنهم دخلوا بعض أطراف كابول ، وأمريكا تطالبهم بوقف القتال هناك حرصاً على سفك الدماء (!!).

(عجيب هذا النفاق الأمريكى يشعلون الحرب ١٣ عاما ثم فى لحظات الحسم الأخيرة هم حريصون على صون الدماء . فى الحقيقة هم حريصون على إستبعاد أناس بعينهم. ليس إستبعادهم من الحكم فقط، بل إستبعادهم من الحياة إذا أمكن ، وهم المجاهدون الحقيقيون).

□ بالأمس كنا عند البلدوزر فى جبل ناراى . الطاقم بقيادة "ولى خان" ومعه "سيد خان" يعملون بهمة عالية , ولكن الطين عجيب ، حتى البلدوزر الضخم يخاص نفسه بصعوبة . زودناهم بالبترول .

□ قبل المغرب كان خليل حقانى متوجها إلى مركزه فى جرديز ، ومن خلفه مجموعة سيارات فيها مولوى نظام الدين (تلك التحركات المكوكية كانت ضمن مفاوضات سرية مع قيادات جرديز بغرض إستسلامهم).

كنت قد قابلت مولوى نظام الدين مساء الأربعاء فى "تخته بك" مقره الرسمى كوالى لمحافظتى باكتيا وباكتيكا . سألته أن يعين من طرفه أميرا للحرب فى جرديز. فأجابنى قائلا: أنا أمير الحرب فى جرديز . فقبلت لحيته ضاحكا (لم أدرك وقتها أنه يضع أول اللمسات لإنهاء الحرب وإستسلام المدينة) .

ثم سألنى مولوى نظام الدين أن ننضم إلينا فى عمليتنا القادمة، طلاب العلم وأن نتكفل بتموينهم، فوافقته على الفور .

سرنى أن أقابل وقتها فى غرفة الوالى الصديق القديم جولاب شقيق الشهيد منان . كان جالسا على الأرض مع مجموعة من رجاله ـ أنهم فرسان المعارك الذين لا يشق لهم غبار ـ فليس من معركة حاسمة إلا ولهم دور بارز فيها حتى معارك جرديز الأخيرة فى أكتوبر الماضى (١٩٩١) .

وذلك بعد دوهم الجواهرى فى معارك فتح خوست (مارس ١٩٩١) .

 قضينا ليلة الخميس فى مركز خليل . كنا نزوره لأول مرة وهو فى أحد الشعاب. المركز عبارة عن غرفتين متسعتين فوق ربوة عالية نسبيا، محفور بها مخازن للذخيرة . شجعنا هدؤ المكان على الجلوس للمسامرة بعد العشاء .
تناول السمر الوضع السياسى الحالى فى أفغانستان الذى ظهر كمعجزة حقيقية أن تفتح فى مثل هذه الظروف بعد أن يأس الناس جميعا خاصة العرب .
فالضغوط النفسية عليهم تتزايد عنفا، توجتها زيارة "تركى الفصيل" عميد الجاسوسية السعودية ، وكان فى زيارته يركزعلى حث السلطات الباكستانية على طرد العرب وتسليمهم إلى حكوماتهم .
(كانت زيارة تركى تلك بداية المجهودات الأمريكية /الإسرائيلة، لإستئصال المجاهدين العرب ومنع عودتهم إلى بلادهم ، إلا إلى السجون أو المشانق ، خشية نقل تجربة هزيمة القوى العظمى بسلاح الجهاد وتحت راية الإسلام ـ تلك المجهودات توجتها وأنجزت معظم مهامها الحرب الأمريكية على أفغانستان فى عام ٢٠٠١ م) .
تروج إشاعات فى بشاور عن إغلاق وشيك لبيوت الضيافة العربية فى بشاور
قلت لاخوانى فى تلك الجلسة المسائية ، طبقا لما كتبتة فى مذكرتى :
(أظن أن دخول العرب إلى أفغانستان المحررة سيزعج أمريكا كثيرا ، وستدفع باكستان إلى تبديل سياستها نحو إسترضاء العرب وإبقائهم فى بشاور ، التى تعتبر مجهرا لفحص ومتابعة نشاط وفكر تلك الجماعات التى إن ذهبت إلى أفغانستان سوف تغيب عن المتابعة وسيصعب التكهن بنواياها وبرامجها . كما أنها ستكون عنصر مقاومة عنيفة للغرب فى أفغانستان والمنطقة).
ـ ملاحظة : حرصت أمريكا على عدم دخول العرب إلى أفغانستان أثناء مطاردتهم فى باكستان . العديد من العرب عندما إعتقلتهم الشرطة الباكستانية طلبوا المغادرة إلى أفغانستان ، فرفض طلبهم بشدة ـ وكان التفتيش دقيقا للبحث عن العرب فى نقاط الحدود الباكستانية مع أفغانستان .

 علمنا من عامل المخابرة فى المركز أن حقانى وصل إلى بشاور فى الثامنة والنصف من مساء الخميس ـ وأنه قد يصل جرديز عصر الجمعة .
يبدو إحتمال العمل العسكرى فى جرديز متأرجحاً بشدة بسبب إحتمال إستسلام المدينة .
أما إستعداد مجموعتنا للعمل فمازال ضعيفا ـ فالكثير من الأسلحة مازال فى معسكر جهادوال،ومعظم الذخائر مازال فى منطقة " باغر" على الحدود الباكستانية من طرف الأورجون. نحتاج إلى شهر من العمل المركز ، ولاأظن أن لدينا هذا المتسع . لهذا سنبذل أقصى جهدنا ونقاتل بالمتاح لدينا مستفييدين إلى أقصى حد من أمكاناتنا البشرية والمادية ، إضافة إلى من إنضم إلينا من طلاب العلم .
 فى عدد الأربعاء من صحيفة "فرونتيربوست" الباكستانية تحليل سياسى على الصفحة الأولى يتحدث عن وفد أمريكى يزور باكستان للتحقيق فى موضوع "مساندة باكستان للإرهاب" تمهيدا لإعلانها دولة تساند الإرهابين وهم:
الكشميريون ـ الأفغان ـ العرب .
الهند تؤيد تلك المزاعم ـ والمطلوب هو طرد العرب وأن يوافق الأفغان على الوصاية الأمريكية المغلفة بالأمم المتحدة .
 خبر أوردته صحيفة باكستانية أمس (الخميس ١٦/ ٤/ ٩٢) يتحدث عن إستسلام الحامية الحكومية فى غزنى .
 عاد زميلنا "الحاج إبراهيم " من لقائه مع نصرت ا ، الذى أخبره أن عند مولوى حنيف شاه ثلاث دبابات للبيع وأن عنده دبابه واحدة للبيع . ولكنه ينصحنا بعدم الشراء لأنه يرجح أن مدينة جرديز سوف تستسلم ـ ثم أكد لنا خبر إستسلام حامية لوجر بلا قتال ، وأن القوافل العسكرية لاتعبر الآن طريق:كابول/ لوجر/ جرديز.

□ الإحتمال فى ذهنى أن القائد العسكرى فى جرديز رجل عنيد وذكى ومغامر. وأنه يكسب الوقت لإتاحة الفرصة للأمم المتحدة كى تثبت للشيوعيين موقعا فى الحكم القادم ، وبقاء بعض المدن فى أيديهم ، حتى ولو ضاعت كابول ، سيضمن لهم ذلك ، على أساس أنهم مازالوا عنصرا فاعلا على الخريطة السياسية.

سيتضح ذلك خلال أيام قليلة فإذا لم يستسلم خلال هذا الأسبوع فلا بد من إقتحام المدينة بقوة السلاح. فليس لديهم، أى الشيوعيين، إمكانية الدفاع نتيجة نقص الطعام وعدم كفاية الذخائر لمعركة طويلة.

(لم يكن ذلك صحيحا بالنسبة للذخائر التى كانت تكفى فى تقديرى للقتال لمدة ثمانية أشهر أو سنة ـ أما الطعام فأظنه كان عنصر ضاغطا لقلته من ناحية، ولزيادة عدد القوات عن المعقول أو اللازم فقد وضع النظام قوته الإستراتيجية كلها فى جرديز وكانت لوجر خلفها شبه خالية ، وكابول متهافته للغاية .

يعنى هذا أنهم فى كابول ـ وأيضا فى واشنطن المعنى الأول ـ وضعوا جرديز والدفاع عنها ومنع حقانى من الوصول إلى كابول كأولوية أولى فى تلك المرحلة أى منذ معارك خوست فى مارس ١٩٩١ ثم معركة جرديزالتى تلتها فى أكتوبر١٩٩١) .

****

<u>نحن نكسب الحرب</u>

□ قابلت الدكتور إحسان ا وهو طبيب باكستانى شاب تعرفت عليه فى ليجاه عام ١٩٨٢. ولم أكن رأيته منذ تشكيل حكومة بندى عام ٨٩ .

<u>**بادرنى بالسؤال : ماذا يحدث ؟..** فقلت له :</u>

{{ نحن نكسب الحرب.. وهدف الحرب الأساسى يتحقق الآن وهو إسقاط الدولة الشيوعية . كما أن أمريكا خرجت من اللعبة(!!) بعد أن خسرت حربها ضد الأفغان والتى تخوضها منذ فبراير ٨٩ /أى منذ الانسحاب السوفيتى / أما عن إقامة نظام جديد فمسألة تحتاج إلى وقت ، ولابد من حدوث مشاكل ، ولكن لأول مرة فى تاريخ الأفغان ـ وبعكس كل توقع ـ سوف يتحدون فى النهاية ويقررون قرارا أفغانيا إسلاميا }}.

(تعليق : بالطبع أمريكا لم تخرج من اللعبة ، بل سددت ضربتها القاضية بتشكيل حكومة تركى الفيصل وإيصالها إلى كابول كى تحكم مرحلة الفوضى التى إستمرت حتى عام ١٩٩٤ حين قرر الشعب الأفغانى قرارا أفغانيا إسلاميا، هو حركة طالبان،التى أطاحت بحكومة كابول الفاسدة عام ١٩٩٦ ـ ولكن أمريكا أيضا لم تخرج مع ذلك من اللعبة وسددت ضربة قاضية أخرى بإحتلال أفغانستان عام٢٠٠١ فأقامت حكومة جديدة من صنعها هى حكومة كرازاى)

ثم كتبت فى مذكرتى النص التالى ، لتقييم عملنا :

[[مرت عمليات جرديز ومشروعنا فيها بعدة مراحل متفاوته كثيرا من حيث الأهمية:

أ ـ فى البداية فتح حقانى خوست ثم هاجم جرديز والعالم كله ضده، كذلك الدولة بكامل عتادها. فكانت معركة فرد ضد دولة بل ضد العالم . وتكرر نفس الشئ فى جرديز فى أكتوبر من نفس العام. كانت قوة الدولة كلها مقابل جبهة حقانى ، مع تآمر باكستان ومهزلة مضيق طيرة .

وجاءت عمليتنا التى بدأنا فيها فى ديسمبر ، وحتى الآن/ فبراير ٩٢ / فى وقت كان لا شيئ فى أفغانستان يتحرك أو به أمل سوى جرديز. وهكذا أجمع كل الناس معنا ووافقوا على دعم العملية .

ب ـ جاءت عملية إستسلام مزارشريف فكانت معجزة حقيقية مع ما بها من تحفظات مثل تحول رشيد دوستم إلى بطل وحليف .

ومع ذلك توقفت إمدادات الدولة الرئيسية القادمة عبر ممر سالانج وقدم نجيب عرض إستقالته والتخلى عن السلطة . وتدخلت الأمم المتحدة لتأخير رحيلة حتى تعيين بديلا أمريكيا له . وبدلا عن مؤتمر جنيف المقرر فى نهاية إبريل ، جاء قرارها بتعيين مجلس من ١٥ شخص لتكوين حكومة مشتركة ، ثم تحرك مسعود وآخرون للسيطرة على مطار بجرام ثم خواجه رواش وأخبار كثيرة عن إستسلامات حكومية فى غزنى ـ لوجر ـ هيرات .. الخ .

فتحول عملنا كثيرا نحو الهامشية ، نتيجة لما حدث فى مزار وكابول ، وأظن أن التركيز العدائى ضد حقانى وضدنا قد خف كثيرا وتحولت الأنظار صوب كابول. فى البداية كانت عمليتنا على المضيق موضوعة ضمن إطار هجوم شامل على المدينة ، وكانت الأمل الوحيد لإفشال مساعى التسوية "الأمريكية"، عن طريق نصر عسكرى كان لابد من إحرازه بأى ثمن

لكن المنة السماوية فى مزار شريف قامت بالمطلوب ، وبعد أيام تتابعت الأحداث كالسيل وسقط المشروع الأمريكى "الدولى" وعاد القرار أفغانيا إسلاميا]].

□ □ □ □ □

(ملاحظة : حتى تلك اللحظة كان غير وارد نجاح أمريكا فى تشكيل حكومة المنظمات التى شكلها تركى الفيصل. بعد رشوته الأحزاب الإسلامية الجهادية بأموال النفط السعودى ، فتحول القرار فى اللحظة الأخيرة من قرار إسلامى إلى قرار أمريكى والمبلغ المدفوع كان ١٥٠ مليون دولار فقط كما ذكرنا فى مواضع سابقة وهو ثمن بيع القرار الأفغانى لأمريكا وبيد المنظمات الجهادية لا غيرها !!. ومع هذا يظهر أن هذا الثمن لبيع أفغانستان كان مرتفعا جدا ، وذلك يرجع إلى مهارة سياف التساومية. فتحالف الشمال باع افغانستان كلها ودماء جنوده وشعبه فى مقابل خمسة ملايين دلار فقط لاغير قدمتها لهم المخابرات الأمريكية).

<u>الأحد ١٨ إبريل ١٩٩٢</u>

تحركت مجموعتنا إلى طريق ناراى لمعرفة إمكان التحرك عليه فى حال بدأت المعارك أذا لم تستسلم المدينة. ثم وضعنا برنامج مع "مهند" لنقل محتويات المخازن إلى منطقة متقدمة فى "خروار" عند ما يتم فتح الطريق .

عدنا إلى خوست وعلمنا أن حقانى تحرك إلى جاور للتحدث لاسلكيا مع مسعود. الذى تحاول الإذعات الغربية الوقيعة بينه وبين "البشتون " خاصة حكمتيار .

علمنا فى اليوم التالى أن الإتصال لم يتحقق .

وأخبرنا حقانى أنه إتصل مع قيادات ميدانية حول كابل/ ذكر منهم طوفان و سيدكيان وموسى خان.. وآخرون/ <u>وقد طالبوه بأخذ جرديز والقدوم بقواته إلى حواف كابل وتنظيم شورى مع الجميع بما فيهم مسعود لتقرير نظام الحكم وإدارة كابول .</u>

(هذا الإقتراح كان من أخطر الإقتراحات فى تلك المرحلة ، وإن تجميد حقانى أمام جرديز لعدة أيام لاضرورة لها ـ لو أنه علم بشكل مؤكد إستسلام لوجر ، لما أتاح الفرصة لجنرالات جرديز التلاعب بالوقت كل تلك الأيام . بالتأكيد يحسب ذلك نجاحا باهرا لجنرالات جرديز المفاوضين، وفشلا كاسحاً للإرتباطات بين

المجاهدين، وفشلا للعرب الذين لو أقاموا مركزا للإتباط بين لوجر وجرديز ، على الأقل لتنسيق تحركات الجبهتين لكان خبر لوجر وصل إلى حقانى فى وقته الحقيقى ولتوافرت لديه تسعة أيام فقدها ، وكانت سببا فى ضياع المبادرة من أيدى المجاهدين ، وإنتقالها بالكامل إلى اليد الأمريكية . فى تلك الأيام حشد حكمتيار قوات الحرب الأهلية على حدود كابول ، وكان برفقته كالعادة جنرالات باكستانيين ، ومجموعة من الجنرالات الشيوعيين البشتون ، كانوا ينسقون معه برنامج الفتنة من كابول ـ كما سيمر معنا .

مسعود مع دوستم كانا ينقلان قواتهما بالطائرات إلى كابول إستعدادا للبرنامج الجديد الذى حددته أمريكا لأفغانستان فى مرحلة ما بعد التحرير إنها مرحلة الحرب الأهلية التى يباركها الجيران والعالم ، كونها قرارا أمريكيا !!) .

□ □ □ □ □

<u>المعركة ضرورية</u>

غادرنا خوست فى طريقنا إلى جرديز ، وهدفنا الذهاب إلى أبوالحارث فى مركزه المتقدم الخط الأول ، ولم نكن قد زرناه هناك قبلا .

على جانب الطريق فى خوست كان هناك إجتماعا كبيرا لقادة قبائل زدران مع مولوى نظام الدين . توقفنا للسلام عليه ، فجاءنا مرحباً بحرارة . سألناه عن الأخبار فقال أن "الحكومة " فى جرديز تماطل فى التسليم على أمل أن تنقذهم الأمم المتحدة ، وأنه شخصيا يرى حتمية المعركة وطالبنا بالإستعداد ، وفى حالة حدوث أى تغيير فإنه سوف يخطرنا كتابياً. وقال أن حقانى سوف يحضر اليوم لإجراء مفاوضات مباشرة مع قادة الميليشيات والجيش، ورسميين آخرين، حتى يضعوا حدا للمشكلة وقرار نهائيا.

كنا فرحين بما سمعناه من الرجل فقد كنا نظن أن فكرة المعركة قد ألغيت ، بينما <u>كنا نظن أن المعركة ضرورية لأسباب عديدة منها :</u>

ـ القضاء على الميليشيات الشيوعية التى سوف تنشط فيما بعد بالتعاون مع أمريكا. وأن القضاء عليهم فى جرديز لن يترك لهم فرصة أخرى على إتساع البلاد .

{{ تلك الميليشيات تعتبر فى الأذرعة الأساسية التى تعتمد عليها أمريكا فى حكم أفغانستان بعد احتلالها فى ٢٠٠١م ، خاصة ميليشيات دوستم ، وميليشيات قندهار وكلاهما كان من أعمدة الدفاع عن جرديز قبل إستسلامها }} .

ـ إقتحام المدينة يكسب المجاهدين هيبة داخلية ودولية ، تنهى التآمرات فى مرحلة مبكرة قبل أن تتفاقم على يد الأمم المتحدة التى نشطت فى الداخل الأفغانى منذ سنوات .

****

□ أثناء مرورنا على مضارب البدو فى خوست شاهدنا شباب أفغان متآمركين يعملون فى هيئة إغاثة دولية . كانوا يحاولون أيضا تقليد إستعراضية النجم الأمريكى الأسطورى رامبو. يلبسون كالعادة: قمصان ملونة وسراويل عسكرية مرقطة ، وخناجر كبيرة فى أحزمتهم ، ويمشون منفخين نافشين أذرعتهم من تأثير عضلات إفتراضية تحت آباطهم.

أنهم المهاجرين الذين تعيد أمريكا تصديرهم مرة أخرى إلى أفغانستان كى يصنعوا مستقبلها المظلم تحت علم الأمم المتحدة .

□ أخبرنا الشيخ نظام الدين أن طريق ناراى قد فتحت وأن خمسة سيارات قد عبرت الجبل فى طريقها إلى زورمت ، ولكن أول مئة متر صعبة والبلدوزر يفتح تحويلة جديدة للطريق .

ـ وصلنا مركز أبوالحارث وصلينا هناك المغرب فى المغارة . أرسلنا السيارة لأحضار أبوكنعان من مركز الترصد فى الخط الأول .

ناقشنا الأوضاع مع أفراد المركز ، والجميع يؤيد فكرة إقتحام المدينة بالقوة للقضاء على الميليشيات والقيادات الشيوعية هناك .

الأحد ١٩ إبريل ١٩٩٢

قضينا الليل فى إحدى مغارات مركز أبوالحارث . الأمطار مستمرة طول الليل . حالة الطريق الذى جئنا منه فوق جبال "ستى كندو" أصبحت سيئة لكثرة الإنهيارات الصخرية وانزلاقات التربة .

تحركنا بالسيارة لعبور "ستى كندو" ومقابلة "نصرت ا " فى مركزه على الجانب الآخر من الجبل ، وكان يحتل شعبا طويلا ملئ بالمغارات . قبل أن نكمل الطريق شاهدنا موكبا من سيارات "البيك آب" وحقانى يجلس فى أحدها متخفيا ـ فرجعنا أدراجنا خلفه . كانت الإنهيارات تغلق أجزاء من الطريق بكتل ضخمة من الصخور .

جماعة حقانى كانوا قد أعدوا غرفة طينية صغيرة قبل ذروة الجبل بقليل ، ويبدو أنها شاهدت جزء من مفاوضات تسليم المدينة .

كان بها بخارى تشتعل به النيران . إزدحمنا حول حقانى وكان العديد من أفراد المجموعة قد أحاطوا به . فتكلمنا نحن بحذر وإستمعنا كثيرا لما يدور .

دار حديث ودى طويل . سيطر على الحديث من جماعة أبوالحارث كل من أبو محمد الحلبى وأبومعاذ الخوستى. أكثر الحديث دار حول رحلة حقانى الأخيرة إلى السعودية والإمارات والأشخاص الذين ساعدوه هناك وكانوا من طرف الحلبى.

ثم تطرقوا فى الحديث إلى مشكلة غنائم خوست وكانت محزنة ولكن لا تخلو من طرافه .

جماعة أبوالحارث وجماعة "غوند أبوجندل" إشتكوا من أنهم إستلموا نصيبهم من الغنائم، بنادق كلاشنكوف بعضها صينى والآخر صناعة منطقة دارا القبلية فى

باكستان. وتساءلوا كيف تصل تلك الطرازات إلى حكومة خوست ، فى حين أنهم قد غنموا بنادق روسية الصنع جديدة ، لم يظهر لها أثر عند التقسيم .

قال الشيخ أنه سيحقق فى القضية ، والظاهر عنده أن، جهة ما، باعت الأسلحة الروسية الجديدة وإشترت بدلا منها أسلحة قديمة صينية وباكستانية .

ثم إستطرد حقانى قائلا بأن الغلول فى غنائم خوست كان السبب فى تأخير فتح جرديز. وأن الذين لم يقاتلوا قد إستولوا على معظم الغنائم فى خوست ثم غنائم جرديز فى معاركها الأخيرة (أكتوبر ٩١) ، ومن بعدها تكلموا بأعلى صوت عن بطولاتهم فى معارك لم يخوضوها .

ثم تكلم عن أحد الجوانب الخفية فى معركة خوست . فقال إن المجاهدين عندما عبروا النهر وكان عددهم قليلا وتعمقوا فى الأرض على مساحة واسعة، خاف عليهم حقانى من التطويق، وفقد بالفعل إتصاله مع بعض المجموعات المتقدمة . فطلب من بعض القبائل التقدم واللحاق بالمجاهدين . وظلوا هكذا حتى مغرب اليوم الآخير من المعارك وحينها عبرو النهر وتقدموا فى كل مكان وحازوا الغنائم .

 وعن المحادثات الوشيكة مع حكومة جرديز قال حقانى أنها تبدأ اليوم . وسوف يطلب منهم التسليم فى مقابل منحهم الأمان ، على أن تبقى قوة الجيش فى مواضعها تحت قيادة ضباط من المجاهدين وذلك لتفادى عمليات النهب والغلول ، بشكل لم يسمع عنه أحد من قبل لأن غنائم جرديز أضعاف غنائم خوست .

وأنه يجب حماية تلك الإمكانات الضخمة من أن تقع فى أيدى السارقين ، وحتى أثناء عملية تقسيم الغنائم نفسها .

عن العمليات القادمة ـ فى حال نشوبها ـ قال حقانى :

ـ إن "طيرة " أهم مكان فى العمليات القادمة لقطع طريق الإنسحاب على ميليشيات رشيد دوستم والقضاء عليها ومتابعتهم بعد ذلك فى أرجاء البلاد .

الطريق الآن مغلق من طرف "محمد أغا" ـ فى لوجر ـ والمجاهدون إستولوا اليوم على قاعدة شندند فى هيرات ، وبذلك إنتهت القواعد الجوية. (وكانت فى باجرام وخواجه رواش/ فى كابول ، وفى مزار شريف، وشندند) .

لابد أن نعبر بقواتنا جرديز كى نصل إلى لوجر والوقوف على عتبة كابول وتنظيم أمور الحكومة القادمة بالمشورة مع القادة هناك .

وأضاف حقانى : الآن إنتهت اسطورة الأمم المتحدة وباكستان وغيرها.إن الحرب فى أفغانستان يديرها ا وحده لا روسيا ولا أمريكا ولانحن. فكلما دبر أحد أمرا جاءت النتيجة على خلاف مادبر . فمنذ أيام قليلة ماكان يظن أحد أن تجئ كل تلك الأحداث غير المتوقعة لصالح المجاهدين ، بعد أن عم اليأس والحصار .

ثم قال إن الأشخاص الخمسة عشر الذين إختارتهم الأمم المتحدة لإستلام الحكم فى كابول ،وصلتهم بدلات فخمة من أوروبا حتى يظهروا بمظهر الحكام، وصففوا شعورهم على جانب مثل الأوروبين ، ثم إنتظروا "سيفان"ـ مندوب الأمم المتحدة، حتى ينقلهم بطائرة من الأمم المتحدة إلى كابول . لكن "سيفان" الآن هو والرئيس نجيب مختبئان فى أحد مكاتب الأمم المتحدة فى كابول .

□ □ □ □ □

تعليق : نلاحظ أن حقانى يتكلم هنا عن إستيلاء المجاهدين على جزء محدود جدا من محافظة لوجر وهو مركز " محمد أغا " وهو على طرق كابول. ولكن الواقع هو أن لوجر كلها كانت قد إستسلمت منذ أسبوع تقريبا ـ فيما عدا مضيق طيرة الذى يعتبر إداريا من لوجر أو بدايتها من طرف جرديز .

وذلك يدل كما ذكرنا على غياب أدنى درجات التنسيق بين المجاهدين وهو مجرد تبادل الأخبار ـ ولو لمجرد الأطمئنان !!.

ـ ثم تكلم حقانى عن إختباء نجيب ومبعوث الأمم المتحدة فى أحد مقار الهيئة الدولية فى كابول . لقد ظل نجيب مختبئا هناك طول فترة حكم "المجاهدين"

مجددى ثم ربانى حتى إستولت حركة طالبان على العاصمة فاقتحموا المكان وقتلوا نجيب وعلقوا جثته على أحد أعمدة الكهرباء فى ميدان بالعاصمة.

وقد ثار"العالم الحر" على تلك الوحشية من طالبان ، ولم يتذكر أحد منهم وحشية نجيب وكم من عشرات الآلاف من الأفغان قتلهم وهو رئيس لجهاز الإستخبارات ثم وهو رئيسا للدولة. ثم أى قداسة لمنظمة دولية تحمى قتله من هذا النوع ؟.

كان "سيفان" وبالطبع رئيسه المباشر "بطرس غالى" الأمين العام للمنظمة الدولية ـ ونيابة عن الولايات المتحدة ـ حريصون غاية الحرص على حياة الزعيم الشيوعى الذى ظلوا يحارونه ويحاربون نظامه أكثر من عقد من الزمان ـ وفجأة وضعوه تحت الحماية الدولية وتمسكوا ببقائه رئيساً حتى يضعوا هم رئيسا من طرفهم على أفغانستان ـ وكأن تلك البلاد يسكنها شعب من المجانين أو البلهاء الذين لا يعرفون مصلحتهم .

الأمم المتحدة الحريصة على حياة الزعيم الشيوعى الأفغانى أشرفت على مجازر جماعية نادرة المثال فى تاريخ البشرية ، وفى عهد بطرس غالى قتل مليونى أفريقى فى مذابح عرقية فى أفريقيا بين "رواند" و"بروندى" تم ذبح عشرات الألوف من المسلمين فى البوسنة والهرسك تحت الإشراف المباشر بل وبأيدى القوت الدولية أحيانا. والمشرف على كل ذلك هو بطرس غالى ومساعده للعمليات الخارجية للأمم المتحدة المدعو "كوفى عنان" ـ الذى كوفئ على براعته فى إدارة المجازر الجماعية تحت الإشراف الدولى ، فتم تعيينه سكرتيرا عاما للأمم المتحدة خلفا لأستاذه بطرس غالى .

منذ إنشائها كانت تلك المنظمة أداه لتوازن الأطماع فى أيدى القوى الإجرامية الخمسة التى تمتلك حق النقض فى مجلس الأمن ـ وبعد نهاية الحرب الباردة على يد الشعب الأفغانى، تحولت المنظمة إلى أداه فى يد المجرم الأمريكى الأعظم يستخدمها صولجانا لشرعية إمبراطوريته البشعة

غـلول تحت المطـر

الإثنين ٢٠ إبريل ١٩٩٢:

قضينا ليلة أخرى فى مركز أبوالحارث. المطر ينهمر طول الليل فزادت حالة الطرقات سؤا وبدأ الثلج يتساقط صباحاً .

كان لذلك وجها إيجابيا أذ أنه جعل الأمور صعبة أمام "قوافل الغلول" . كان منظرهم غريبا لدرجة يصعب تصورها .

لقد جاءت تلك القوافل من كل فج عميق وبكل وسائل النقل الممكنة ، شاحنات كبيرة وصغيرة ، وجرارات زراعية ودراجات بخارية و.. سيرا على الأقدام . القافلة مكونة من مئات الأشخاص من كل الفئات العمرية ولولا حالة الطقس البارد الممطر والطرق المدمرة لوصلت أعدادهم إلى الآلاف .

كل هذا معقول(!!) ولكن غير المعقول هو المكان الذى تحشد فيه هؤلاء أنه يبدأ من أسفل جبال سى كندو مباشرة ، وعلى إمتداد الطريق الأسفلتى الذى يصل بعد كيلومترات قليلة إلى خطوط دفاع العدو الأولى .

على كل هذا الطريق أمتدت صفوفهم ، مارين بمركز أبوالحارث ـ على ميمنتهم. ومرورا بمراكز المجاهدين يمين وشمال الطريق .

أسميت تلك المنطقة الممتدة بين براثن الموت إسم "غلول ستان"، وأعمار سكانها ما بين العاشره وحتى التسعين .

 وصلتنا أول الأخبار عن مفاوضات حقانى مع حكومة جرديز حول التسليم . فى مركز خليل أخبرنا " نصرت ا " أن معظم مسئولى جرديز وافقوا على التسليم بإستثناء مجموعة صغيرة من ميليشيات دوستم المسماة "جلم جم" . وتوقع "نصرت ا " ألا يحدث قتال على الإطلاق، فسوف يستسلم العدو .

فسألناه عما إذا لم يستسلم العدو فكيف تسير الأمور . فقال: سوف نتقدم سيرا على الطريق العام بدون خشية من القوات فقد رتبنا معهم، لذا لن يكون هناك داعى لبرنامج "طيرة"، ولكن إبقوا هناك .. فربما!!.

شعرنا بالحزن ـ حمدنا ا على ذلك الفتح السهل ـ ولكن حزننا كان شديدا على ضياع فرصة الجهاد فى ذلك المكان الرائع "طيرة" الذى ملأ مخيلتنا . كنت وكنعان الأشد حزنا . وجدت وجهه شاحبا وهو يردد "اللهم أجرنا فى مصيبتنا واخلفنا خير منها " فرددت معه الدعاء .

□ المطر مازال مستمرا والطرق سيئة للغاية ـ ولكن قررنا الذهاب إلى خوست لنطلب من الشباب التوقف عن شحن أى شيئ إلى الجبهة مع البقاء على إستعداد لأى طارئ .

لم نستطيع الوصول إلى خوست بسبب الماء المتدفق من الوديان والذى قطع الطريق بقوة فى أكثر من مكان .

□ ليس لدينا شيئ نفعله حتى تصدر قرارات مجلس شورى كومندانات باكتيا الذى سينعقد غدا لتنظيم الدخول إلى المدينة، ومواجهة الأهالى والقبائل وجيوش الغلول. سنرى لاحقا أن قرارات المجلس لم تصل إلى أصحاب الشأن .

□ كنت قلقا للغاية وصارحت إخوانى من أن ماقاله د.نصرت يثير القلق فماذا لو تقدم المجاهدون على الطريق العام ، ثم فجأة فتحت عليهم القوات نيرانها من الجانبين ، وطحنتهم الدبابات ؟؟ . ألن تكون نكسة مدوية فى وقت حرج ، أصغر الأحداث فيه يؤثر بشدة على مجريات الأمور ؟؟ .

الثلاثاء ٢١ إبريل ١٩٩٢ : فى قلعة تخته بك ناقشنا الوضع الراهن مع مولوى نظام الدين فى غرفته . كان غاضبا من المفاوضات وقال: إنهم يماطلون ولن يسلموا . ولكن المعركة ينبغى ألا تبدأ سريعا ، ولا بأس من الإنتظار لأيام . فقلت له: أخشى إن تعجلنا كما يقول نصرت ا وتقدمنا من الطريق العام أن تقع بنا كارثة

تنعش آمال الشيوعيين . فالحرب إستمرت ١٤ عاما ولابأس إن إستمرت ١٤ يوما أخرى ، نجهز فيها أنفسنا بشكل جيد فوافقنى الرأى .

الجو سيئ والمطر شديد ، ولكن مولوى نظام الدين يتجهز كى يغادر فورا إلى جرديز تحت إصرار حقانى الذى يطلب حضوره إجتماع قيادات باكتيا لتنظيم عملية دخول المدينة .

كان الوقت عصرا فقلت للرجل أننا سنتبعه الآن إلى جرديز ، فطلب منا بعطف أن نبقى فى أماكننا إلى الصباح ثم نتحرك لأن الجو سيئ .

فأطعنا طلبه ـ وتمنيت فيما بعد لو أننا لم نفعل ، لأنه أضاع علينا فرصة دخول مدينة جرديز مع الفوج الأول من الفاتحين .

□ □ □ □ □ □

دخـلنا جـرديـز

الأربعاء ٢٢ إبريل ١٩٩٢ :

دخل المجاهدون جرديز هذا اليوم . وصلناها فى الواحدة ظهرا ـ وفى الطريق كنا نسمع أخبارا متناقضة ، ولكن ما أن وصلنا إلى مشارف جبال ستى كندو حتى تأكد الخبر ، فالمراكز كانت خالية فتأكد لنا أن الجميع أصبحوا فى المدينة .

من الجبل إلى أسفل جهة جرديز ، قوافل الغلول كانت قليلة جدا ، فالقدماء "إقتحموا المدينة " والجدد يجدون السير كى يلحقوا بالقافلة .

كل شيئ هادئ تماما . عبرنا جميع خطوط المجاهدين العرب، جماعة أبوالحارث، والأفغان ،جماعة حقانى، لا يكاد يوجد أحد .

دخلنا خطوط العدو. جميعها خالية ماعدا جبل "جوجارى" العدو مازال هناك بكامل أسلحته ، والجنود ينزلون من الجبل كالمعتاد لإحضار المؤن ولا يتعرض لهم أحد

أعجبنى كثيرا ما سمعته عن الضابط المسؤل عن هذا الجبل ، عندما دخل المجاهدون المدينة صعدوا إليه يطالبونه بتسليم الموقع فرفض وقال أنه لن يفعل

حتى يستلم أمرا رسميا من قيادته ، ولكنه لن يتعرض للمجاهدين فى حركتهم فى الطريق الرئيسى المار من أمامه . أعجبنى كثيرا شجاعته وإنضباطه العسكرى وحفاظه على مسئولياته وموقعه وجنوده . إنه بالفعل ضابط يستحق التكريم .

كان لى ذكريات قديمة مع هذا الجبل "جوجارى" ، فى عام ١٩٨١ ثلاث طائرات سوفيتية من طراز ميج ٢٣ ، بدلا أن تقصف موقعنا فوق جبل "خدى يابا" قصفت مواقع العدو على جبل "جوجارى" (**أنظر كتاب ١٥ طلقة فى سبيل ا /ففرة المقاتلات تقدم لنا الدعم**) . كانت تلك أول كرامه أشاهدها فى جرديز والآن فى عام ١٩٩٢ أشاهد الكرامة الكبرى: إستسلام جرديز وتهاوى النظام الشيوعى فى كابول .

كل شيئ فى المدينة هادئ بشكل عجيب والتحركات عادية بلا هرج أومرج . شاحنات وسيارات تنقل غنائم: أسلحة ومكاتب وأثاث وأبواب .. وكل شيئ. لكن بنظام وهدؤ أعصاب عجيب ، كأنهم قد تدربوا على هذا العمل طول حياتهم .

عند الجسر الأخير الذى دخلنا منه إلى المدينة هناك مصفحة جديدة لامعة كأنها خرجت من المصنع توا ، غارقه على حافة النهر ، عجبت لمن أحضرها إلى هذا المكان الذى لا يفيد فى شيئ ، هل نزل أسفل الجسر ليحميه من التخريب ؟ أم أراد أغراق تلك القطعة الرائعة حتى لا تقع فى أيدى أعدائه ؟ .

الشارع الرئيسى للمدينة متسع نسبيا ومتسخ بالطين ومياه الأمطار . المبانى الحكومية ضخمة وقديمة ، وقيصرية الطراز. شعرت أننى أسير فى موسكو القرن السابع عشر، كئيبة وقديمة ومقبضة ، لها فخامة متهالكة تدعو إلى الرثاء.

أكثر ما يجذب النظر قلعة المدينة الضخمة والمبنية فوق هضبة فريدة من نوعها فى مدينة منبسطة خالية من التلال . والقلعة مهيبة ومنيعة ، تتحدى فرسان العصور الوسطى ، شامخة كأنها تنتظر هجوما يشنه الفرسان المدعومين بأحجار المنجنيق . إنها قطعة من جلال التاريخ وعبق الماضى .

قلت فى نفسى ـ ولم أكن مخطئا ـ أنها ولاشك تحوى المخازن الرئيسية للجيش، فالقلاع فى بلادنا أصبحت مزدوجة الإستخدام فهى مخازن لأسلحة الحكومة وسجنا تختزن فيه معارضيها السياسيين.

محلات المدينة جميعها مغلقه ـ البعض يحاول كسر الأبواب لكن هناك حراسات مسلحة وضعها المجاهدون لمنع ذلك . ولكن شيئا فشيئا أصبح الحراس مثل نقطة فى بحر بعد ما توافد "غلوليون" لم يدركوا شيئا من بركات الإقتحام الأولى ، فكان لابد لهم من كسر ماهو مغلق ونهب ماهو مصان خلف الأبواب . وبالتدريج وبصورة غامضة ظهرت فى أيديهم الكلاشكوفات وقواذف "آر بى جى" وبدأو يتكلمون بشده عن حقوقهم!! . وعند العصر شاهدنا أنهيار الأمنيات المسلحة وإنتصار الغلول المسلح والمكشر عن أنيابه. وشاهدنا إقتحام محلات، كان معظمها خاليا تماما ، فأخذوا منها أى شيئ يمكن أخذه ، فمن أحد محلات الجزارة لم يجدوا غير خطافات تعليق اللحم فأخذوها فرحين غانمين .

وصلنا إلى ميدان واسع يبدو أنه الأكبر فى المدينة ، جندى المرور مازال واقفا يؤدى واجبه فى تنظيم ما يستحيل تنظيمه: سيارات مملؤه بالمسلحين وبالمنهوبات ودبابات لا تنتظر إشارة مرور أو تصريح من جندى مرور نسيه النظام فى هذا المكان البائس. لقد رحل النظام وبقى جندى المرور بكامل ملابسه الرسمية شبه العسكرية يؤدى وظيفة حفظ النظام فى شوارع مدينة فقدت النظام ، بل دوله سقط نظامها.

ولكن كيف جاءت عملية النهب هذه المرة أكثر تنظيما بكثير مما حدث فى خوست؟؟. وكيف إتفقوا على هذه الطريقة البديعة والطريفة لتنظيم عملية ليست بديعة ولا لطيفة؟؟ .. لأنها نهب لا أكثر .

شاهدنا تلك الطريقة المتبعة التى صارت دستورا فى نهب جرديز، وهى تدور على النحو التالى:

* تقف السيارة "بيك أب" وينزل مسلح بسرعة ويتجه إلى ما أمامه من منشآت رسمية أو محلات تجارية أو أى مملوكات للدولة .

* المسلح يحمل رزمة من الصور مختلفة الأحجام عليها صورة واحد من زعماء الأحزاب "الجهادية " فى بشاور .

* المسلح يختار من الصور ما يتناسب مع حجم الهدف فهناك صور كبيرة وأخرى متوسطة أو صغيرة .

* مساعد المسلح يضع مادة لاصقة على ظهر الصورة ويلصقها فى مكان بارز فوق الهدف .

* وبسرعة البرق بعد أن ينتهى يتوجه إلى الهدف المجاور، خاصة فى ذلك الشارع التجارى . ويضع ملصقة أخرى .

* إن وجد الهدف مشغولا وزميل آخر يضع صورة لزعيم آخر ، يلقى عليه التحية والتبريكات بالفتح، وبسرعة يتابع وضع ملصقات زعيمه المفضل على الأبواب التجارية التالية .

* يركب سيارته ويبحث عن أهداف أخرى فى المدينة .

* يمنع منعا باتا ـ وذلك دستور تم أحترامه لحسن الحظ الشديد ـ يمنع رفع أى صورة من مكانها أو إستبدالها بصور زعيم آخر لأن النتيجة حتما معروفة وهى أنه بدلا من نقل الغنائم من الأسواق والمنشآت ، ستجمع جثث والأشلاء ولن ينجو أحد بشئ. ولكن بهذه الطريقة المبتكرة يكون الكل فائز ، ولكل مجتهد نصيب ، والبقاء للأسرع وللألصق (أى أسرع لصقا للصور) .

ـ مع جماعة اللصق هناك أكداس من إعلام الحزب الذى ينتمى إلى الزعيم صاحب التنظيم ، فهناك الألوان الأخضر والأبيض والأسود .. فمن المواضع ما يجب رفع العلم فوقه حتى تكون أكثر وضوحاً ، ومنعا للإلتباس . وذلك أنسب فى المواقع الكبيرة مثل المعسكرات ، وبعض الآليات الكبيرة .

ـ علم الحزب وصورة الزعيم أصبح شعار المرحلة الجديدة ، صار الحزب من يومها نقابة فوق قبلية للمجرمين . ليستكمل المهمة التى أنشئ من أجلها ، وهو أن يكون ـ أى الحزب ـ حصان طرواده للنفوذ الخارجى ويكون إضعافا للأمة الأفغانية القائمة على الوحدات القبلية المتفاهمة على ميثاق معيشة مشترك تحت راية الإسلام الجامعة .

فكانت الأحزاب (أصولية ـ معتدلة ـ أو ماركسية) أدوات هدم فى المجتمع والإسلام ـ فكانت السبب الأساسى فى إنحراف الجهاد وتحويله إلى حرب بالوكالة لصالح الممول الخارجى (أمريكا ـ باكستان ـ السعودية) .

لهذا بدأت تعلو بشكل ملموس للغاية دعوات العلماء والقبائل إلى إلغاء الأحزاب بعد أن ظهرت عيوبها القاتلة. بل ظهرت دعوات إلى إستبعاد الأمم المتحدة ومؤسساتها وقطع التعامل معها. وظهر لقطاع واسع جدا من الشعب الدور الخائن للدول التى كانت تظهر الصداقة وقت الحرب مع السوفييت ثم أظهرت العداء للمجاهدين والأفغان عموما عندما شرعت أمريكا تؤسس لنفسها حكما فى أفغانستان .

وستمر معنا بعض أحاديث القادة المجاهدين فى هذا الشأن .

 إن من أسباب إنبعاث حركة طالبان والتأييد الشعبى الكاسح لها هو إستهدافها للخلل الأمنى الذى أحدثته النقابات الإجرامية المسماة بالأحزاب ، والتى تروع الناس وتنتهك حرماتهم ـ فى مرحلة التحرير والحكم الإسلامى فى كابول !! ـ ذلك بعد ما أفشلت جهادهم وأعطت ثماره كاملة ليد العدو الأمريكى بدلا عن العدو السوفيتى .

إسبعاد الأحزاب من الحكم فى عهد طالبان لم يكن إذن إستئثارا بالسلطة كما يحاو للبعض أن يقول ، ولكن كان إستبعادا للفساد والإجرام بأبشع صورة. ولكن من أكبر أخطاء حركة طالبان أثناء تواجدها فى الحكم كان عدم

إستبعادها الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الدولية من أفغانستان . فدور هؤلاء يحتاج إلى كتاب قائم بذاته كى يستعرض دورهم المدمر على المجتمع الأفغانى، وفى العمل ضد أى توجه إسلامى فى المجتمع ونظام الحكم .

إن الدور السلبى للأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الدولية كان ضمن أسباب إنهيار حكم طالبان ، الذى كان يتميز داخليا بالثبات والقوة ، ولكن خارجيا تميز بالسذاجه المفرطة . كل طموحهم الخارجى هو أن تقبلهم الأمم المتحدة عضوا ، وان تعترف بهم "الدول الإسلامية !!!" .

□ □ □ □ □ □

جولة على الممر

عند الميدان الرئيسى فى المدينة وعلى ناصيتة كان مطعما وفندقا من طابقين أو ثلاثة يشهد نشاطا كبيرا ـ فقد كان الوحيد الذى مازال يعمل ، فتوافد عليه الأغراب الذين تدفقوا على المدينة .

من هؤلاء "الأغراب" كان صحفياً أجنبيا يرتدى /كالعادة /الملابس الأفغانية . أغاظنا وجوده ، بل وصوله إلى المدينة قبلنا ، ونحن المقيمون على حوافها . كانوا يجتهدون وقتها ـ أى الأعلام الغربى ـ فى إظهار كل ما هو سيئ وسلبى وبشكل خاص "القتال العرقى" وكل ما يدل على حتمية حدوثة .

لم يشاهدوا شيئا من ذلك فى جرديز لحسن الحظ ـ سوى تلك السرقات "البسيطة" التى لم تسفك فيها نقط دماء واحده ، وهذا يدل على مدى الدقة والإنضباط التى وصلت إليه حركة الغلول فى باكتيا .

تعدينا الميدان وفى نيتنا أن نرى "مضيق طيرة" الذى شغل خيالنا طويلا ، وتحديدا منذ فتحت خوست قبل عام تقريبا .

البيوت الطينية الكبيرة على جانب الطريق ، جلس أصحابها فوق أسطحها يحملون بنادقهم بتوتر ، خوفا من أن يقتحمها أحد أثناء الفوضى السائدة ،

كانوا يتجولون فوق الأسطح فى كل إتجاه ويفحصون كل حركة قريبة أو بعيدة ـ ولكن لم يحدث أى عدوان على تلك البيوت ، وذلك يحسب لصالح الأعراف القبلية الشريفة .

فى نهاية المدينة مقر لأحد الفرق العسكرية ، وقد رفعت عليه رايات أحد الأحزاب وعلى الباب شخص مسلح . فى الطريق الأعلام الحزبية المتنوعة مرفوعة على كل شيئ . دخلنا الممر الجبلى ونحن نسير ببطء نتفحص كل شبر وكل هضبة ، ونبحث عن إستحكامات الدفاع أين هى ومدى قوتها .

كان هناك إلى يميننا بعد بداية الطريق الجبلى، شعبا جبليا واسعا متعرجا ، فيه آثار لقوة عسكرية كانت تعسكر بداخله .

والهضاب عليها مواقع لمدرعات أودبابات كانت متواجده بغير تحصينات أى أنها كانت متحركة ـ أو تعمل فى أمن كامل من أى هجوم .

ثم إلى يسارنا ذلك العملاق الجبلى المهيب "خواجه قمبر غر" أعلى جبال جرديز " أكثر من خمسة كيلومترات فوق سح البحر" . وعلى سفحه عدة مواقع فى إتجاه الطريق ، وهى على إرتفاع معقول بحيث يسهل تموينها من الطريق الرئيسى .

إلى يميننا الجبل قريب جدا وفى أحد مواضعه حفر الجنود حفرة واسعة معتدلة الإرتفاع ، حصنوا مدخلها بزكائب الرمل ـ وسقفها صبغته الأدخنة السوداء التى كانت تتصاعد من موقد حجرى يطهون عليه الطعام. أسعدنى رؤية الموقع لأنه يشابه كثيرا مواقع المجاهدين وأسعدنى أكثر أن لدى المجاهدين ما يصلح لأن يتعلمه جيش نظامى .

دخلنا المنطقة من الطريق التى كان من المفترض أن تكون مسرحاً لعمليتنا الرئيسية. وهى تمتد من جبل "خواجه قمبر" إلى مضيق طيرة الذى هو عبارة

عن شق مصنوع فى قمة جبل يستعرض الطريق ويدعى "سبين كمرغر" ، أى جبل الحزام الأبيض إشارة إلى الثلج الذى يكسوه .
إلى اليسار جزء منخفض من الطريق ، كان فى خريطة ترصدنا إشارة إلى أنه موقع عسكرى ولكنه لم يكن ظاهرا لنا طبيعته ـ الآن نراه من أعلاه قليلا ونحن على الطريق ، نزلنا من السيارة لتفحصه . كان موقعا للمدفعية مازال أحد المدافع موجودا ، لم يسحبه الغانمون ـ هناك غرفة تحت الأرض للقيادة نزلنا لرؤيتها أنها قطعة أخرى من بؤس الجيش والحكومة .
غرفة ضيقة جدا ، بالكاد تسع سريرين ضيقين من الحديد ، من ذلك النوع العسكرى الموجود فى كل مواقع الجيش . ثم طاولة صغيرة مكدسة بالأوراق خرجنا بسرعة من المكان ، فحتى الفئران لا تستطيع البقاء لدقائق فى مثل ذلك المكان . إن هؤلاء الضباط والجنود من المحتم أنهم لم يتمتعوا بأدنى قدر من الحرية ، تكفى ساعد واحدة فى مثل هذا المكان حتى يفقد الانسان شعوره بآدميته. أين ذلك من شعور المجاهد الحر الطليق فوق الجبال ، وبين المزارع والحقول ، الذى يمضى أكثر عمرة فوق تراب الأرض ، ومباشرة تحت السماء؟؟. إنه إنسان حر وشجاع بمعنى الكلمة، ومشكلته الكبرى ليست الملابس أوالطعام أوالسلاح ، بل القيادة .
فالمجاهد خامة إنسانية رائعة ، بل لا نظير لها على سطح الأرض وإذا إتيحت له قيادة ممتازة تحققت به المعجزات . أما إذا وقع فى أيدى القيادات الرديئة المجرمة فإنها تنحرف به فى مهاوى تطيح بكل الحريات بل بكل القيم والمبادئ التى خرج للقتال من أجلها .
وكنا نشهد فى ذلك الوقت مثالا واضحا على ذلك فى أفغانستان التى كانت أكبر عملية جهادية فى القرن العشرين ـ وتحمل كل الإشارات الإيجابية أوالسلبية للعمل الجهادى الحديث .

ـ قبل مضيق طيرة بقليل كانت هناك نقطة للجمارك تحرسها دبابة ـ لا أدرى ما فائدة الجمارك والدبابة ، وكأنها حدود بين بلدين متحاربين. والآن لا أثرا للجمارك أو الدبابة .

ثم هناك نقطة حراسة فوق المضيق مباشرة تفحص السيارات الداخلة والخارجه من المدينة . كانت عبارة عن عدة غرف متسعة نسبيا مستندة إلى الجبل ، وتتمتع بما هو أكثر من الكآبة التقليدية ، كان بها شيئ ينذر بخطر الموت . هذا المضيق يعتبر إداريا من ولاية لوجر لذا سلم نفسه لمجاهدى لوجر القريبين منه، وكانوا مازالوا مشغولين فى نقل الغنائم إلى أسفل الجبل جهة لوجر، من المفروض أن يكون هنا نصيب الأسد من الغنائم فهناك التحصينات الرهيبة للجبل العرضى "سبين كمر" وهناك مخازن "أوفشور" التى حدثونا عنها فلم نهتدى حتى إلى موضعها. والذى ظنناه مكانها المفترض لم نجد فيه أى أحد ينقل غنائم ، فتوقعنا إما أنها نهبت بسرعة أو أنها مخفية بشكل ما ولم يعثروا عليها بعد. لم نهتم بذلك فهى منهوبة على أية حال ، ومخصومة من رصيد القوة الأفغانية التى تترنح نحو الموت ويتزاحم الجيران والعالم، وحتى أهلها، على نهش لحمها وعظامها .

كل شيئ سوف يتم نزحه خلال أيام إلى الأسواق القبلية فى باكستان من طلقات المسدسات وحتى الدبابات والطائرات، ومن كابول منظومات صاروخية حديثة لنظام الدفاع الجوى.

 أفغانستان تتقطع أوصالها على أيدى أبنائها وتباع فى أسواق الجيران الذين تزاحموا يحجزون مواقع لهم فى المرحلة الجديدة المزدهرة، مرحلة الحرب الأهلية التى تتشكل ملامحها الآن بين مزار شريف وكابول، وتزحف مثل بقعة الزيت لتغطى مكانا خربا مدمرا كان بالأمس وطنا، ولا يريد أحد

من كبار عالم أو حقرائه أن يعود وطنا كما كان ، أو موطنا للإسلام الذى دفع وجوده كله ثمنا للحفاظ عليه .

المطلوب الآن من اللعبة الجديدة التى تديرها أمريكا فى أفغانستان هو تفكيك الأوصر التى تربط الناس ببعضهم ـ وتفكيك الأواصر التى تربط الناس بأرضهم وتفكيك الأواصر التى تربط الناس بدينهم .

والذين خرجوا على قوانين اللعبة وحاولوا فرض لعبتهم الخاصة ـ فشلوا فى ذلك ـ وتمت معاقبتهم بشدة فى حرب ٢٠٠١م التى وضعت أفغانستان تحت إحتلال الجيش الأمريكى وأزلامه فى الناتو ومنظومة الكلاب الجدد من الحلفاء الذين بعثوا عساكرهم فى مباراة لصيد الثعالب فى أفغانستان .

* بعد مضيق طيرة مباشرةً يبدأ إنحدار أشد نحو الأسفل .. وكأن الإنحدار يقول لنا مرحبا بكم فى لوجر.

الجبل الآن يمتد على ميمنتنا حتى نصل الوادى المنبسط . ويكون اليسار منفتح لمناطق جبلية أقل إرتفاعا، وقريبة نسبيا، ومناطق أخرى أبعد وأعلى. أنه مكان رائع لإغلاق الطريق بالنيران وجعله جحيما لا يطاق . لا شك أن المجموعات إياها كانت هنا، تلك المجموعات التى تبيع نصف خدماتها لحكومة كابول والنصف الآخر لمنظمات بشاور وحكومة باكستان

إن مجموعة من ثلاثة إلى خمسة أشخاص كمجموعتنا القديمة فى خوست عام ١٩٨٥ كانت كفيلة بجعل هذا الطريق معرضا دوليا للآليات المحترقة .

الطريق حتى الأسفل منطقة هائلة للكمائن ، بل منطقة قتل ,الطريق معلق فى الهواء يحبسه الجدار الجبلى من ناحية ، ومفتوح لنيران معادية، مفترضه من الناحية الأخرى. فليس لديهم أى إمكانية للمناورة سوى رمى أنفسهم من أعلى إلى أسفل ، فيموتون فى الوادى بدلا الموت معلقين فى الطريق .

كنا ننوى وضع قطع أسلحة مناسبة فى هذا الجانب لإغلاقه بالنيران إلى جانب الهجوم بالمشاة على الطريق من هذا الجانب أيضا .

لكن العدو إستسلم بهدؤ فأتاح الفرصة ليس لضياع مخزون هائل من السلاح والذخيرة إلى أيدى ضارة مضرة، بل أدى إلى ضياع النصر كله وتحويله إلى جنازة لتشييع وطن إلى مثواه الذى قد يكون الأخير.

مضيق طيرة ، ومخازن أوفشور تسلمها مجاهدو الجوار فى لوجر .. فمن هم؟؟ لا أحد يدرى ، ولم يكن أحد مهتما بما يجرى هناك فكل مشغول مع ليلاه ، وفى جرديز مليون ليلى آنذاك .

 مع إلتحام الطريق مع الوادى الفسيح هناك قلعة كبيرة إلى اليمين ، كانت مقرا لقوة حراسة تدعمها دبابة ظاهرة إلى جانب القلعة وبعد مسافة قصيرة توجد سلسلة جبلية منخفضة تستعرض الطريق الذى يخترقها مستمرا فى مسيره عبر المنطقة المنبسطة ، هذه التلال تصلح أيضا لقطع الطريق إنها إلى حد ما تشبه مضيق طيرة مع الفارق الكبير فى الإرتفاع والإستحكام .

 عبرنا كل هذا وأمامنا الآن لوجر منبسطة ، والطريق مسفلت وفى حالة جيدة . والمنطقة تبدو هادئة بلا حركة ، بما يثير القلق .. بدأنا نتساءل أين الناس ؟.. لم نكن متأكدين مما يحدث فى لوجر ، وأين هو العدو فيها الآن ، لا توجد سيارات فى الطريق ، ولا أشخاص غيرنا فى المنطقة (وربما فى العالم) . كلما تعمقنا زاد قلقنا بأننا نجرى داخل كمين .

وصلنا إلى قرب منتصف الطريق صوب مدينة "بولى علم". أمامنا قلعة ضخمة إلى اليمين وأشخاص يتحركون دخولا وخروجا منها .

طلبت من سائقنا التوقف والإستدارة إلى جرديز. فلا أحد يعلم برحلتنا تلك وليس من الجيد الوقوع فى الأسر فى مثل تلك الأيام المفترجه .

□ فى العودة لفت حاجى إبراهيم نظرنا إلى ظاهرة طبيعية على سفح الطريق الصاعد نحو طيرة . فى جانب المنحدر صوب الوادى العميق هناك فتحه مغطاه بشبكة حديدية قال أنها بلا قاع، يقول الأهالى أن أحدهم أشعل إطار سيارة ورماه فيها فصعد الدخان من داخل بئر بعيد فى "لوجر".
كان الأمر غريبا. نزلنا وألقينا بها حجرا صغيرا لم نسمع سوى صوت إصطدامه بجدران الحفرة ولم نستطع سماع إرتطامه النهائى بالقاع . إنها فوهة بركانية خامدة ، وأظن أن المنطقة أخذت إسمها من فوهة البركان تلك ، فإسمها هو"تمور" وهى كلمة عربية تعنى {يغلى من شدة الحرارة} فإذا كان التخمين صحيحا فإن تلك الفوهة كانت نشطة فى وقت إعطاء المنطقة تلك التسمية أى منذ عدة قرون حين دخلها الإسلام واللغة العربية .

□ عدنا مرة أخرى إلى الميدان الرئيسى فى مدينة جرديز. الكل مشغول للغاية وسعيد أيضا . كان سهلا تمييز المجاهدين الجبليين من هؤلاء القادمين من المهجر فى باكستان ، ثم عن هؤلاء البشتون من حاملى الجنسية الباكستانية ممن لم يدخلوا إلى أفغانستان أبدا إلا فى تلك المناسبات السعيدة والفتوحات الغانمة ، فكانوا يحملون بنادقهم الرشاشة وقوازف "آر بى جى ".
لقد جاءوا أخيرا للقتال، ولكن فى سبيل الغلول.
المنظر اللطيف هذه المرة أن أحد الأشخاص حاز على غنيمة عبارة عن دبابة طراز (**تى٦٢**) وهى الأثقل لدى الجيش الحكومى. من فرط سعادته حولها إلى سيارة للتنزه لكل من يرغب من المتواجدين فى المدينة. فازدحمت الدبابة بشكل كبير جدا بالركاب ، والسائق يجرى بهم بسرعة ما بين الدوار الكبير إلى أول الجسر فوق النهر ، والركاب يضحكون ويصيحون من فرط البهجة والسرور كان المنظر يثير الضحك .

ذلك الوحش الفلاذى تحول إلى عربة للتنزه كأى عربة خشبية يجرها حصان. لم أشاهد ذلك الطراز أبدا فى حوزة مجاهدى باكتيا قبل هذا اليوم .

عند العصر كنا واقفين فى الشارع الرئيسى قرب صيدلية مغلقة وقف صاحبها على بابها يدفع عنها الصائلين. مر بنا الشيخ نظام الدين فتوقف بسيارته وصافحنا وتبادلنا التبريكات بالفتح . صاحب الصيدلية إستفاد من الفرصة وتقدم من الشيخ وكان يعرفه سابقا، فقد كان متعاونا معهم من داخل المدينة ، وطلب منه ورقة تطلب من الآخرين إعفاء صيدليته من النهب وبالفعل كتب له الشيخ ورقة بذلك ثم إنصرف .

بعد دقائق وصل بيك أب يحمل مسلحين ووقف أمام الصيدلية وطالب صاحبها بالتنحى عن بابها لأنهم قرروا "غنيمة" صيدليته .

عرض عليهم الرجل الورقة فرفضوها بعنف وهجموا على باب الصيدلية لتحطيمه. فعرض عليهم الرجل أموالا "فدية" لترك الصيدلية، فلم يقبلوا. تقدمت نحوهم مع حاجى إبراهيم الذى تولى شرح الأمر لهم بأن هذا الرجل فى أمان المجاهدين ولا يجوز سرقته ، وأن معه ورقة حماية من مولوى نظام الدين. تجمع باقى إخواننا العرب حول اللصوص ، فتراجع كبيرهم إلى الخلف خطوة واحدة ثم أطلق رشاشة فى صليه متصلة من فوق رؤسنا تماما وهو يصيح من فم خرجت منه رغاوى بيضاء مثل كلب مسعور : "ا أكبر.. إسلام زنده باد" .

لقد عرضت هذه القصة فى موضع سابق من هذه السلسلة لذا سأختصر وأقول أننا إنسحبنا مقهورين ، حتى لا نتسبب فى مجزرة لن يستطيع احد إيقافها ، لأن كل هذا السرور وتلك البهجة وذلك الهرج من السرقات المسلحة كان فى حاجة إلى شرارة واحدة كى يصل تعداد القتلى إلى عدد لا يمكن تخيله. ببساطة: سيقتل كل أحد أى أحد، وقد لا ينجو أحد.

□ كنا نبحث عن حقانى ، وعن مجموعاته المقاتلة ، وعن أبوالحارث وجماعته وعن جماعة البدو الكوتشى ، وعن إخواننا الذين كانوا فى زورمت مع جماعة منصور ولا شك أنهم تقدموا معهم من جهة الغرب ـ ومجموعتنا العربية التى تحركت من خوست .. إلخ . الجميع ضائع فى المدينة ما بين مواقع عسكرية ومبانى حكومية .. ونحن ضائعون فى الشوارع نفحص ونراقب .. ونتحسر فرحين !!.

البيوت الخالية إتخذها البعض مخازن للمنهوبات ينقلون إليها كل شيئ ويضعون عليها حراسات . وصل تجوالنا إلى الحواف الزراعية للمدينة . ترجلنا لنتنفس الهواء بعيدا عن تلوث المدينة . مشيت مع صاحبى أبوجهاد لنستمتع بتلك الحقول التى تذكرنا بطفولتنا الريفية ، وأخذنا نقفز فوق قنوات الرى الصغيرة .

□ على حافة الحقول شاهدنا مولدا كهربائيا ضخما يمكن تحريكة على عجلات . إندهشنا لعدم وجود علم حزب أو صورة زعيم ، فقلت لصاحبى مازحاً الآن وجدنا شيئا نغتنمه ، أخذنا ندور حول المولد وكان فى حالة ممتازة ، ونحن نتناقش حول نسبة التوزيع بيننا ، وفجأه ضاعت الفرحة حين أشار صاحبى إلى المدخنة العلوية للمولد ، فوجدناه مربوطا بها تكه سروال بيضاء اللون ، فقد كانت بديلا عن العلم الأبيض ، الذى يبدو أنه قد نفذ فإستعاض عنه بتكة سروال!! .. وقد عرضنا القصة فى موضع سابق .

□ كان لدى فضول قوى لمعرفة الجهة التى "غنمت" تلك القلعة المهيبة فوق الربوة . فذهبنا إلى هناك ، وسألنا الناس فى الطرقات عن سادة القلعة الجدد فقيل لنا أنهم الكوتشى من أصحابنا.

طرنا فرحاً أن أصحابنا قد وصلوا إلى تلك القمة الشاهقة فى سماء جرديز بعد أن ضاعت من الفاتحين فى خوست قلعة متون.. فذهبنا لإلقاء التحية والتبريك وأيضا لإشباع الفضول عن محتويات القلعة .

الطريق المنحدر الصاعد إلى ساحة القلعة ملئ بالشاحنات وبجماهير البدو يتحركون بهمة ونشاط فى عتمة الليل التى بدأت تزحف ، وفى رعاية أضواء خافتة متوفرة فى القلعة. فى البداية لم يلتفت إلينا أحد ، ربما ظنوا أننا من ضمن الفريق. ولم نصادف أحدا نعرفه لكن فى وسط الساحة إنقضت علينا جماعة منهم إكتشفوا أننا دخلاء ، وسألونا بغلاظة عما نريد فسألنا عن أصاحبنا بأسمائهم . فأجابونا بالصيحات التحذيرية والزجر الشديد .. لقد جن القوم ، إنه فاصل من الجنون المسعور لا أكثر .

 أرخى الليل سدوله ، والمساء بارد جدا ، ولا نجد مطاعم فى المدينة نتناول فيها الطعام أو نبيت فيها إلى الصباح .

لم يصنع أحد خبزا فى المدينة هذا اليوم ، والدكاكين كلها مغلقة وبائعى اللحوم مختفون ، وبالتالى المطاعم متوقفة ، وأغلقت أبوابها لأن الوافدين قد يبيتون فيها بلا أجر ، وربما يغنمون ما بها من أثاث .

لم نجد أى مقر لأناس نعرفهم ، والوقت أصبح حرجاً فالظلام قد حل وأمتلأت جميع المقار بأناس نعرف بعضهم ولا نعرف أكثرهم .

أحد معارفنا تعطف علينا وإصطحبنا إلى مدرسة على حافة المدينة حتى نقضى بها الليل وحتى يأتى الفرج صباحاً . ذهبنا إلى تلك المدرسة .

غرف كثيرة مزدحمة بالأفراد هناك بخارى فى أحد الأركان أزدحمت حوله أمة من الناس. المكان محطم وخال تماما من أى أثاث وبعض النوافذ والأبواب منزوع، بالكاد وجدنا غرفة بها فراغ ما، فتوزع الشباب فى

الأركان. أبو الحارث وجد لوحاً رقيقا جدا من الخشب ، يكفى له على شرط أن يضع ركبتيه تماما تحت ذقنه، وقد فعل ذلك ونام.

البرد قارص ولا أغطية لدينا وجدت منضدة كانت مع أخرى مثلها غير موجودة تستخدم فى لعبة تنس الطاولة . لم يفكر أحد غيرى فى تلك الفكرة العبقرية ، وهى أن أتكوم فوقها وأنام. لم تتوقف الرفاهية عند ذلك الحد ، فقد كان معى حقيبة "**أ ر بى جى**" وضعتها تحت رأسى ووضعت رأسى فى مجرى بين القذائف ورحت فى أحلام سعيدة. وهكذا قضينا ليلتنا الأولى فى مدينة جرديز المحررة .

<u>الخميس ٢٣ إبريل ١٩٩٢</u>

أذن الفجر فإنتفضنا فرحين . لقد طلع النهار بعد طول إنتظار ومعاناة . خرجنا من ذلك المخزن البشرى كى نبحث عن ماء مثلج للوضوء فى هذا الصباح الجليدى ، فى المجارى المائية للحقول المحيطة .

مرة أخرى لاشيئ للأكل أو الشرب علينا أن نسعى هذا الصباح بحثا عن الرزق وعن الأخبار أيضا. علينا أن نبحث عن حقانى الذى عثرنا على مركزة الجديد ، إنه الموقع الأساسى للقوات الحكومية جهة الغرب فى مقابل زورمت وكان يدعى مركز الدبابات .

دخلناه فإذا هو هضبة قليلة الإرتفاع ، غنية بالخنادق المسقوفة والمغارات الصغيرة التى تستخدم كغرف إيواء . كان يتميز بالتحصينات الكثيرة ولكنه مزدحم للغاية ، ولو تعرض لقصف مركز فحتما ستكون الضحايا كثيرة. لكنه كان سعيد الحظ إذ جاء فى مواجهة زورمت التى يغلب عليها طابع الميليشيات القروية المسالمة معظم الوقت .

ولحسن حظهم أيضا أن نائب القائد العام فى جرديز " نبى خان" هو أيضا من زورمت ورتبته فى الجيش الأفغانى (تورن جنرال) . وقد قابلناه فى الموقع

وكان عابس الوجه عدوانيا ، وعندما علم أننا عرب كادت أن تحرقنا نظراته ـ ولولا أنه فى حكم الأسير ـ لأطلق علينا النار. وأظننا كنا سنفعل نفس الشيئ، فقد بادلناه الكراهية بشكل فورى ومن أول نظره. فضلت أن أسحب الشباب بسرعة بعيدا عنه .

ومن زورمت أيضا ظهر قادة كبار من مؤسسى النظام الشيوعى فى أفغانستان ومن أشهرهم الجنرالان عبد القادر ، وأسلم وطن جار . وهما دعائم الإنقلاب الشيوعى الأول عام ١٩٧٨ .

ولا شك أن نبى خان كان له رجاله فى زورمت، الذين ساعدوه على إستقرارها بحيث لم تشكل خطر على جرديز إلا نادرا ، وبفعل أو تحريض عناصر من خارجها ـ غالبا من زدران ـ وأظن ذلك كان من دواعى الجفاء بين حقانى ومولوى منصور.

ـ كان قائد القوة العسكرية فى جرديز يدعى إمام الدين . وهو من منطقة جاجى وقد ورد معنا تجربة العرب فيها فى معاركها الشهيرة عام ١٩٨٧ .

كانت رتبته فى الجيش الأفغانى (دجر جنرال) .

لم تتح لنا فرصة رؤية إمام الدين ، الذى كان بطلا فى عمليات التفاوض وكسب بمهارته مكاسب لمعسكره لم يكن يحلم بها ، وأضاع على جماعتنا وقتا ثمينا لا يقدر بثمن ، وغنائم كانوا يستحقونها ، وسلمها إلى أسوأ العناصر على الإطلاق .

أظنه كان جنرالا حقيقيا ، يستحق الرتبة التى يحملها .

سنرى بعد قليل فى أفغانستان كيف أن رتبة جنرال أخذت تمتهن ويوزعها النظام وقادة المنظمات "الجهادية!!" على من لا يستحقون .

وفى الجانب المعارض ـ أو المكمل لمستلزمات الحرب الأهلية ـ جانب حكمتيار بعد أن لمس الجميع إفلاسه السياسى والعسكرى ، بدأ يوزع رتبة

جنرال على من تبقى حوله من كومندانات ، ومنح أيضا قائد مجموعة العرب الذين معه أبومعاذ الخوستى نفس الرتبة أيضا .

كان أبومعاذ أفضل من تلك الرتبة المصطنعة ، وأجدر بأن يكون فى مكان أعلى بكثير.

ذلك المعسكر الحكومى الحصين الذى إتخذه حقانى مقرا فى جرديز ، لم يبدأ معه بداية سعيدة، إذ حدث خلاف شديد بين منتسبى غوند أبوجندل مع زملائهم فى سلمان الفارسى حول حيازة دبابة من الغنائم طراز (تى ـ ٦٢).

شاب فى بداية العشرينات فى قمة ثورته حمل قاذف مضاد للدروع وهدد بضرب الدبابة المتنازع عليها.

لم أشاهد حقانى فى مثل تلك الثورة من قبل ، وكان شقيقه خليل يهدئ من ثورته ويسحبه إلى داخل غرفته . كان ثائرا على ذلك الشاب وحرصه على الغنيمة أكثر من حرصة على المصلحة العامة وإشهاره السلاح فى وجه إخوانه. لفرط ثورته لم يصافحنا حقانى عند وصولنا ، ولكنه بعد فترة من الوقت جاء وصافحنا وجلس للحديث مطولا معنا.

* هكذا تم الإقتحام *

قبل جلوسنا مع حقانى ، كان لنا فرصة جيدة للجلوس مع الجنرال صافى ، الذى كان سعيدا بما حدث ، بل مذهولا لكيفية حدوثه . فكان يحدثنا بحماس وشواربه الفضية الضخمة تهتز مع ضحكاته الخشنة. وبصفته عاصر المفاوضات ومفارقاتها والتسليم وطرائفه ، راح يقص علينا ما حدث فى خليط من الحماس والدهشة والفكاهة..

يقول الجنرال صافى :

كنت مع حقانى وشقيقه خليل مجتمعين مع الجنرالان إمام الدين ونبى جان , كان إمام الدين يرفض التسليم ويتحدث عن إئتلاف حاكم ، يكون فيها الجيش

تحت قيادته، والإدارة المحلية تكون للمجاهدين الذين سوف يسمح لهم دخول المدينة بدون أسلحة كى يديروا الشئون المحلية الداخلية، وأن الجيش سيترك بعض المواقع غير الهامة على أطراف المدينة .

ولكن حقانى من طرفه كان يرفض ذلك العرض ويصر على التسليم .

الجنرال إمام كان قد صرح لجنوده وضباطه أن مفاوضات السلام مستمرة مع المجاهدين وأنها على وشك النجاح .(لاحظ أنه نفس خطأ نجيب الذى أعلن إستعداده للتنحى عن السلطه لمجلس تختاره الأمم المتحدة فتسبب ذلك فى إنشقاق الحزب عليه وتمرد مزار شريف) .

كانت نتيجة تصريحات "الجنرال إمام" أن الجيش تهيأ لاستقبال السلام الذى بات وشيكا.

والذى حدث أنه فى صباح يوم الاربعاء (٢٢ إبريل) بينما المفاوضات جارية والجميع يتوقع سلاما وشيك، وإذا من طرف المجاهدين أطلق شخص ما النار فى الهواء. فظن العسكر أن الإتفاق قد تم فأطلقوا النار هم أيضا فى الهواء وكذلك فعل مجاهدوا الخط الأول . فاندفع المجاهدون إلى المدينة سيرا على الأقدام بدون قتال ، بينما وحدات الجيش ترحب بهم ظنا منهم أن الإتفاق تم التوقيع عليه.

{{ رواية أخرى من سكان الخطوط الأولى، وهم أقرب إلى الحدث، تقول أن الإندفاعة الأولى صوب المدينة كانت من طرف قوافل الغلول الذين كانوا يحاولون إقتحام خطوط العدو منذ أربعة أيام عصيبة تحملوا فيها الأمرين من البرد والثلوج والمطر وإطلاق النار فوق الرؤوس ، وسقوط "الشهداء" فى الألغام. ومع كل هذه الصعاب كانت أعدادهم فى إزدياد وسكنوا تحت الجسور وإمتدت خطوطهم من خوست إلى الخط الأول للقتال فى جرديز.

هؤلاء "الأبطال" عندما سمعوا الطلقة الأولى ، وكانوا يتتبعون بدقة جلسات المباحثات وكانت السيارات التى تحمل الوفود المتفاوضة تمر عليهم جيئة وذهابا، صباحا ومساء. فإندفعوا فورا إلى داخل المدينة، فتأكد الجنود أن الإتفاق قد تم فأطلقوا النار فى الهواء إبتهاجا بالسلام الذى فرضته قهرا قوافل الغلول. وبهذا أثبتت تلك الظاهرة المشئومة أنها لاتخلو من فوائد}.

<u>أضاف حقانى أبعادا جديدة أخرى لموضوع التسليم .. فقال :</u>

قدمنا للجنرالات شروط التسليم فوافقوا عليها مبدئيا، وقالوا سندرسها ونرد عليها بعد يومين بعد المشاورات. { لاحظ هنا المماطلة لكسب الوقت }

يضيف حقانى أن الجنرالات مهدوا لإستسلام المدينة بإستبعادهم ميليشيات "جام جم" الذين عارضوا التسليم. فنقلوهم من الخط الأول إلى وسط المدينة ثم إلى خارج المدينة ، حيث تفلتوا منها وخرجوا بدون أوامر.

(يبدو أن هؤلاء الميليشيات كانو كالمستجير من الرمضاء بالنار ، كانو خائفين من حقانى بعد حروبهم المريرة معه فى خوست ثم فى جرديز، ففضلوا الفرار من وجهة. ويبدوا أنهم لم يكونو يعلمون ما حدث من إستسلام لوجر ، فدخلوها وهم يحسبون أنها حكومية ، وكان بصحبتهم راجمات صواريخ ثقيلة وشاحنات ، فأوقفهم المجاهدون طالبين ما بايديهم من معدات فرفضوا ، فدارت معركة قتلوا فيها جميعا وإحترقت كل المعدات التى كانت معهم . وقد رأينا آثار تلك المعركة وسمعنا أخبارها بعد وقت قصير من فتح جرديز. وكان موقع المعركة فى منطقة تنجى أى المضيق حيث يلاصق الجبل الطريق العام بعد مدينة كلنجار) .

يقول حقانى:

أنه قبل ان يدرس الجنرالات الشروط دخل الناس المدينة فجأة.

(قال الناس ولم يقل المجاهدون وهذا يؤكد أسبقية قوافل الغلول) .

فنزلنا وسيطرنا على أهم القطاعات العسكرية ، ونزلت الأحزاب وسيطر كل حزب على شيئ بدون قتال من جانب الجيش أو من جانب الآخرين .

أما الناس فنزلوا لنهب الدكاكين لأنهم لم يصلوا إلى شيئ من مخازن السلاح .

قال حقانى: إن العدو كان قوى جدا ولكن ا   نصرنا عليه بلا معركة بعد أن قطع الناس عنا كل شيء .

ثم تكلم عن الناس فى جرديز فقال بأنهم نافقوا كل السنين الماضية ورفضوا الهجرة ورفضوا مرور المجاهدين إلى طيرة عبر أراضيهم .

ولكننى طالبته بتعويض صاحب الصيدلية الذى أعطاه الشيخ نظام الدين خطاب أمان ثم نهبه السارقون .

* أنتقل الحديث مع حقانى إلى كابل والأزمة بين مسعود وحكمتيار . فقال أنه سوف يحرك الدبابات والمجاهدين غدا صوب كابل وأنه تحدث مع مسعود لاسلكيا حول هذا الأمر ، فطلب منه مسعود أن يحرك تلك القوات بعد وضعها تحت أمرة ضابط شيوعى من جرديز على علاقة بمسعود .

قال حقانى أنه رفض الطلب وقال أن ذلك سيعطى شرعية لمطالب حكمتيار بالقتال حيث أن الشيوعيون هم المسيطرون . وهذا سيضر بالوضع الحالى حيث الجميع مستعدون لشورى مهمتها تعيين نظام الحكم فى أفغانستان .

عن باكستان قال حقانى : بعد النجاحات الأخيرة بدأت باكستان فى تغير سياستها تجاهنا . فغيروا مدير المخابرات العسكرية فى أسلام آباد " أسد دورانى"، وكنت قد رفضت مقابلته بعد عودتى من دول الخليج نظرا لإنشغالى فى الأحداث . ثم مدير المخابرات العسكرية فى بشاور "جنجوعه" وكان قد أرسل لى فى بشاور من يقول أنه حدد لى موعدا فى مكتبه، فقلت لهم بل هو عليه أن يأتى إلى مكتبى بعد تحديد موعد. ثم أعادوا الجنرال إمام الذى قال لى : أن عندى قمح لكم كان مرسلا كمساعدات لكابل، فرفضت الجلوس معه .

{ الجنرال إمام ورد الحديث عنه فى أجزاء سابقة من تلك الكتب وكان يمثل دور المسلم الغيور المساعد للمجاهدين . وكان مقنعا فى ذلك للكثيرين بتأثير من الأموال والسلاح الذى بين يديه ، يقدمها لمن يشاء ويمنعها عن من يشاء . آخر أدواره كان فى عهد طالبان حيث عمل فى آخر

عهد حكومهم فى منصب لا مسمى له يشبه المندوب فوق العادة . مازال إمام حتى بعد إحتلال أفغانستان يحمل وجها إسلاميا للإستخبارات الباكستانية تستخدمه عند اللوزوم مع المجاهدين القدماء من العهد السوفيتى سواء الأفغان أو الكشميرين . وكذلك هو الحال مع الجنرال حميد جول الذى عمل عدة سنوات مديرا للإستخبارات فى آوخر عهد ضياء الحق ثم عزلته بنظير بوتو بعد مهزلة جلال آباد ١٩٨٩ . ولكنه يتمتع بمصداقية كبيرة لدى قطاع من العرب ومنهم القاعدة).

* من الأحداث الحزينة ليوم إستسلام جرديز كان إستشهاد "رحيم جول" الأبن الثانى للمجاهد "زير باتشاه" إبن عم حقانى الذى إستشهد فى جاور فى معركة ١٩٨٦ فى تهدم مغارة بالقصف الجوى . ثم لحقه بعد قليل إبنه البكر إسماعيل الذى جاء للبحث عنه . واليوم لحق به أبنه الأصغر رحيم جول الذى كان يقود سيارة تحمل قيادات من منطقة سيد كرم، كانوا يحضرون جلسة شورى مع حقانى لتنظيم عملية دخول جرديز بتعاون جميع قيادات الميدانية التى حولها. وكان معهم القرارات النهائية للمؤتمر، لكن إنفجر لغم تحت السيارة فقتل معظم الركاب ومعهم السائق رحيم جول.

(فى عام ١٩٨١ كنت قد قابلت الأب والطفلان إسماعيل ورحيم جول . وكانا مثل شبلان صغيران يتشاكسان طول الوقت وكانا يعملان مع الوالد فى حراسة مخزن ذخيرة المجاهدين، وكان عبارة عن خيمة واحدة تحت سفح الجبل بها عدة صناديق ذخيرة ، وعدة قذائف للمدفع **١٢٢** مليمتر الذى كان يديره وقتها الضابط رشيد. **وقد وردت قصته فى الكتاب الأول من هذه السلسلة)** .

****

تناقضات الريف المصرى فى جرديز

* إستلمنا اليوم ثلاث منازل كانت لضباط شيوعين سابقين . مجموعاتنا العربية تجمع معظمها الآن فى جرديز . والدفعة الأخيرة وصلت من خوست مع عبدالخالق . مشاكلنا الإدارية عويصة فقد وصل الشباب وجرديز خالية من الطعام ولم يكن لدينا مكانا للمبيت .

جماعة منصور أنقذوا الموقف إذ إصطحبونا إلى أحد الأحياء العسكرية المخصصة لسكنى ضباط الجيش . كان الحى جنوب شرق المدينة ولابد أنهم عثروا عليه صدفة،

فلم يكن أحد قد إنتبه إليه إذ أن البيوت مبنية من الطين ولكنها متسعة . ويبدوا أن كل ضابط بنى بيته بالطريقة التى يرغب فيها فليس هناك نموذج موحد للبيوت، لا فى منظرها الخارجى ولا فى توزيع غرفها من الداخل . فى كل بيت ساحة داخلية ثم مجموعة غرف حسب مزاج صاحب البيت. البيوت الداخلية فى الحى أكبر من حيث المساحة وإرتفاع البنيان، إذ تتكون من طابقين بينما البيوت الخارجية أقل مساحة وهى من طابق واحد . إخترنا بيوتا ثلاث متجاورة عند مدخل الحى الذى يتحكم فيه مدخل واحد . كان يفصل البيت عن جيرانه سور منخفض ، كنا ننتقل عبره قفزا أثناء الإجتماعات أو لتناول الطعام الجماعى .

البيوت كان قد تم إخلاؤها قبل يوم أو إثنين من إستسلام المدينة . البيت الذى سكنا فيه كان لضابط متوسط الرتبة، ترك بعض ملابسه العسكرية وغطاء الرأس العسكرى وهو فخم ومزين بالنقوش، وترك أيضا مجموعة من الكراسات العسكرية التى كان يدون بها محاضرات عن سلاح المدفعية، ثم كتب دعاية حزبية تقليدية .

كانت الكتب فى غرفة لها سقف مثقوب فنزل المطر على الأوراق وأتلف كثيرا منها. ولكنهم أخذوا كل شيئ معهم فقد كان لديهم الوقت الكافى . حتى الدجاج أخذوه معهم بكل أسف . لم يتركوا سوى ثلاث بيضات فقط على حافة نافذه غرفة الضيوف . بقت تلك البيضات مكانها ليومين ، حتى أضطررت إلى أكلها نيئة أثناء حديثى مع صديقى أبوجهاد الذى إستهجن تلك الطريقة فى أكل البيض، فقلت له أنها طريقتى المفضلة منذ كنت طفلا. ظلت علامات الدهشة مرتسمة على وجهه ، فأدركت أن السبب هو التفاوت الحضارى داخل الريف المصرى ، وأن حضارة أرياف كفر الشيخ يلزمها وقت طويل نسبيا حتى تدرك المستوى الحضارى لأرياف الشرقية .

* طلب منا حقانى أن نزوده بوقود الديزل لتحريك الدبابات ، فالوقود قد نفذ وليس لديهم شيئ ، والديزل فى خوست مخلوط بالماء .

كنا قد أعطيناهم أربعة براميل ديزل حركوا بها الدبابات من مركز خليل فى"عثمانى" إلى جرديز عند دخولها . والآن يطلبون وقودا لتحريك دباباتهم إلى كابول . أعجبتنى الفكرة وإبتسمت . كتبت رسالة إلى "مهند" فى خوست لتزويدهم بالديزل .

* أخبار اليوم من باقى الجبهات ، وجميعها يصعب الجزم بصحتها ، هى :

إستلمت ولاية باغمان اليوم وسلمت مقاليدها لقائد سيئ السمعة تابع لحزب الجمعية الإسلامية. ولاية غزنى سلمت مقاليدها للقائد "قارى بابا" وهو أيضا سيئ السمعة .

مهرجان للجنون

* هذه هى الليلة الثانية من الجنون .. إطلاق النار فى الهواء ليلا تجاوز كل حد معقول ، أو متصور . وتكلمنا عنه فى كتاب سابق أيضا .

قد يكون مقبولا ـ وبصعوبة ـ أن يطلق الناس نيران الأسلحة الخفيفة تعبيرا عن السرور ، ولو أننى أعتبره تعبيرا متخلفاً وغير مبرر ـ وقد يطلقون نيران رشاشات متوسطة أو حتى ثقيلة ـ وهذا حدث أيضا ، وهو أسوأ من سابقه .

ولكن أن يطلقون قذائف الدبابات على الجبال تعبيرا عن بهجتهم ، فهذا شيئ من السفاهة ، ولكنه سيكون معقولا إذا قارناه بما جاء بعده ، وهو إطلاق صواريخ "أوريجان" و "لونا" ، وكلها صواريخ ثقيلة متوسطة المدى وأيضا إنشطارية أى أنها تطلق قنابل عنقودية فكانت ترسم فوق الجبال ما يشبه الألعاب النارية فى المهرجانات ، إنها تثير بهجة الجمهور المتهيج هذه الليلة ، وكانت قبل وقت قصير فقط تثير الرعب فى المعارك . كان يدير منصات تلك الصواريخ أطقمها الأصلية من الضباط الشيوعيين، ولا شك عندى أنهم أصحاب فكرة مهرجان الصواريخ الإنشطارية ، الذى أثار هياج جمهور من الرعاع المجانين الذين سيطروا على قواعد تلك الصواريخ، ورأى الضباط بذكائهم الحزبى أنها فرصة للتخلص من تلك الأسلحة ذات القيمة العسكرية العالية ، وبتلك الطريقة ، بدلا أن يستخدمها هؤلاء الحمقى ضد نظام كابول أو ضدهم فى مواجهة أخرى .

ثم نعود فنقول أننا سنغفر ذلك لو أنه كان لدفعة واحدة أو خلال ساعة واحدة ، ولكنه إستمر من غروب الشمس وحتى آذان الفجر ولثلاث ليال متتابعة ، وبلا فواصل زمنية تذكر!!.

لا شك عندى أن الذخائر التى أهدرت فى تلك الليالى الثلاث هى بالتأكيد أكثر عددا وكمية وأغلى سعرا من كل إستهلاكات " المجاهدين" طول فترة الجهاد .. فأى جريمة إرتكبت فى إحتفالات ذلك النصر ؟؟ .

* هذا كان النشاط الترفيهى الليلى ، أما بالنهار فكان تفكيك كل شيئ فى المدينة ليس فقط كل شيئ على سطح الأرض بل هناك من حفر الأرض لرفع الكابلات الكهربائية، وهناك من حفر حتى جدران البيوت لنزع الأسلاك الكهربائية. أما الأبواب والنوافذ فهى ترفع فوراً. وأثاثات الدوائر الحكومية والمقارات والبيوت التى هجرها أصحابها سواء كانوا حكوميين أو مدنيين فقد تبخرت تماما .

فيما عدا منغصات المهرجانات النارية ، كانت ليلتنا هادئة ونومنا مريحا فى مقرنا الجديد ، والشباب الذين قدموا من خوست كان معهم أغطية كافية .

تمكنا من "تصنيع" الشاى ، ولكن الطعام غير متوفر.

******

هذا هو إلهى.. فأطيعوه

بينما كانت قصة جرديز تنتهى مع أبنائها من الشيوعيين الكبار، وهم يوقعون إستسلامهم أمام جلال الدين حقانى أحد علماء المنطقة الكبار، فى موقف دلالاته لا تقل أهمية عن نتائجة ، فإن قصة من قصص البداية وردت فى خاطرى ، كما فى أذهان كثيرين .

خضعت أفغانستان بسرعة للضباط الشيوعيين الشباب ، الذين تلبستهم حالة من النشوة والغرور يصعب وصفها . كان شعورهم بالقوة لا يوصف ، وإستخدامهم لها

فاق الخيال . وكلما سفكوا المزيد من الدماء شعروا بالمزيد من القوة والنشوة وأنهم يمثلون الحق المطلق والمستقبل الأوحد لبلادهم والعالم .

الطريق القادم من جرديز ما أن ينتهى من سلسلة جبال (ستى كندو) المكسوة بغابات الصنوبر ، حتى تبدأ مناطق تسكنها قبائل "زدران" التى تستمر حتى بداية وادى خوست لذا أطلقوا على الطريق إسم تلك القبائل فصار إسمه طريق (زدران) .

تلك القبيلة كان لها رأى آخر فيما يحدث .

فرغم أن العديد من قادة الجيش ، من الماركسيين الكبار هم من أبناء القبيلة ، إلا أن العلماء وشيوخ القبيلة وأفردها ، لم يوافقوا على ما يحدث وكان قرار القبيلة أن الحكومة الجديدة (كافرة) ولهذا قرروا مقاطعتها ، وألا يسمحوا لها بالمرور فى أراضيهم ، أى أنهم قطعوا الإتصال بين جرديز وخوست .

تحت أقدام "ستى كندو" تبدأ منطقة يسكنها فرع من زدران يدعى"إبراهيم خيل" ـ يعنى قوم إبراهيم ـ تصادف أن يكون منهم القائد العسكرى فى جرديز وقتها هو ضابط شيوعى شاب ومتحمس للغاية يدعى إبراهيم ، وكان ضابطا كبيرا فى سلاح المدرعات .

فذهب الضابط الشاب إلى قبيلته كى يقنعها بفتح الطريق .

شيوخ القبيلة رفضوا لأن الحكومة كافرة لا تؤمن با . الضابط إبراهيم ناقشهم طويلا وأفهمهم أن الحكومة ستفتح الطريق بالقوة إذا لم يفتحوه طوعاً ، وأن بيوتهم ستدمر وتحرق ، وأنه لا طاقة لأحد بهذه الحكومة وجيشها الجبار .

أصرت شيوخ القبيلة على موقفهم ، فتحداهم الضابط إبراهيم قائلا: تقولون أننا الشيوعيون لا نؤمن با فأين هو إلهكم ؟ .

فردوا عليه قائلين أن ا خلق كل شيئ ولكن لا أحد يستطيع رؤيته .

ضحك إبراهيم مستهزئا وقال بأن عنده إله قوى وجبار أقوى من إلههم ولكن يمكن رؤيته ، وسيحضره معه صباحا كى يريهم إياه وطلب منهم إنتظاره فى وقت محدد من صباح الغد .

فى الوقت المحدد حضر الضابط المغرور ممتطياً ظهر دبابة روسية من طراز (تى٦٢) وهى الدبابة الأثقل لدى الجيش وقتها .

كان رجال القبائل يخشون الدبابات كثيرا ، فهذا كان أول إحتكاك لهم مع واحدة من تلك الوحوش التى لا تصرعها طلقات بنادقهم الإنجليزية العتيقة، بل كان مجرد صوتها يثير خوفهم .

وصل إبراهيم وصوت دبابته يهز الجبال ، وقد تجمهر شيوخ القبيلة والكثير من أفرادها المبهورين الخائفين ، وأبراهيم منتصب القامة فوق دباباته وكأنه قهر بها العالم. ثم أخذ يروح بها ويجئ ويستدير ويعتدل ، ويطلق القذائف على قمم الجبال القريبة والبعيدة فيرتج المكان والأبدان .

إمتقعت وجوه الحاضرين ، ولا أحد منهم ينطق ببنت شفة . نزل إبراهيم منتشيا مزهوا من على ظهر دبابته ، ووقف منتصباً شامخاً مزهواً أمام شيوخ القبيلة ، وتكلم متحديا :

ـ هذا هو إلهى !! هل رأيتم كم هو قوى وجبار ؟ إنه سيفتح لنا هذا الطريق ، وإن لم تطيعوه فإنه سيدمركم .

وقف الشيوخ واجمين صامتين ثم طلبوا منه إمهالهم ساعة للتشاور قبل إعطائه الرد، ثم غادروا المكان للتداول فى مكان آخر . وبعد قليل عاد الشيوخ من مجلس تداولهم ، وتقدم أكبرهم سناً حتى يبلغ الضابط الشاب بنتيجة بحثهم . فقال الشيخ :

ـ ياإبراهيم لقد بحثنا الأمر ، وقد تأكد لدينا أنك أيضا كافر مثل حكومتك ولن نترككم تمرون من هذا الطريق مهما حدث . أما إلهك هذا فليس سوى قطعة من صفيح ، فخذه معك وإرحل من هنا .

بهت الذى كفر ، واستشاط الضابط المغرور غضبا ، وثار مهدرا متوعدا :

ـ سنمر من هذا الطريق بالقوة وسنحرق قراكم ، سآتى بالجيش غدا صباحاً فى مثل هذا الوقت من ضحى الغد ، إحضروا كل القبيلة وسأرى من منكم يستطيع منعى .

وغادر إبراهيم المجلس غاضبا ، وركب إلهه الفولاذى وغادر به إلى جرديز .

دقت طبول الحرب فى"إبراهيم خيل" وكل قبائل زدران ، إستعدادا لصراع غير متكافئ بين أجساد الرجال وبنادقهم العتيقة وبين جيش جرديز ودباباته الفولاذية التى لا تقهر . وموعد اللقاء الرهيب هو ضحى الغد ..

لم يكن لدى القبيلة أدنى فكرة عن أن هناك سلاح يمكن أن يواجه الدبابة، ولا عن أى طريقة لمواجهتها . إنهم يواجهون المستحيل ، وكانوا حقا يذهلوننا بذلك . عندما كنا نسألهم فى مواقف مشابهه "ماذا ستفعلون ؟"، فكان ردهم دوما بكل هدؤ وثقة "توكل بخداى" ـ أى التوكل على ا !! .

كنا نظن أن تلك مجرد كلمة . ولكنها عند الأفغان سلاحهم السرى الذى لايقهر ... والدليل ؟؟:

فى ضحى الغد جاء الضابط إبراهيم مع قافلة عسكرية ضخمة مهمتها فتح الطريق بالقوة وإيصال المؤن إلى مدينة خوست .

بدأت الدبابات ومئات الجنود المدججين بالسلاح. ورجال قبيلة زدران يرون الزحف المرعب يزلزل جبال ستى كندو وترجف منه جبال إبراهيم خيل .

نزل الجيش من جبال ستى كندو وبدأ التقدم عبر منطقة "إبراهيم خيل". ودوت صيحة جماعية من رجال القبائل المستحكمين خلف الصخور: "ا أكبر" !! صيحة زلزلت هى الآخرى جبال ستى كندو وإبراهيم خيل ، وغطت على زمجرة عشرات الدبابات والمصفحات والشاحنات العسكرية ، وطائرات الميج النفاثة التى تغطى السماء .

والنتيجة !!.. لم تعبر القافلة ..ودمرت عن آخرها .. ولم ينجو جندى واحد ولا ضابط واحد حتى إبراهيم كان من بين القتلى .

دبابة واحدة قديمة جدا من طراز"تى ـ ٣٤" إستطاعت الفرار ووصلت منفردة إلى خوست كى تنقل نبأ الفاجعة .

كيف حدث كل ذلك ؟؟.. لا أحد يدرى لامن القتلى ولا من الأحياء ولا من الذين قابلناهم بعد ذلك نسألهم الخبر .

وكنا قريبين من المنطقة وقت المعركة ، وقد ذهبنا لرؤية آثارها وأخذنا الكثير من الصور لحطام القافلة العسكرية ، وكان ذلك أثناء زيارتنا الأولى لأفغانستان فى يونية ١٩٧٩ . لقد كانت أفغانستان كلها ومازالت .. معجزة . **[راجع كتاب ١٥طلقة فى سبيل ا] .**

****

<u>الخسائر !!</u>

كما ذكر لى حقانى وقتها ، فهذه هى خسائره فى عمليات جرديز منذ المحاولة الأولى لإقتحامها فى أكتوبر١٩٩١ ، إلى حين إستسلامها فى إبريل ١٩٩٢ .

- ١٣٠ شهيد.
- ٤٠٠ جريح.
- ٥ دبابات.
- ٣٠ سيارة مدمرة وإستشهاد ١٠ سائقين.

يلاحظ أن عدد القتلى قريب جدا من مثيله فى معركة جاور١٩٨٦ومعركة فتح خوست فى ١٩٩١. أما خسائر الدبابات والسيارات فهى عالية بالفعل. لقد وقعت إشتباكات عديدة بالدبابات فى خطوط التماس بين المجاهدين من جهة والجيش والميليشيات الشيوعية من جهة أخرى. الميليشيات من قندهار بقيادة قائدهم الجسور "جبار" الذى كان يقود الدبابات فى عمليات إختراق وإلتفاف ضد المجاهدين. كان عظيم الشجاعة

والتهور أيضا، فدارت بينه وبين المجاهدين مبارزات بالدبابات . وهى مبارزات بمعنى الكلمة، تعتمد على الشجاعة الفردية والإستهتار بالموت . كانت الساحة الواقعة بين الخطوط الأولى مسرحا لمعظم تلك المبارزات الحامية.

تبدأ المبارزة بالسباب الشديد والحرب النفسية وتنتهى بدبابات محطمة وقتلى.

فى أحد المبارزات وجه جبار سبابا مقذعا لحقانى وقال أنه قادم بالدبابات كى يأخذه أسيرا ويربطه بحبل ويسحله على الأرض خلف دبابته.

وبالفعل هاجم جبار بمجموعة من الدبابات محاولا الإلتفاف حول الجناح الأيمن للمجاهدين. تصدى له بالدبابات أيضا إبراهيم شقيق حقانى ودارت معركة شرسة بين الطرفين .

أسفرت المعركة من تحطم عدد من دبابات جبار وعاد إبراهيم وهو يسحل على الأرض جثة مربوطة بحبل خلف دبابته ، لقد كانت جثة جبار نفسه !!.

****

الجمعة ٢٤ إبريل ١٩٩٢

ذهبت صباحا مع إبو الحارث وأبو كنعان لمقابلة حقانى للإستعلام منه عن موعد الرحيل إلى كابول، وأيضا كى نطلب منه وضع راجمات الصواريخ Bm-41 أو وصواريخ أوريجان تحت تصرفنا. قال لنا حقانى أنه سيذهب إلى لوجر للبحث عن مواضع لتمركز قواته هناك ، ودعانا للذهاب معه إلى هناك. وعن الصوريخ قال إنها إن تكن معنا وندبرها، أفضل من أن تكون مع الضباط الشيوعيين السابقين.

- بدأت الأمم المتحدة تتحدث عن حكومة مجاهدين "موسعة".أى تشمل عبد الرشيد دوستم وأمثاله، وقالت المنظمة أن مسعود وافق ذلك.

كان حقانى كان غاضبا أن يتسع تعريف المجاهد حتى يشمل دوستم زعيم الميليشيات التى ظلت تقاتل المجاهدين حتى الرمق الأخير.وقال حقانى إن مقياس الإسلام واحد، لايتسع ولايضيق. فالشخص إما مؤمن وإما كافر، وحقيقة الإسلام واحدة لاتتسع ولاتضيق، وحقيقة الإيمان واحدة ومازاد عليها فهو من التقوى.

عاينا بعد ذلك راجمات الصواريخBM41 التى غنمتها جماعت حقانى. ثم عاينا أيضا معسكر تدريب للجيش. كان به ساحة واسعة مزودة بأدوات رياضية وحبال تسلق وحواجز ومسارات للجرى . تنتشر وفى الساحة الأعشاب البرية الطويلة. أى أن الجماعة كانوا مشغولين فى الحرب فأوقفوا التدريب، على الأقل فى هذا المكان.

أماكن المبيت عبارة عن صالة واسعة جدا، وعلى جانبيها أسرة حديدية من طابقين. قريب من القاعة هناك ماكينات ضخمة لغسل الملابس. معظم المحتويات تم نهبها والباقى ينتظر دوره. تمنيت أن يكون لنا مثل ذلك المعسكر المجهز بدلا عن معسكراتنا البدائية المبنية بالطين.

{ ومع ذلك يشيع الإعلام الدولى أن أمريكا هى التى شيدت تلك المعسكرات للعرب وأنفقت عليها وأرسلت إليها المدربين. إنها قلة حياء إعلامى نادرة المثال، تليق بماكينات الكذب المحترفة والتى تديرها الحكومة الأمريكية}.

- كان فى جرديز حسب علمنا وقتها ثلاث مطارات. إثنان فى طرفها الشمالى، والثالث فى الجنوب، مررنا عليه هذ الصباح، فأذهلنا ما شهدناه. كانت مجموعة من الشباب تنزع أرضية مدرج المطار، وهى عبارة من ألواح من الصاج السميك المتموج. طلبنا من الشباب بالتوقف عن ذلك العمل لأن المجاهدين سيحتاجون لذلك المدرج لتشغيل المطار. رفضوا كلامنا وردوا علينا بغضب وعنف وكأننا أهنا مقدساتهم الدينية. علمنا أن أنهم تابعون لديقنا إسماعيل التركستانى فذهبنا إليه نرجوه وقف هؤلاء المخربين، إستجاب لنا إسماعيل وتحرك معنا إلى الموقع وطاب جمعته بالتوقف فجابهوه بنفس الموقف الذى جابهونا به . نظر إلينا وهو يبتسم بخجل معتذرا لنا عن جلافة هؤلاء الجهلاء. ذهبنا إلى حقانى نكلمه بإصرار أن يوقف هؤلاء الرعاع عن تخريب المطار.هو الآخر لم يستطع منعهم إلا بقرار من مجلس الشورى بأن

يعوضوا هؤلاء الشباب من غنيمتهم، وافق المخربون ولكن نصف المدرج كان قد إنتزع بالفعل.

- شبابنا القادمون من خوست كانوا مبهورين من عملية إستسلام المدينة، والإمكانات العسكرية الضخمة التى بها، والتى فاقت تصورات الجميع.

كانوا متشوقين لرؤية مضيق طيرة الذى كانوا يتجهزون لإقتحامه. فنظمنا لهم رحلات إلى هناك على دفعات. تحركنا فى سيارة منفصلة مع الدفعة الأولى، على أن نكمل رحتنا إلى مدينة "بولى علم" حيث يجرى حقانى مشاورات لنقل قواته إلى لوجر، على الحود مع كابول.

توقفنا عند المضيق بناء على طلب الشباب، وإلتقطنا صورا جماعية بالفيديو والكاميرا العادية. كانوا فى قمة السعادة والإنفعال، فقد كانوا يتهيأون ماديا ونفسيا لخوض معركة فاصلة " ننتصر أو نموت "، كنا نتوقع أن نفقد الكثيرين منا، ولكن العدو إنهار قبل ذلك وكفى ا المؤمنين القتال. كنت مذهولا أن نقف فى هذه الحالة المرحة نلتقط الصور التذكارية على هذا المكان تحديدا ، الذى لم أتصور إمكان الوقوف عليه إلا وسط نيران ودماء.

أمريكا تشكل الحكومة"الجهادية"!!

* إجتمعنا معه فى لوجر، وشرح لنا حقانى موقف الطرفين حكمتيار ومسعود فقال:

ـ إن مسعود لايستطيع بناء دولة شمالية بدون الجنوب، ولا يستطيع الإعتماد على الميليشيات ضد المجاهدين.

ـ وأن أطماع حكمتيار غير واقعية. فالإسراع بالإستيلاء على المبانى الحكومية فى كابول لن تضمن له حكم أفغانستان. فالعاصمة كابول محصورة ضمن عشرة كيلومترات طولا وأقل منها عرضا. والقوة فى أفغانستان هى فى أيدى العلماء والقادة الميدانيون، وهم حراس على أى حكومة حتى تطبق شرع ا .

أضاف حقانى:

كنت أنوى أن أسأل حكمتيار، إذا كنت تنوى الإستيلاء على كابول، فكم مدينة خلفك؟؟ "يعنى على كم مدينة يسيطرعليها حكمتيار". كتبت فى مفكرتى تعليقا على تلك الملاحظة:

{{ كانت تلك إشارة بليغة شعرت بها مثل طلقة المدفع. فالحكم فى أفغانستان ليس مثل أى دولة أخرى على الأرض. وفاتح كابول لابد أن تسانده سلسلة سابقة من الفتوحات. وحكمتيار يكاد سجله العسكرى لا يحتوى إلا على سلسلة إشتباكات داخلية طوال ١٣ عاما من الجهاد. وفى النهاية يريد أن يجلس منفردا على كرسى السلطة بدون أن تكون خلفه مدينة واحدة فتحها أو إستسلمت له }} .

* تكلمت مع حقانى عن حكومة بيشاور برئاسة مجددى وقلت له أنها حكومة "بطرس غالى". وأخبرته عن ما أذاعته طهران من وجود لجنة فى إسلام آباد تضم إيران وباكستان والسعودية وأمريكا والأمم المتحدة لوضع حل للقضية الأفغانية. وأن حكومة مجددى هى ثمرة أعمال تلك اللجنة.

قال حقانى:

لم يحدث إجتماع إلا بين قادة المنظمات. وأن قادة المنظمات المعتدلة "الغربيين" لم يحضروا ، وأسفر الإجتماع عن هذا الإقتراح ـ أى حكومة مجددى ـ وأنهم إستعجلوا هذا التشكيل بعد تحذير مسعود لهم بأن كابول فى يده ، وأنهم إن لم يطرحوا حلا خلال يومين فسوف يضع الأمر فى يد القادة الميدانيين لتقرير حل بمعزل عن بيشاور.

{{ لإستكمال هذا الجانب أقول أن هناك بعض الأجزاء الهامة من صورة ماحدث كانت خافية عن حقانى المنغمس فى شئون جرديز أثناء تلك المناورات السياسية فى بيشاور.

<u>أولا:</u> أن ماقاله راديو طهران كان صحيحا. وهو ذاك العمل المشترك ضمن لجنة تضم باكستان وإيران والسعودية وباكستان وأمريكا والأمم المتحدة ، لتمرير الحل الدولى لمشكلة أفغانستان والذى قررته الولايات المتحدة. وكل طرف كان يتحرك من جهته مستخدما أوراقه الأفغانية.

وتشير الشواهد إلى أن عمل تلك المجموعة ظل مستمرا إلى ان تمكنت أمريكا من إحتلال أفغانستان وعينت كرزاى رئيسا لأفغانستان وأمرت العالم بتأييد حكومته، أى حكومتها فى أفغانستان.

ثانيا: أنه طبقا للنقطة السابقة جاء التحرك السعودى الذى قام به تركى الفيصل وزير الإستخبارات والذى دفع فيه مئة أو خمسين مليون دولار لسياف كى يقوم بتشكيل الحكومة وفقا للمواصفات المطلوبة ، وبرئاسة مجددى .

ونظرا للخلافات والكراهية الشديدة بين الأطراف السبعة ، ومهارة سياف فى التفاوض والمساومة ، وتليين المواقف بالدولار المرطب ، فإنه تولى تشكيل الحكومة وإقناع الباقين بها.

وطبقا لمعلومات من مصادر موثوقة ، منها أسامة بن لادن الذى قابلته فى بشاور فى الثالث من مايو ٩٢ حيث قال أسامة بن لادن:

سياف جمع توقيعات القادة والمندوبين على مشروعه بتشكيل الحكومة بأن أجتمع مع كل منهم على إنفراد موهما إياه أن الجميع وافقوا ولم يبقى سواه خارج الإتفاق ، فيوقع هو أيضا .

إختيار مجددى رئيسا للدولة كان ورءاه التنظيم العالمى للإخوان المسلمين الذين حشدوا له الوفد الذى ضم محمد قطب والشيخ الصواف وغيرهم الذين وقعوا بيان الموافقة على حكومة مجددى ودعوة حكمتيار لوقف القتال .

((وقد أشرنا منذ بداية هذه السلسلة وقوف التنظيم الدولى للإخوان المسلمين كأداة سياسية /دينية فى يد الحكم السعودى ، إستخدمته فى أفغانستان منذ اللحظة الأولى وحتى اللحظة الأخيرة .

وكان التيار السلفى "الملكى مع الجهادى" هو الركيزة الثانية للسياسة السعودية فى أفغانستان . ومازال التياران، الاخوان الدولين ـ والسلفيه بشقيها، يعملان داخل إطار السياسة الملكية السعودية بشكل أو آخر . مع وجود إستثناءات صغيرة لا تضر بالقاعدة العامة)) .

ثالثا : أن التعاون الدولى والإقليمى الذى أسفر عن تشكيل حكومة مجددى لم يتوقف عن العمل بل إستمر حتى يومنا هذا . وكان قائما على أفضل وجه فى إدارة الحرب الأهلية ـ كل طرف من خلال أوراقه الأفغانية ـ وحتى ظهور حركة طالبان التى أربكت اللعبة مؤقتا .

ولكن سقوط حركة طالبان ما كان ليتم بهذه البساطة ، وأن تتجرأ الولايات المتحدة على إرسال قواتها إلى تلك البلاد الخطرة لولا أن الأطراف الأقليمية ذاتها قد مهدت لها خير تمهيد ـ كل من خلال أوراقه فوق الأرض الأفغانية. فنرى النظام التى شكلته أمريكا بعد الإحتلال يتضمن شيعة وطاجيك موالون لإيران إلى جانب إخوان مسلمون موالون للسعودية مثل سياف وبرهان الدين وصبغة ا مجددى ونفس الشيئ حدث فى العراق بعد إحتلاله .

ليس هذا فقط فذلك المجهود "السوبراستراتيجى" مستمر إلى اليوم لقهر مقاومة أفغانستان للإحتلال ، وذبح الشعب الأفغانى بالأيدى المحلية والأقليمية والدولية تحت ذاك الشعار المقدس بل الأكثر قدسية/ عند تلك الأطراف/ من كل الكتب السماوية، ألا وهو شعار مكافحة الإرهاب ومطاردة تنظيم القاعدة وحركة طالبان .

وذلك لإيهام الجميع أن الأمة الإسلامية قد ماتت واستسلمت لغاصبيها ، ولم يتبقى غير "إرهاب" لا يقره الإسلام يقوم به تنظيم القاعدة. وكذلك شعب أفغانستان الذى تحول فجأه رغم جهاده المشهود ضد الانجليز والسوفييت ، تحول إلى شعب عاشق للإحتلال زاهدا فى الإسلام ، ماعدا فئة ضالة إرهابية متخلفة هى حركة طالبان .

رابعا : مسعود لم يكن راغبا فى حل إسلامى لقضية بلاده ، ولا حتى حلا أفغانيا . كان يعلم حدوده تماما كورقة صغيرة فى يد قوة إقليمية أكبر ، تعمل هى الأخرى ضمن إطار (جيو سياسى) تم تحديده لها دوليا "أمريكيا" ، ولا تجرؤ على تجاوزه .

لذا كان مسعود يحدث بيادق بيشاور الكسالى المتباغضون على أن يسرعوا بالحركة طالما أن الزمام مازال بيده فى كابول . وهو واثق من عدم قدرته على الإمساك به طويلا ، خاصة إذا نقل القادة الميدانيون قواتهم إلى حوافها ـ ومعظمهم كارهون له لأسباب مختلفة إما عرقيا أو سياسيا أو شكاً فى نواياه غير الإسلامية .

فى داخل هؤلاء القادة الميدانيون تيار إسلامي قوي ومسلح ومنتصر. يمثله حقانى ونظام الدين وعشرات أمثالهم فى القدر وأن كانوا أقل شهرة أو بدون شهرة إطلاقا .

هؤلاء ممكن أن يغيروا التيار السياسى ويتولون قيادة الميدان بدعم من العلماء والقبائل . وقتها فسوف يقتحم هؤلاء كابول ويقضون بكل سهولة على مسعود وحليفه عبد الرشيد دوستم الرجل الأكثر كراهية فى كل أفغانستان ، خاصة فى مناطق البشتون .

إذن فمسعود هو الآخر كان متعجلا على تشكيل حكومة من بيادق بشاور كخطوة أولى لإستبعاد حل إسلامى قريب، ثم قام بإشعال حرب أهلية طويلة الأمد لإستبعاد حل إسلامى فى المستوى الإستراتيجى .

أما غريمة حكتيار فكان يتحرك على الجانب اللآخر المكمل والمتمم لعمل مسعود . وكان يدير عمله وتحركاته كلها ضباط إستخبارات باكستانين كانوا ملاصقين له طول الوقت، حتى بدأت الحرب حول كابول وبدأت أفغانستان كلها تحترق بأيدى أبنائها المدعومين من قوى أقليمية مجاورة ومسلمة .

 قلت لحقانى إن مجددى عار على الدولة الجديدة وأنه لم يشارك حتى بالكلمة لصالح الجهاد. وأنه أصدر فتوى ضد حقانى بأنه " باغى" لأنه إعترض على إتصالات مجددى بالأمم المتحدة وروسيا ، ولأنه يهاجم المدن وهو عمل يصفه مجددى بأنه مناف للإسلام (!!) .

((**أنظر إلى الفتاوى الإسلامية المتطابقة مع الرؤى الأمريكية التى مازالت تصول وتجول فى العالم الإسلامى من شيوخ وقادة إسلاميون ومثقفون إسلاميون وعلمانيون وفنانون ونساء "متحررات". إنها فوضى الفتوى التى تعصف بمصير المسلمين وتكاد أن تعصف بالدين نفسه**)) .

رد حقانى قائلا : فى دول أخرى يكفى مجرد الوصول إلى الإذاعة وتلاوة بيان، لتتم السيطرة على الدولة . أما فى أفغانستان فالقدرة والسلاح فى يد القادة والمجاهدين وكلهم مجمعون على تطبيق الإسلام وشرائعة.

ولن يستطيع مجددى أو غيره حكم أفغانستان بدون تطبيق الشريعة وحيازة رضى المجاهدين والعلماء .

فقلت له : إنهم سيخدعونكم، أنتم القادة والعلماء. **((بالفعل هذا ما حدث إذ تورط الميدانيون فى اللعبة ، ومعظم العلماء ، الذين إعتكف بعضهم تاركا الميدان. وهذا يؤكد براعة السياسين فى إستخدام العلماء والقادة والعسكريين كبيادق فى ألعابهم القذرة)) .**

□ إنتهت جلستنا مع حقانى فتركناه متوجهين إلى جولة فى لوجر ، وقال أنه سيتبعنا إلى هناك.

أخبار الإذعات تفيد أن حكومة مجددى فوضت أمنيات كابول إلى مسعود وقالت أن القيادات الميدانية حول كابول موافقة على ذلك . لكن حكتيار نفى ذلك وأعلن إعتزامه إسقاط طائرة حكومة بشاور إذا حاولت الهبوط فى كابول .

المطر ينهمر بشدة . وشاهدنا سيارات حقانى فى طريقها إلى منطقة "كلنجار". الأسعار مشتعلة فى لوجر ولا نجد مانأكله فإشترينا ٢٤ بيضة بسعر خمسمئة روبية باكستانية أى بسعر خروف صغير .

□ منذ ليلة أمس نسمع أصوات طائرات فى الجو. الآن لا دولة ولا جيش، ولا يدرى أحد طيران من هذا . كنت أتصور أنه طيران باكستانى أو أمريكى .

أكد لنا المجاهدون فى لوجر وجود قتال بين مسعود وحكمتيار فى كابول ، سقط فيه ١٤ قتيل ليلة أمس وصباح اليوم . وأن حكمتيار يدفع تعزيزات فى إتجاه كابول .

□ كنا نتقدم فى لوجر بسيارتين . لأننا كنا نرتب دوريات مستمرة لأفرادنا بهدف التعرف على الأرض ومتابعة الأحداث عن كثب .

كنا ننوى الوصول إلى مركز "محمد أغا" وهو الأقرب إلى حدود محافظة كابول . غادرنا "كلنجار" ووصلنا إلى مضيق تنكى . على حافته الغربية أقامت مجموعة من العرب المناصرين لحكمتيار معسكرا جديدا على عجل سيكون له فى الفترة القادمة دورا ملموساً فى الحرب حول كابول وأسموه اليرموك، وقام على تمويلة وقيادته عرب قادمون من الولايات المتحدة. كان الرافد العربى الأهم فى دعم حكمتيار هم

جماعة أبومعاذ الخوستى (أبوالحارث سابقا) فقد كانوا أكثر خبرة قتالية . قمنا بزيارة قصيرة لمعسكر اليرموك الذى كان فى بدايته المبكرة.

ما أن صرنا على الطريق العام حتى سمعنا صوت طائرات . إنها الطائرات الأفغانية ذات اللون الفضى. ظننا أنها لن تقصفنا بعد أن أصبحت "طائرتنا". وصاح أبوالحارث بصوته الجهورى وهو يلوح لها بيديه (**طيران إسلام .. طيران إسلام**).

وسريعا جاءه الرد: سلسلة من القنابل الثقيلة. إثنتان قريبتان منا جدا ، سقطت الأولى على الأرض الزراعية الغارقة بمياه قنوات الرى المحطمة ، فغطتنا بالطين والأحجار. كان عندى وقت حتى أقذف بنفسى تحت شاحنة متوقفة إلى جانب الطريق. القنبلة الثانية أكثر قربا منا ، ولكن موقفى كان أفضل وكذلك معظم الباقين ماعدا الكومندان خواناى الذى أصبح تمثالا من الطين. فوقف بعدها يسب ويلعن، بالصوت الأعلى، مسعود ودوستم وباقى أقاربهما من الأعلى والأسفل. سقطت قنابل آخرى قريبة من مركز العرب ولكن بلا إصابات .

 حكمتيار يوجه الرسائل بالاسلكى إلى قواته فى كابول : تقدموا.. قاتلوا حتى ترتفع رايات الحزب الخضراء فوق كل كابول .

ومع هذا فأخبار كابول تفيد بإستيلاء غريمه مسعود على كل ما هو مهم فيها، ولم يتبقى لحكمتيار سوى الفتتات ، يقال أن من بينها وزارة الداخلية والضباط البشتون فيها. فريق الضباط البشتون المنضمين إلى حكمتيار يشمل أسلم وطنجار بطل الإنقلاب الشيوعى عام ١٩٧٨ ، والجنرال شاه نواز تاناى رئيس الأركان السابق وبطل الإنقلاب المنتظر الذى فشل عام ١٩٩٠. **(راجع كتاب المطار٩٠) .**

لقد إجتمع حول حكمتيار أقطاب التآمر التاريخى فى أفغانستان وعزز ذلك نزعته التآمرية الإنقلابية التى لم تنجح ولو لمرة واحدة فى تاريخه. فرتب مع الإنقلابيين الشيوعيين السابقين مؤامرة جديدة للإستيلاء على كابول ولكنه فشل كالعادة .

*****

ماذا تريدون من العرب؟؟

 سألت حقانى اليوم : الآن إنتهى الجهاد فى أفغانستان والعرب هنا حائرون فماذا تريدون منهم فى المرحلة القادمة ؟ .

فقال حقانى:

أريد من العرب أن يأتوا هنا ويبنوا البيوت ويستقروا ويجعلوا أفغانستان قاعدة للفتوحات كما كان يفعل الصحابة الكرام بأن جعلوا من كل بلد فتحوها قاعدة لما بعدها من فتوحات . وليس فى مقدور حكومة خارجية أن تعترض علينا ، فليس لدينا حكومة أوسفارات . وسوف نطالب أى حكومة قادمة فى كابول كشرط لقبولنا إياها أن تمنح العرب الذين جاهدوا معنا أو ساندونا بالمال حق المواطنة الكاملة كفاتحين للبلاد وهذه سنة الصحابة ورسولنا الكريم صلى ا عليه وسلم

يستحق هذا الكلام الكثير من التأمل والتعليق عليه:

- كانت تلك هى المرة الأولى والأخيرة التى أسمع فيها من مسئول أفغانى، مسألة توطين المجاهدين العرب فى أفغانستان ،لابصفة فاتحين كما يقول حقانى، ولا بصفة لاجئين مطاردين غير مرغوب فيهم عالميا ولا فى أوطانهم.
- كانت كابول وقتها خالية من أى حكومة. وبالفعل لاتستطيع حكومة فى العالم، لافى ذلك الوقت ولا الآن، أن تتحمل مسئولية إيواء مجاهدين تطالب أمريكا بإبادتهم وتدفع حكوماتهم إلى مطاردتهم والمطالبة بهم أينما كانوا، ولا تطيق إسرائيل العيش معهم فى منطقة نفوذها الممتدة من المحيط إلى الخليج، إلا إذا ضمنت لهم إقامة دائمة فى زنازين التعذيب أو فى المقابر.

- كان من أوائل أعمال مجددى كرئيس فى كابول ، وأعمال أحمد شاة مسعود كحاكم حقيقى لكابول ، يمتلك كل ماتبقى من قواها المسلحة والأمنية، كان شن حملات بحث وإعتقال للعرب المتواجدين فى العاصمة.

وفود أمنية عربية فى مقدمتها مصر، كانت طلائع حركت تلك الحملات. ولم تكن أى جماعة إسلامية قد رفعت السلاح فى بلدانها بعد، بل كانوا تحت ضغوط أمنية لاترحم بهدف إجبارهم على حمل السلاح دفاعا عن النفس فى توقيت وظرف تتيح للأنظمة سحق هؤلاء الشباب بذريعة مكافحة الإرهاب. وكان بعض تلك الأنظمة تشن عمليات قتل فى الشارع، بلا إعتقال أو محاكمات أو قانون.

نفذ الصبر فأضطرت تلك الجماعات إلى حمل السلاح. وسريعا ماصعدت الأنظمة المصادمات إلى حرب إستئصالية شاملة، برعاية وتوجيه أمريكى إسرائيلى.

فلا مكان فى العالم العربى كله لمجاهدين منتصرين. فالجهاد ممنوع لأنه يهدد وجود إسرائيل، والإنتصار أشد منعا لأنه يعطى الأمل والثقة للمسلمين بينما المطلوب هو اليأس والإستسلام والضياع.

<u>الإنتصار فى أفغانستان لم يكن عاديا، بل كان ضد قوة عظمى كانت هى الأقوى بريا على طول التاريخ. فكان لابد من إبادة تلك الكائنات البشرية التى تحمل "الجراثيم القاتلة" لتجربة الجهاد.. وتجربة الإنتصار.</u>

وإذا كان ا قد أمر عباده بالجهاد ووعدهم بالنصر. فما أسهل التغلب على ذلك فقط بمجرد إستبدال المصطلحات. فأسمت أمريكا الجهاد إرهابا، وتابعت مع حكومات الردة إستئصال وإبادة المجاهدين تحت شعار مكافحة الإرهاب. والغطاء الشرعى جاهز من ماكينة الإفتاء فى مباحث قمع الدولة، وعصابة المفتين الجدد الذين قالوا بأن الإسلام حرم الإرهاب "الجهاد".

وهكذا ببراعة وخفة يد، تم تحريم وتجريم واحد من أعمدة الدين والفرائض الأساسية فيه. بمجرد تغيير الإسم، ومجرد عدة فتاوى معولمة، ومجرد قتل عدة ألاف من الشباب وإعتقال عشرات الآلاف الآخرين إلى أبد الآبدين.

□ كان العرب فى أغلبهم لايرحبون بالبقاء فى أفغانستان ـ بإستثناء النادر منهم ـ وكانوا لا يتصورون أن متابعتهم آمنيا هى مسألة جدية، بل تصوروا أنها مجرد عملية تطفيش من منطقة لا يرغبون هم فى البقاء بها أصلا .

أغلبهم كان يرغب فى العودة إلى طبيعة حياته الأولى ، فى وطنه الأصلى. والذين طردوا من أوطانهم بواسطة أنظمة وحشية ، يرون أن الغرب الإنسانى والديمقراطى سيفتح لهم ذراعيه ليحتضنهم .

والأشد تمسكا مذهبيا ، لا يرغبون بأى شكل أن يتجاوروا فى وطن واحد مع أصناف المتصوفين . ويفضلون على ذلك إما اللجؤ إلى الغرب (الصليبى الكافر كما يصفونه) أو إلى المملكة الأم فى السعودية لمجاورة علماء العقيدة السلفية الصحيحة .

□ أغلب من جاء إلى أفغانستان جاء إليها وانصرف منها بشكل فردى تماما ، غير مدركين خطورة العمل الذى يقومون بها ولا الدور الذى أدوه فى أفغانستان.

كان عليهم أن يواجهوا كأفراد حملة دولية تصنفهم مجرمين دوليين، وتعاملهم على هذا الأساس . وهو ما لم يدر فى خلدهم يوما ولا كان يمكنهم تخيله .

لذا عندما تم تحذير هؤلاء ، ظنوا الأمر مزحة أو مبالغة سخيفة من عقليات مريضة ، وما كان لهم أن يوافقوا على أن يعيشوا فى أفغانستان التى عادت بعد الحرب إلى العصور الأولى للبشرية ، وهم الذين ينتمون إلى مجتمعات ـ يزمعون العودة إليها ـ تعيش على أعتاب القرن الماضى.

فى الحقيقة لم يكن هناك أى أرضية للعيش السوى فى أفغانستان بالنسبة لأهلها وبشكل أشد بالنسبة للعرب . فلا فرص عمل ولا خدمات طبية ولا تعليم ، ولا كهرباء أو ماء أو .. أى شيئ .

ولكن لم يتصوروا أن هناك ما هو أسوأ من كل ذلك .. أنه " الأنظمة العربية " وهى إصطلاح يعنى التعذيب والمعتقلات والمحاكم الإستثنائية وإهدار الإنسانية ، وإرهاب الدولة والتجويع والتهميش والتدمير النفسى والمعنوى .. وحتى التصفية الجسدية .. أليست أفغانستان ـ التى وصفها بعضهم بأنها مجرد خرابة ـ هى أهون من أنظمة بدائية متوحشة تحكم بلادنا بالقمع والتعذيب؟؟.

 فى عهد طالبان عاد العرب إلى أفغانستان وهم ثلاثة أصناف وثلاثة دوافع مختلفة:

ـ التيار الأول والأهم كان تيار "بن لادن" الذى قررت أمريكا إعادته إلى أفغانستان طبقا لحساباتها الدولية .(**راجع كتاب صليب فى سماء قندهار**) .

ـ والتيار الثانى كانوا المطلوبون أمنيا فى بلادهم. بعضهم بذريعة إنتمائهم لجماعات جهادية وقد كانوا كذلك بالفعل، وجزء لمجرد رغبة النظام فى إعتقاله لأسباب مجهولة حتى لدى النظام نفسه. وكان المصريون هم الأغلبية من بين هؤلاء يليهم شباب الشمال الأفريقى كله، وقليل من الأردنيين والسعوديين واليمنيين .

ـ التيار الثالث هو تيار جذبهم الأمل بقيام دولة إسلامية فى أفغانستان تحقق أحلامهم فى الحياة وتقى أسرهم وأطفالهم من جحيم الإنحلال الغربى . وأكثر هؤلاء جاءوا من دول أوربية. وهؤلاء ليس لديهم أى مشاكل أمنية من أى نوع ، ولا أى إنتماء حزبى أو تنظيمى. كان يحركهم فقط الحلم والأمل .((وجدوا أنفسهم وأهليهم وأطفالهم يطاردون ويذبحون ويعتقلون بتهمة الإرهاب الدولى . التى شملت كل كائن حى على أرض أفغانستان ، ولم يكن مواليا لأمريكا و مرحبا بجيوشها الغازية .)) .

هؤلاء جميعا، من الأصناف الثلاث، لم يطلبوا قط أن "يتمتعوا" بالجنسية الأفغانية ولا هم طلبوا ذلك . ولا طالبان فكرت فى ذلك أيضا .

وأيضا لم يفكروا فى مجرد التصرف " الإستيطانى" طويل المدى فى تلك البلاد . بل ظلوا متحفزين كأنهم عائدون غدا إلى بلادهم .

وبالتالى لم يفكوا للحظة فى مصالح أفغانستان حتى على المدى القريب، فيما عدا ما قام به قطاع منهم من القتال إلى جانب طالبان ضد مناوئيهم من تحالف الشمال "التحالف الإسلامى لتحرير(!!) أفغانستان " الذى إتضح زيفة وخطورته على أفغانستان وعلى أمنهم المباشر إذ أعلن أقطاب ذلك التحالف عزمهم إقتلاع العرب من أفغانستان وتسليمهم إلى حكوماتهم ، فى وقت لم يكن قد خطر فى ذهن العرب مجرد رفع السلاح والقتال مرة أخرى فى أفغانستان .

وكان أسامة بن لادن أول من وصله ذلك التهديد على لسان برهان الدين ربانى فى إجتماع وزارى عقد فى كابول بعد عودته إلى جلال آباد بعدة أيام فقط .

 حتى أسامة بن لادن فى عودته إلى أفغانستان التى سبقت سيطرة طالبان على كابول بأشهر قليلة ـ عاد بنفسيه الحاكم وليس بنفسية المواطن أو اللاجئ السياسى . وتصوف من موقع "أمير المؤمنين العربى" ، والموازى " لأمير المؤمنين الأفغانى" أى الملا محمد عمر حاكم البلاد .

 وحتى خارج أى إطار قانونى رسمى ، كان الملا محمد عمر يرغب فى إعطاء العرب دورا رياديا فى أفغانستان على المستوى الثقافى والدينى والإقتصادى .

ولولا الحاجز السلفى لتمكن العرب من تغيير خريطة ذلك البلد الذى هو مفتاح آسيا كلها بل والعالم ((**بدليل أن أمريكا فى حملتها المسلحة لإرعاب العالم وإخضاعه بدأت بأفغانستان قبل أى مكان آخر لتطبيق نظريات المحافظين الجدد فى إختطاف الكرة الأرضية والسيطرة على سكانها بمنطق ثوراتى صرف)).** ومرة أخرى أكرر أن عرب أفغانستان لوكانو منذ البداية أحنافاً لتغير تاريخ العالم ـ ولكن من سؤ حظ أفغانستان والعرب والمسلمين كافة أن يتحول الجهاد إلى رهينة فى أيدى الإجتهاد السلفى المناقض للمدارس السنية والمحارب العنيد لكل مذاهبها .

ولن يخرج التطبيق العملى للجهاد من أزمته الحالية إلا بإعادته إلى إجتهاد إسلامى صحيح، إجتهاد حقيقى يقوم به علماء عاملون مؤهلون، وليس مجرد نقل للفتاوى من الكتب القديمة يقوم به كل عابر سبيل ـ وهذا موضع لبحث آخر .

□أما أن تكون أفغانستان قاعدة للفتوحات ، فهذا آخر ماكان يفكر فيه العرب ، أول ماقاومه حكومة كابول (الجهادية) .

كل الشعوب التى كانت تحت النير السوفيتى إستعادت حرياتها بفضل جهاد المسلمين فى أفغانستان. وأوروبا المسيحية إحتضنت إخوانها الأوروبين المحررين ودعمتهم إقتصاديا وسياسيا لإعادة تأهليهم بما يليق "بالرجل الأبيض المسيحى".أما المسلمين الذين إنزاح عنهم الكابوس الشيوعى،فقد جثم على صدورهم فورا الكابوس الأمريكى مستخدما كافة الوسائل بما فيها الحكام الشيوعيين السابقين كما حدث فى جمهوريات آسيا الوسطى الخمسة.

وبينما إستعاد الأوروبيون حريتهم بسلاسة ونعومة، واجه المسلمون الدبابات والطائرات والتآمر الدولى. ومقاومتهم وصمت بالإرهاب والتطرف الذى أصبح دينه الإسلام ، فلا تذكر تلك الصفات القبيحة إلى ذيلت بصفة الإسلام .

حتى المسلمين من أصول أوروبية فى البوسنة لاقوا نفس المصير، وتم ذبحهم على الطريقة الأمريكية على أيدى إخوانهم فى الوطن من النصارى وعلى أيدى قوات الأمم المتحدة التى كان يديرها آنذاك ثنائى المذابح فى أفريقيا والبوسنة: بطرس غالى "الأمين العام"، وكوفى عنان "مدير عمليات حفظ السلام!!" بالمنظمة، والأمين العام اللاحق لها .

□ بدأنا فى نهاية ذلك العام "برنامج مشروع طاجيكستان" لدعم المجاهدين الطاجيك الذين أعلنو الجهاد للتخلص من حكامهم الشيوعيين، الذين غيروا لون الطلاء على وجوهم وأصبحوا "ديموقراطيين" حسب موضة العصر الأمريكى القبيح. ولاقوا المساندة والدعم من روسيا وأمريكا والإتحاد الأوروبى فى آن واحد ضد الشعب

الطاجيكى المسلم الذى يبحث عن نسمة هواء بعد هذا الخنق السوفيتى الطويل، فوجد أنه مصنف دوليا ضمن فئة الإرهابيين .

وتحركت ضده نفس المنظومة الإقليمية التى تحركت لوأد النجاح الإسلامى فى أفغانستان ، إضافة إلى "الحكومة الإسلامية" الجديدة فى كابول، وكان يرأسها برهان الدين ربانى، الطاجيكى الأصل ، والذى تجمعه مع حزب النهضة الطاجيكى الذى كان "يمارس " الجهاد وقتها ، جذور إخوانية واحدة .

*****

<u>السباق نحو كابول: أكاذيب/ قتال/ تآمر</u>

□ أسفل مضيق طيرة بقليل هناك هضبة قليلة الإرتفاع فوقها حصن منيع كثير الخنادق وبه حفر تحت الأرض حصينة. كان يتحكم بشكل أفضل فى ذلك الجزء من الطريق المنحدر إلى الأسفل .

ولتغطية الزوايا الميتة "المخفية" ، حفروا خندقا مسقوفا على حافة الطريق من جهة الهاوية . وكان مناسبا لرشاش خفيف أو متوسط وكان موضعه ممتازا ولا يمكن إكتشافة الا إذا بدأ الإشتباك بالفعل .

تحت الحصن وإلى جانب الطريق شاهدنا حوالى عشرة قذائف لهاون ثقيل بعضها مزود بصاعق للتفجير . يبدوا أن جامعى الغنائم من هذا الحصن لم يجدوا مكانا لها فتركوها لوقت آخر. ظلت تلك القذائف هكذا لعدة أيام إلى أن تعطف أحدهم وأخذها!!.

أقل من هذا العدد ، من مثل هذا النوع قامت عليه معركة كبيرة تم التجهيز لها أياما وشارك فيها عدد كبير من المجاهدين، واستخدم فيها العدو المدافع والطائرات. كان ذلك فى جرديز عام ١٩٨١ ."**أنظر كتاب ١٥ طلقة فى سبيل ا** "

□ وصلنا إلى مدينة "بولى علم"، الزحام شديد والأسعار مشتعلة . فى أحد الفنادق المطلة على الطريق وجدنا الجنرالين، صافى وصلح أمل ، المستشار العسكرى السابق للرئيس نجيب الذى أسر فى عمليات فتح خوست . كان صلح أمل يحمل

رشاشا قصيرا من طراز غربى، يبدو أنه كان هدية له من حقانى لقاء تعاونه الكبير فى معارك جرديز الأولى ، وربما أيضا المفاوضات الأخيرة للتسليم . فقد كان يتوسط كى يتوقف جنرالات جرديز عن الحرب ، وقد كان أعلى رتبة منهم جميعا وأقرب إلى رأس السلطة فى كابول .

أخبرنى الجنرال صافى أنه تم أختيار مجددى رئيسا للدولة وحكمتيار نائبا له . وفى المساء تتابعت أخبار الإذاعات عن تشكيل حكومة من أحزاب بشاور .

السبت ٢٥ إبريل ١٩٩٢

أشعر بحزن شديد من التشكيل الحكومى الجديد فى بشاور والتى أسميتها حكومة بطرس غالى "الموجود وقتها فى أسلام آباد" . أخبار بأن رئيس وزراء باكستان نواز شريف بذل مجهودا كبيرا فى تشكيل تلك الحكومة. المفارقة هى أن المجاهدين قد وصلوا إلى أطراف كابول بينما تركوا أمر حكومتهم كى تشكلها لهم عناصر غربية فى بشاور .

□ هناك إشتباكات بين مسعود وحكمتيار. الأول يستخدم الطائرات فى القصف وحكمتيار يتبع أسلوب غريبا كانت نتائجه عليه سيئة جدا. كان يذيع على أجهزة اللاسلكى عنده وعبر بيانات للأعلام بأنواعه عن معلومات مختلقة تماما عن تقدم على الأرض، وإنجازات ومعارك لا أصل لها فى الواقع . كان ذلك ديدنه طوال حياته الجهادية ، ولكن ليس إلى هذه الدرجة التى نشاهدها الآن . خاصة أنه يتكلم عن العاصمة وما حولها وليس عن مناطق نائية لا يصلها أحد. لذا فسرعان ما تبين زيف إدعاءاته، وبسرعة إنهارت هيبته ومصداقيته داخليا وخارجيا .

□ اليوم أخبار اللاسلكى من طرف حكمتيار تتكلم عن تقدم للحزب فى أهم منشآت كابول مثل وزارة الدفاع ودار الأمان . وتكلم أيضا عن إشتباكات عنيفة مع قوات مسعود التى تساندها الطائرات. حكمتيار هدد بقصف المطارات حتى يمنع الغارات ضد قواته، وأيضا لمنع حكومة مجددى من الوصول إلى كابول عن طريق الجو.

راديو لندن شكك فى جدية تلك التهديدات لعدم قدرة حكمتيار على تنفيذها .
أخبار بشاور تقول أن حكومة مجددى مكونة من خمسة عشر وزيرا وأن مدة رئاسته للدولة هى شهر واحد (!!) يعقبه بعدها برهان الدين ربانى لمدة أربعة أشهر ، ثم تأتى إنتخابات لإختيار مجلس شورى .. الخ .

□ إستسلمت كابول تماما هذه الليلة،علمنا ذلك فى صباح الغد، وبهذا يكون تسلسل تساقط المدن الرئيسية قد تم كالتالى: إستسلمت جرديز، وبعدها بثلاثة أيام إستسلمت جلال آباد، وبعد ذلك بيومين إستسلمت كابول .

ذهبنا ليلا إلى مركز الدبابات فى جرديز لمقابلة حقانى ، كان فى جلسة شورى موسعة ومعه مولوى نظام الدين والجنرال صافى. بعد ذلك هناك إجتماع آخر مع جنرالات جرديز المستسلمين . فأخذنا منه موعدا للغد .

<u>الأحد ٢٦ إبريل ١٩٩٢</u>

فى الثامنة والنصف صباحاً جلسنا مع حقانى فى غرفته فى مركز الدبابات.

قال حقانى يصف ما حدث فى كابول :

إستسلمت معظم كابول بالإختيار لأحمد شاه مسعود ، فدخل المدينة وإستولى على الأماكن الهامة بما فيها البنك المركزى ووزارة الخارجية ودار الأمان ، والفرق العسكرية ومقار الميليشيات .

ـ أما عن حكمتيار فإنه كان قد رتب مؤامرة مع وزارة الداخلية (علمنا فيما بعد أنها كانت مع الجنرال رفيع وزير الداخلية الذى جاءه فى طائرة هيلوكبتر وقابله فى لوجر ورتبا معا برنامجا مشتركا للإستيلاء على كابول لصالح "البشتون" قبل أن يستولى عليها "الفرسوان" !! .

{{ هكذا كان يفكر شيوعيو كابول وهكذا كان يفكر الأصولى الأكبر فى تنظيمات بشاور الجهادية "حكمتيار" والقائد الميدانى الأشهر مسعود .كانت المؤامرة تقضى بتسريب حكمتيار لأعداد كبيرة

من رجاله إلى كابول بدون سلاح ، وهناك تزودهم وزارة الداخلية بأسلحة خفيفة وأعلام الحزب لتعليقها فوق المقار الرسمية والعسكرية والإعلان عن إستسلام كابول لحزب الإسلامى حكمتيار}}
وقد تم ذلك بالفعل ولكن لم يكن عسيرا على أحمد شاه مسعود التخلص بسرعة من هؤلاء المهرجين .

وعندما أذاع الحزب عن سقوط المواقع الحيوية فى العاصمة بين يديه كان قد تم بالفعل طرده من كل مكان . فأخذ الحزب يذيع بيانات كاذبة عن تقدمات وهمية لقواته فى كابول وأخذت أجهزة اللاسلكى توجه أوامر حكمتيار لقواته فى كابول بالتقدم الوهمى من مكان إلى آخر ، فى حين لم يكن له قوات على الأرض فى تلك الأماكن حسب ما أفاد القادة الميدانيون حول كابول .

 فى إجتماع حقانى مع قيادات لوجر إتفقوا على البقاء على الحياد مع تحذير الطرفين حكمتيار ومسعود بأن القادة الميدانيين سوف يتدخلون ضد من يبدأ القتال ويفتح حمام الدم بين المسلمين يجعلهم ألعوبة فى يد الدول الخارجية .

الإثنين ٢٧ إبريل ١٩٩٢

راديو طهران تكلم صباحا عن قتال لمدة ساعتين فى القصر الجمهورى بين قوات مسعود وقوات حكمتيار إنتهت بإنتصار الأول . وصوت أمريكا سعيد بهزيمة الزعيم الأصولى مقابل الزعيم " المعتدل ".

بين جماعتنا من العرب دارت تعليقات أنقل بعضها من مذكرتى لذلك اليوم:

 كنا نتكلم عن أن "دوستم" هو الذى أمر الطيران بقصف جماعة حكمتيار حتى يقطع خيوط مسعود مع باقى المجاهدين فيقع أسيرا فى أيدى تحالف يتسيده "دوستم" الذى يسيطر على المليشيات، والأقرب إلى القوات الشيوعية المتحالفة معهم.

 كلا الشخصين مسعود وحكمتيار طموح حتى الموت للحكم . كلاهما صعد نجمه بطريق إنتهازى مختلف. مسعود مقاتل بدأ بالصعود من أول السلم بمجهود ومثابرة وتحالفات بداية من فرنسا وصولا والروس ثم دوستم والجيش، وأحيانا نظام كابول .

أما حكمتيار فتحالف مع باكستان ووضع نفسه فى خدمة إستخباراتها (isi) ، ثم تحالف مع الجنرالات شاه نواز تاناى وأسلم وطنجار وضباط وزارة الداخلية فى كابول وعلى رأسهم الجنرال "رفيع" . لكن مسعود وصل بسرعة نتيجة لذكاء نظام كابول فى إختيار الطرف الذى يستسلم له . فقد أختاروا التسليم لمسعود و"الفرسوان " لعلمهم أن البشتون وهم أغلبية السكان لم يقبلوا بحكم الفرسوان لهم ، وستنشب لذلك الحرب بين المسلمين على أساس عرقى، بشتون/ فرسوان .

أما حكمتيار فإن طابعة المغامر يدفعه إلى التركيز على الضربة الخاطفة فى الوقت الحرج ، حتى يخطف من الآخرين ناتج عملهم وجهادهم . وهكذا سحب قواته من معظم المناطق وركزها حول كابول حتى يخطفها قبل مسعود والآخرين ، ونسى أن أفغانستان الأن لا يمكن أن يحكمها أى إنقلاب أو أن تأخذ خطفا ، لأن الجميع قوى جدا ومتأهب ، والعاصمة لا تحكم سوى نفسها .. وبصعوبة .

 يبدو أن مسعود قد أحكم قبضته على العاصمة إلى حد كبير . وبهذا تكون آمال حكمتيار قد تبخرت تقريبا ، خاصة إذا تكرس الوضع القائم اليوم فى كابول .

ـ حكتيار يزداد عزلة برفضه حكومة بشاور وإصراره الهستيرى والفاشى على رفع "الرايات الخضراء" على كل كابول .

ـ برهان الدين ربانى أصدر اليوم بيانا بأن مسعود أحكم قبضته على كابول وأن أى تحرك معاكس سوف يجابه بالقوة .

ـ أمس أعلنت جماعة حكمتيار سيطرتها على مدينة جرديز(!!) وأشاعوا أنهم إعتقلوا عبد الرشيد دوستم. إنها سلسلة آخرى من الأكاذيب التى تبثها جماعات حكمتيار .

<u>الثلاثاء ٢٨ إبريل ١٩٩٢</u>

تحركنا صباحا من جرديز متوجهين إلى "لوجر" فى رحلة أصبحت روتينا يوميا . الهدف هو متابعة الأحداث المتلاحقة فى كابول . ومواقف الأطراف المختلفة منها ، خاصة حقانى ومن حوله من قيادات فى لوجر .

هناك منطقة زراعية تعقد فيها جلسات الشورى ، إلى جوارها مبان حكومية تستخدم كإستراحات للوفود. قابلنا هناك الجنرال صافى الذى قدم لنا موجزا بآخر التطورات جاء فيه :

بعد نصف ساعة من الحديث اللاسلكى بين مسعود وحقانى، قال مسعود :

ـ أوافق على وقف إطلاق النار ولكن حكمتيار يحشد قواته فهل إذا خرق الهدنة تقفون إلى جانبى ؟ .

فأجابه حقانى: نحن لا نقف مع أحد قبل أن تجلس مع حكمتيار وتوقعان إتفاقا مكتوبا نشهد عليه جميعا ، ومن خرج عنه سيقف كل العلماء والقادة ضده .

قال مسعود: سأتصل مع الأستاذ ربانى وأتشاور معه وأحدد معكم موعداً ومكانا للمقابلة ولكن لا أستطيع الاتصال به حاليا .

(**تعليق** : كان واضحا أن مسعود يماطل . فهو لا يشاور أحد فى قرارته الحيوية ، لا ربانى رئيس التنظيم الذى يتبعه شكليا ، ولا حتى مجلس الشورى ، الذى كعادة مجالس الشورى "الإسلامية" يفعل ما يقرره الزعيم مع إبداء ملاحظات تجميلية) .

□□□□□

حكمتيار موجود فى لوجر على مقربة من مكان شورى القادة الميانيين وقد أعلن لهم رفضه لحكومة مجددى ، ولصلاحيات مسعود فى كابول ، ولكنه يوافق على وقف إطلاق النار .

(**تعليق** : وافق فقط على ما فيه مصلحته بصفته المهزوم فى معارك كابول)

□ القادة الميدانيون قرب كابول يقولون أن ضحايا القتال فى كابول يفوق الحصر والمهاجرون جيوش جرارة .

□ مجددى فى بيان إذاعى يعلن إعطاء الأمان لحكمتيار عند وصوله كابول .

(**تعليق** : لم يكن لمجددى أى قدرة على إصدار أى أمر. ومازال هو شخصيا فى بيشاور بينما كابول يسيطر عليها مسعود ودوستم وقوات الدفاع عن كابول التابعة للجيش) .

وصل حقانى ونحن فى إنتظاره ، فبادرنا معاتبا أياناا فى مرح على ذهابنا بالأمس إلى " محمد أغا" حيث قصفتنا الطائرات . وقال ضاحكا : إذا قتلتم فى ذلك اليوم فلستم بشهداء . لماذا ذهبتم ؟. إذا كثرتم سواد أحدهم فإنكم منهم .

□ □ □ □ □

بعد تناول طعام الغداء، توجه حقانى إلى جهاز اللاسلكى لمواصلة إتصالاته ومعظمها مع مسعود فى كابول ، وبعضها مع قيادات بشاور.

□ ذهبنا نستطلع آراء مولوى نظام الدين فيما يجرى من أحداث ، وهو الذى يجهر دوما بوجهات نظر لا يجرؤ غيره على قولها علنا . معبرا عن بعض آرائه تلك قال نظام الدين :

ـ مسعود وحكمتيار كشفا عن معدنهم الحقيقى الذى كنا نعلمه سابقا ولكن الحقيقة الآن واضحة للناس جميعا .

ـ الزعماء السبعة "قادة الأحزاب " مرفوضون ولن نضعهم فى مناصب. فهم خانوا الأمانة فى المال والسلاح والإتصال مع الدول الأجنبية ، وسوف نلغى الأحزاب لأنها مدخل للأجانب وسبب لإنقسام المسلمين .

ـ سوف نحل النزاع القائم فى كابول بالطرق الإسلامية، وعلى كل طرف أن يستبعد الشيوعيين من صفوفه .

ـ إشتباكات كابول بين مسعود وحكمتيار كانت لأجل الكرسى والجاه وليس لأجل الإسلام .

ـ تلك الإشتباكات أظهرت للجميع الضعف العسكرى لحكمتيار على عكس ما كان يدعى .

ـ لن ندخل الغربيين إلى بلادنا ولن نبادلهم فتح السفارات .

ـ سنقيم مجلسا للمشاورة والمناصحة مع الدول الإسلامية.

ـ لست اللآن واليا على خوست، بل لدينا مجلس شورى ولا نستطيع إقامة حكومة ، فليس لدينا أموال للموظفين ، ومن يعمل معنا حاليا يكون متبرعاً لفترة محدودة ، وهذا يعرقل عملنا .

ـ سنعمل على إلغاء الأحزاب فى الولايات الجنوبية الخمس أولا .

□ □ □ □ □

□ قبل الظهر وصل مجددى إلى بولى شرخى "شرق كابول". وكان الجنرال أعظمى فى أستقباله. يرافق مجددى قافلة هائلة من السيارات حركتها باكستان معه وتضم حرسه الخاص ويتراوح بين مئة إلى مئتين شخص ، ثم هناك مئات السيارات تحمل آلاف الأشخاص بإهتمامات متنوعة ، منهم المخبرين الباكستانين ومنهم صحفيون ، وأتباع جماعات إسلامية خاصة الجماعة الإسلامية التى إعتبرت نفسها من المنتصرين فى تلك الحرب. وكان هناك القليل من العرب المتحمسين جاءوا بدافع الفضول .

□ وكنت قد نصحت حقانى بأن يتكاتف القادة الميدانيون فى منع مجددى وأفراد حكومته من دخول كابول. وقلت له أنه من المفروض الآن إلقاء القبض على مجددى وقادة الأحزاب كلهم .

فضحك حقانى : أنت تريدنا أن نقتلهم .

فقلت بحنق: أقل شيئ أن تضعوهم فى السجن. وإلا فإن أفغانستان وأنتم ستدفعون الثمن غاليا .

ضحك حقانى ولم يعلق .

□ إختطف أحدهم مسدس زميلنا صالح إلهامى فى أحد دكاكين كلنجار . أثرنا ضجة لإستعادته. و المساعى مستمرة .

الأربعاء ٢٩ إبريل ١٩٩٢

صبغة ا مجددى الرئيس الجديد لدولة أفغانستان التى عادت (إسلامية!!) يعلن فى إذاعة كابول العفو الشامل عن أركان الحكم الشيوعى السابق (!!) ويدعو الضباط والموظفين العودة لممارسة أعمالهم كالمعتاد . كما وجه الشكر إلى أمريكا والسعودية وباكستان وصدر الدين آغا خان (!!) ـ زعيم الطائفة الإسماعيلية ـ وبطرس غالى السكرتير العام للأمم المتحدة لمساعدتهم "للجهاد!!" الأفغانى .

[**تعليق** : قد نفهم مغزى تقديم مجددى شكره لأمريكا والسعودية وباكستان ولكن لماذا تقديم الشكر لصدر الدين أغاخان ، أوبطرس غالى؟؟ . أليس فى ذلك إسرافا فى تقديم التشكرات ؟] .

 باكستان تعلن إعترافها بالحكومة الجديدة ـ وإيران ترسل معونات غذائية إلى مزار شريف. (لماذا ليس إلى كابول؟؟)

 جلست مع مجموعتنا العربية نتبادل الأحاديث الغاضبة حول مجددى وحكومته . تحدثنا عن ضرورة الجهاد ضد ذلك الأحمق الذى تولى الحكم. وفضح نفسه من بيانه الأول ، لم يكن عندى شك أن القتال سوف ينشب لفتح كابول مرة آخرى.

(بالفعل فتحها طالبان فى اكتوبر ١٩٩٦ حتى أغلقها الأمريكان مرة أخرى فى حرب٢٠٠١)

قابلنا حقانى آخرى بعد أن أجرى إتصالاته على المخابرة. فقال تعليقا على ما يجرى:

 لقد أقام مجددى حكما مشتركا مع الشيوعيين فى كابول. وقد وافق حكمتيار على ما يجرى بلا قيد أوشرط . وأعلن ذلك ممثله فى كابول ورئيس اللجنة السياسية للحزب الإسلامى فى بيشاور .

لقد سألتهم فى الحزب الإسلامى : لماذا قاتلتم فى كابول وقتلتم الآلاف هناك ؟، لقد صعدنا الموقف مع مسعود من أجل إستبعاد الميليشيات والشيوعيين، فقال مسعود لنا أن تلك هى مطالب حكمتيار فرددنا عليه أنها مطالب الشرع ومطالب الجميع هنا. وبعد ذلك توافقون أنتم فجأة بلا قيد أو شرط أو مشورة معنا .

أما سياف فهو موافق على ما يحدث وأعلن ذلك بلا مواربة .

منصب رئيس الوزراء تم إعطائه لحزب إسلامى حكمتيار الذى إختار من بين مساعديه "الاستاذ فريد " كى يتولى المنصب .

راديو لندن سأل قادة من الحزب الإسلامى عن العلاقة التى ستكون بين الأستاذ فريد كرئيس للوزراء فى الحزب الإسلامى ، وبين احمد شاه مسعود الرجل الأقوى فى كابول وهو من الجمعية الإسلامية ، والقتال كان دائرا بينهم حتى وقت قريب .

فكان الرد : إن الرجلان هما من قومية الطاجيك وسوف لن يختلفا (!!) .

(**تعليق** : نلاحظ الآن الأحزاب الجهادية وقادتها الكبار يسارعون فى التحالف مع الشيوعيين ، وتصنيف الناس حسب عرقياتهم ـ وكل ذلك كان من أشد المحرمات التى كانوا يجرمونها فى سنوات الجهاد) .

 فى بداية اللقاء سألت حقانى: متى تبداون الجهاد؟؟ فقد توافرت شرائطه، فحكومة مجددى منافقة ويجب قتالها.

اكنه لم يتحمس للكلام فى الموضوع وسحبنى من يدى بعيدا عن المجلس. كانت معنوياته منخفضة كأكثر ما رأيت. قال لى بأن مجلس الشورى الجديد فى كابول والمكون من خمسين شخصا، هو واحد منهم ولكنه لم يذهب. ولكنه قد يذهب إلى كابول لمقابلة مسعود. ثم غادرنى متوجها إلى جهاز المخابرة لمحادثة قطب الدين هلال، من حزب إسلامى حكمتيار.

وهم الإصلاح من الداخل

فى أحد المبانى الحكومية فى مدينة "بولى علم" ـ لوجر ـ قابلت الجنرال صافى. وكان يجلس وحيدا فى إنتظار تطورات كابول، والإتصالات اللاسلكية الدائرة بين جميع الأطراف. أخذ الجنرال يحدثنى عن مسيرته السياسية.

قال أنه عمل مع "السيد أحد جيلانى" لمدة أحد عشر عاما مديرا للأمن، ثم ثمان سنوات فى مجال التدريب العسكرى. وقال أنه ترك العمل معه إحتجاجا على تصرفاته، مثل إجتماعه فى لندن عام ١٩٩٠ مع السفير السوفييتى، حيث إشتكى

للسفير ضيق ذات اليد، وتدخل أمريكا وباكستان ضده. فأعطاه السفير أموالا كثيرة. وفى عام ١٩٩١ إجتمع الجيلانى سرا مع نجيب ا فى أحد الدول الأوربية. قال صافى أنه لم يستطع تحمل ذلك فاستقال من عمله وإنضم إلى حقانى.

كان لدى الجنرال تصورا فريدا للتعامل مع الوضع الجديد فى كابول، فقال:

* إن أفضل طريقة هى الدخول سلميا إلى كابول وتشكيل ضغط معنوى من داخلها، وتحويل الشيوعيين إلى أقلية، ثم العمل على إغتيالهم من خلال أجهزة وزارة الداخلية (التى يتولاها رجال سياف)، ومن خلال عمليات أخرى من خارجها. أما إقتحام العاصمة عسكريا فسوف يكون فشلا داخليا وعالميا، والأفضل هو حصارها من الخارج.

{ ماحدث هو أن العاصمة إفترست أخلاقيا الكثير ممن دخلها من "المجاهدين" . كما إغتال مسعود، المسيطر على القوى الأمنية والعسكرية، العديد ممن يركضون خاف وهم "الإصلاح من الداخل" ومن بينهم زملاء فى نفس التنظيم. واستوعب النظام الجديد على فساده وهشاشته، عمالقة الجهاد من علماء وقادة ميدانيين، وإنزوى الصالحون منهم داخل بيوتهم فى منافى باكستان.والموقف الشجاع الذى تردد هؤلاء العمالقة فى إتخاذه لمواجهة الفساد فى بدايته، حتى نمى واستفحل، وأحال البلاد إلى ساحة رعب وخراب ، تصدى له الشباب من طلاب العلوم الإسلامية "طالبان". الذين إقتلعوا بالقوة المسلحة وبمعاونة شعبية واسعة، نظام الفساد الذى فرضته على الشعب الأفغانى أمريكا ومنظومتها من القوى الإقليمية، من عملاء دائمين أو عاملين بالقطعة. لقد عاملت حركة طالبان بجفاء وشدة أحيانا ، وبتوجس دائم تلك الطبقة من القادة الميدانيين القدماء بل والمجاهدين القدماء أحيانا، فيما عدا هؤلاء الذين ساندوا الحركة فى بدايتها. كان لتصرف طالبان هذا ما يبرره، ولكنه تجاوز الإنصاف فى حالات كثيرة وحرم الحركة من قوة مقاتلة مؤثرة وخبيرة كانوا فى أشد الحاجة إليها. ودفعوا لأجل ذلك الخطأ أثمانا فادحة، سهلت على إعدائهم الخلاص منهم } .

* بعد صلاة الظهر كلمت حقانى وهو مازال على سجادة الصلاة، أن يحترس عند ذهابه إلى كابول، لأن المجموعة الحاكمة هناك قد تعمد إلى إغتيال القادة الميدانيين المعارضين لها.

{ تعرض حقانى بالفعل لمحولة إغتيال فى كابول، أثناء مساعيه للصلح ووقف القتال بين سياف وحزب وحدت الشيعى . قتل أحد مساعدى حقانى فى المحاولة التى نفذها حزب وحدت الذى سمح لموكب حقانى بالعبور إلى مناطق سياف ثم أطلق النار على الموكب منذ عودته. أخبرنى بعض رجال حقانى أن مجددى كان طرفا فى المؤامرة } .

العصبية بدل الأيدولوجية

* عند الباب قابلت الصديق القديم "رفيق أفغان"، وهو صحفى باكستانى على ثقة وثيقة بالجهاد والمجاهدين منذ وقت مبكر. وهومتحمس نشط لحكمتيار وحزبه، شأن الإسلامين الباكستانيين المنتمين إلى الجماعة الإسلامية الباكستانية، أو القريبين منها.

قام "رفيق" بتجربة مثيرة حقا، كنت مشدوها وأنا أستمع إليها.

قال رفيق أنه كان مع حكمتيار فى مقرة فى لوجار، عندما جاءت طائرة هيلوكبتر من كابول يستقلها الجنرال محمد رفيع وزير الداخلية، الذى إجتمع مع حكمتيار لترتيب برنامج مشترك فى كابول خاصا بقومية البشتون، لمواجهة برنامج آخر للطاجيك "الفرسوان"، يقوده مسعود مع جنرالات فى الجيش والإستخبارات.

عند تهيؤ للجنرال للإنصراف، خطر لرفيق أن يرافقة إلى كابول. عرض الفكرة على حكمتيار فوافق عليها ،وكذلك وافق الجنرال رفيع.

قضى رفيق يومين يتجول فى كابول ويسأل الناس فى الشوارع عن رأيهم فيما يجرى فى بلادهم، ومن يفضلون أن يكون رئيسا عليهم. فوجد أن المشاعر العرقية فى أوجها، وأن البشتونى سواء كان شيوعيا أو إسلاميا، فإنه يختار حكمتيار. أما الطاجيكى مهما كان توجهة فإنه يختار مسعود.

عند عودته من كابول أوصله رجال الداخلية إلى آخر خطوط الدفاع عن المدينة. وعلى الجانب الآخر كان فى إنتظاره رجال حكمتيار، بعد تنسيق بالاسلكى بين وزارة الداخلية الشيوعية فى كابول ومقر قيادة الزعيم الإسلامى الأصولى فى لوجر!!.

لقد حل التعصب العرقى محل التعصب الأيدولوجى. إنها السياسة حيث يستبدل الناس عقائدهم بأسرع مما يستبدلون ثيابهم.

* لكن صورة العصبية القومية الكريهة إستكملها الجنرال صافى، الذى ظهر أنه بشتونى متعصب أكثر من كل من رأيت. الجنرال وبلهجة الخبير ببواطن الأمور حدثنى قائلا:

{ إن أمريكا وإيران لايريدان حكمتيار. إيران تلعب لعبتها مع الطاجيك، وباكستان إرتكبت جناية برفع الطاجيك فوق البشتون. وفى لقاءات لى مع حميد جول وجنجوعة (من قيادات المخابرات الباكستانية) حذرتهما من مغبة تلك السياسة، وقلت لهما أننا نحن البشتون مرتبطون عاطفيا وثقافيا مع باكستان وليس الهند أو إيران }.

....

* الطبيب الباكستانى الشاب "إحسان ا " ، كان مندهشا من كل ما يجرى. من رحلة صديقه القديم رفيق أفغان إلى كابول برفقة الجنرال رفيع، ومن كلام الجنرال صافى، ومن موافقة حكمتيار غير المشروطة على حكومة مجددى بعد أن خاض معارك قتل فيها المئات بحجة عدم قبولها.

* من أخبار بيشاور أن الوفد الإسلامى هناك والذى يضم محمد قطب والشيخ الصواف وآخرون إتصلوا بحكمتيار يطالبونه بوقف إطلاق النار.

عرب حكمتيار أشاعوا أن الشيخ الصواف إقتنع بموقف حكمتيار وأيد إستمرارة فى القتال. لم يكن ذلك معقولا حيث أن أمثال تلك الوفود، ذات الوزن الدينى والأدبى، التى تستجلبها الحكومة السعودية عند كل أزمة ، تعمل كفريق تدخل سريع لترويج

مشروع سعودى محدد لايمكن لأحد فى الوفد تجاوزه ، إلا إذا جازف بقبول عواقب وخيمة فى علاقاته مع "المملكة".

النص التالى هوجزء مما كتبته فى مذكرتى فى ذاك اليوم:

{{ **عدنا إلى مقرنا فى جرديز وبدأت فى إعادة تقييم ما يحدث منذ سقوط مزار شريف وحتى مأساة كابول ومهزلة مجددى، والخيط الذى يبط ذلك كله. هل هى تطورات عفوية أم مسلسل ضمن خطة محكمة؟؟..... خلاصة القول: إن مرحلة الأحلام الوردية التى أعقبت فتح جرديز وحصار كابول ثم سقوطها قد تبخرت. وإذا سارت الأمور على هذا النحو ـ وهى غالبا ستفعل ـ فلن تكون أفغانستان قاعدة بالشكل المطلوب ،ولا حتى مستقرا مثاليا. والنكسة المعنوية فيما يتعلق بالجهاد والدولة الإسلامية هى إحتمال وارد ومن الصعب تفاديه** }} .

* لأول مرة، بعض المحالات بدأت العمل فى جرديز. ولأول مرة، يفتح محل جزارة أبوابه، فأبتهج الشباب بالخبر السعيد.

* رئيس وزراء نوازشريف، مع وزير الإستخبارات السعودى، تركى الفيصل، وصلا إلى كابول. وأنباء عن توقف القتال هناك. يشاع فى جرديز أن الطاجيك فى كابول نهبوا أموال البشتون هناك.

******

تدمير الخبرة القتالية للأفغان والعرب

الخميس ٣٠ إبريل ١٩٩٢

فى لوجر عقدنا جلسة مطولة مع حقانى لمعرفة آخر التطورات فى كابول.

قال حقانى:

إن مجددى تراجع عن التصريح الذى أدلى به حول العفو عن الشيوعيين ودعوتهم لممارسة وظائفهم المدنية والعسكرية. وقال لمن سألوه أن ما قصده هو أن يمارس هؤلاء أعمالهم الإعتيادية حتى يصل أعضاء الشورى من بيشاور لإستلام المؤسسات والوظائف حتى لايهجم الناس عليها ويسرقونها كغنيمة.

ثم وصف حقانى مجددى بأنه شجاع لأنه تقدم إلى كابول منفردا لإستلام السلطة بدون قوة مسلحة تسانده. وقال حقانى أن الجيش والميليشيات فى كابول مازالت بكامل قوتها، بسبب عدم تقدم أحد لإستلام المواقع والأسلحة.

وأن القادة الميدانيين إتفقوا مع مسعود على أن يدخل المجاهدين إلى المدينة بدون قتال ، ولكن حكمتيار أصر على القتال حتى يدخل فاتحا ويستأثر بالسلطة، فردت عليه الميليشيات والجيش دفاعا من النفس. وكانت النتيجة أن توقفت جماعات المجاهدين عن دخول كابول خوفا من القتال الدائر.

وقال حقانى أنه يتصل بجميع قادة الأحزاب فى بيشاور من أجل أن يدخلوا جميعا إلى كابول، وبصحبة كل زعيم ألف أو ألفى مجاهد لحفظ الأمنيات فى العاصمة، وإستلام ثكنات الجيش وإخراج الضباط والميليشيات من المدينة، وأن يعمل هؤلاء المجاهدون تحت إمرة مسعود كقوة مسلحة لحماية الأمن، ثم يتحولون بالتدريج إلى جيش نظامى. ويمكن لمسعود كوزير دفاع أن يستعين فى تنظيم الجيش بجنرالات مجاهدين مثل صافى"!!".

وأضاف حقانى أن قوات القادة الميدانيين لاتجد طعاما أو رواتب، وهى مدربة ومسلحة، وتحويلها إلى جيش نظامى لهو أسرع طريقة للحصول على جيش، وإلا كان علينا الإنتظار لأكثر من عشرة سنوات حتى يكون لنا جيش.

عن تشكيل حكومة مجددى قال حقانى أنه كان من عمل سياف منفردا وليس بإملاء خارجى. وأن باكستان كان لها مشروع آخر يركز على مولوى محمد نبى محمدى "حركة إنقلاب إسلامى". لكن سياف بسرعة إستدعى الزعماء أو من ينوب عنهم، وطرح مشروعه القاضى بتعيين مجددى رئيسا لمدة شهرين، مع مجلس شورى من المنظمات وقياداتهم. أما الوزراء فيكونون من أعضاء المنظمات وليس من قادة المنظمات السبع. وتم توزيع المناصب على المنظمات كالتالى:

رئاسة الوزراء لحزب إسلامى حكمتيار، والتعليم لحزب إسلامى يونس خالص ، والخارجية لحزب "محاز مللى" للسيد أحمد جيلانى ، والدفاع لحزب الجمعية الإسلامية "برهان الدين ربانى"، والداخلية لحزب الإتحاد الإسلامى "سياف" .

وبعد مجددى يتولى ربانى الرئاسة، المؤقتة أيضا، لمدة أربعة أشهر، إلى حين تشكيل مجلس شورى موسع يشمل قادة ميدانيين وعلماء ورؤساء قبائل موالون للجهاد . هذا المجلس يختار أميرا مدة ولايته عام ونصف، وخلال هذه الفترة يقوم الأمير بإعادة إرتباط الأقاليم بالعاصمة، وإعادة المهاجرين ثم تشكيل مجلس شورى يمثل كل البلاد وعدد أعضائه من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ عضو. وهذا المجلس يختار أميرا دائما للبلاد.

وسبب الإنتظار كل هذه المدة الطويلة هو تجميع الشعب وربط أجزاء البلد حتى يشارك الجميع فى عملية إختيار الأمير فلا تحدث إعتراضات ومشاكل.

تعليق:

كل ما هو براق أو متفائل أو منطقى فى هذا الحديث الطويل، لم يتم تنفيذه. وكأن المطلوب دوما هو تنفيذ الأسوأ وفعل الأقبح.

أهم ما قاله حقانى كان ما يتعلق بالجيش والإحتفاظ بالعناصر الخبيرة التى أفرزها الجهاد وتكوين الجيش الوطنى منها، وذلك بكل أسف لم يحدث وكان ذلك أسوأ هدر "**متعمد**" يستحيل تعويضه.

(**بشكل موازى جرى تدمير الخبرة القتالية العربية التى تكونت فى أفغانستان بواسطة عمليات مطاردات أمنية وإعتقالات متصلة، توجتها فى النهايه الحرب الأمريكية على أفغانستان تحت ذريعة الحرب على الإرهاب**) .

أما الأسلحة والمقار العسكرية وغيرها، فقد تمت تصفية البنية التحتية العسكرية الأفغانية بشكل منهجى وكانت من أضخم البنى العسكرية فى المنطقة ، حتى قيل أن مخزون الذخائر الذى تركه السوفييت وراءهم فى أفغانستان كان أضخم من مثيله فى الهند. هذا الدمار تكفلت به الحرب الأهلية المفروضة على الشعب الأفغانى لتدمير

بنيته العسكرية والصناعية التى بناها السوفييت فى مستعمرتهم السابقة. أدوات الدمار كانت الأحزاب الأفغانية العميلة. (نفس الأسلوب الذى إستخدمته أمريكا لتدير القوة الإيرانية التى خلفها نظام الشاة الموالى لها ووقعت تلك القوة فى قبضة ثورية إسلامية معادية. وأداة التدمير كانت النظام العراقى العميل . نفس الأسلوب إتبعوه فى تدمير قوة السودان بواسطة الحروب الأهلية فى الجنوب والشرق والغرب بواسطة ميليشيات تمولها أمريكا وتوابعها الكنسية والنفطية) .

صحيح أن كابول لم يتم نهبها بنفس الأسلوب البدائى الفج الذى تم فى خوست وجرديز وباقى المدن، لكنها إما دمرت بالقتال أو النهب المنظم الذى مارسه سادة كابول الجدد الذى لم يترك إمكانية بناء قوة الآن أو فى الستقبل.

على سبيل المثال ، معظم سلاح الطيران تقاسمه مسعود ودوستم ، ملكية خاصة.أحتفظوا ببعضه فى أفغانستان، وجزء آخر عند حلفائهم فى دول الجوار، أى طاجيكستان بالنسبة لمسعود ، وأوزبكستان بالنسبة لدوستم. والصواريخ الثقيلة كلها نقلت إلى مخازن مسعود فى جبال بنشير، وكذلك جزء كبير من الذخائر وقطع غيار الدبابات والآليات العسكرية الأخرى، إضافة لما نهبه من كابول. وإحتفظ دوستم بما كان يملكة من ترسانة عسكرية ضخمة بصفته أهم قائد ميليشيات فى البلاد تعمل بطريقة المقاولة لتنفيذ المهام الصعبة أو المستحيلة لصالح حكومة كابول .

{وربما أن الولايات المتحدة إقتبست ذلك النظام فى التعامل مع الشركات العسكرية للمرتزقة فى حروبها الأخيرة فى أفغانستان والعراق}.

* هذا بالنسبة للجيش الذى جرى تفكيكة ونهب معداته. وما حدث للبنوك كان لايقل بشاعة، إذ نقل مسعود إلى بنشير إحتياط الذهب من البنك المركزى، وجميع الوثائق الرسمية للدولة ، وجميع وثائق الإستخبارات نقلها مسعود إلى مكان ما، قد يكون بنشير أو دولة خارجية صديقة له.

متحف الدولة لم يكن إستثناء، فقد تم نهبه من الكبار والصغار ، حتى أن قطع أثرية نادرة بيعت بأبخس الأسعار على أرصفة كابول.

* ما قاله حقانى عن أن تشكيل الحكومة كان من صناعة سياف وليست إملاء خارجيا، كان صحيحا ولكنه نصف الحقيقة فقط .

فالرجل تلقى ملايين الدولارات كأتعاب لتشكيل حكومة من الاحزاب السبعة يكون متفق عليها بينهم. وليس هناك أفضل من سياف رجل السعودية الأول ورجل الإخوان الأول، كى يصنع أفضل توليفة ترضى السعودية من ركام الفساد فى أحزاب بشاور وترضى هؤلاء السبعة الفاسدون المتنافسون .

أما توزيع الحقائب الوزارية على هذا أو ذاك فذلك تفصيل لا يهم السعودية أو أمريكا ـ المهم أن تتولى الأحزاب السبعة أمور الحكم فى كابول قبل أن يقفز العلماء والقادة الميدانيون على العاصمة ويفرضوا واقعهم الخاص الذى سيكون للمخلصين دور كبير فيه، كما أنه سيتم فى كابول ، أى بعيدا عن الأيدى الخارجية باكستانية كانت أم سعودية . وعندها قد يقع المحظور وتأتى حكومة إسلامية بعد جهاد ثلاث عشر عاماً. فتكون مشكلة عويصة ستربك ولا شك خطط أمريكا فى آسيا كلها ، وفى وسط آسيا بشكل خاص. (أى حل وطنى حقيقى سوف يشكل تهديدا للأطماع الأمريكية ويستلزم علاجه مجهودا كبيرا وقد كانت حركة طالبان حلا أفغانيا خالصا إستدعى علاجه تدخل القوات الأمريكية وهو علاج باهظ التكاليف شديد الخطورة على أصحابه) .

 من أخبار هذا اليوم: إستعادنا مسدس زميلنا صالح بعد ضغوط ومفاوضات. السارق أصر على أخذ شيئ ، فأخذ طلقات المسدس ، ربما للذكرى .

 حقانى سوف يتوجه عصرا إلى حدود كابول لإختيار مواضع لقواته . وقال لى أن نأتى بقواتنا معه . فإعتذرت له أن جماعتنا سوف يعودون إلى خوست لأنهم ليسوا

تابعين لى، بل تابعون للقاعدة. " تقريبا نفس ما حدث بينى وبينه بعد إنتهاء عملية المطار القديم حين طلب منى التحرك إلى شرق خوست معهم للعمل ضد المطار الجديد " .

 خبر سعيد جدا تأخر كثيرا عن موعده حتى أصبح عديم القيمة . لقد تم الإنتهاء من فتح طريق جبل نارى وأصبح جاهزاً من طرفيه . عاد البلدوزر من زورمت وإنفجر به لغم فى الطريق . السائق البطل والى خان سيذهب معنا غدا إلى ميرانشاة لإصلاح القطع المعطوبة على نفقتنا .

 فى مركزنا فى جرديز سمعنا فى الإذاعات أن حقانى ذهب إلى كابول لمقابلة مسعود. ولا ندرى حقيقة الأمر، فحسب قوله أنه لن يذهب إلى كابول إلا مع قوة كبيرة وضمن برنامج موسع يضم الجميع لإستلام كابول .

(كما علمت بعد ذلك فإن حقانى تمركز بجزء من قواته فى داخل كابول على طرفها الجنوبى فى منطقة تدعى"تشهل ستون " ومعظم مجهوده كان لإطفاء نار الإشتباكات الداخلية الدائرة بين جيع الأطراف ، ضمن تحالفات تتبدل كل فترة بحيث أن الجميع تحالف مع الجميع ضد الجميع.وشارك فيها الجميع مجاهدون وشيوعيون وسنة وشيعة وطاجيك وبشتون . لم يكن أحد مصراً على نقاء إنتمائه العقائدى أو السياسى أو العرقى . ولكن الجميع مصرون على إستمرار القتال الداخلى متحالفا لأجل ذلك مع أى طرف ضد أى طرف. وحلفاء اليوم هم أعداء الغد وهم أصدقاء بعد غد .. وهكذا.

* أتعس الأطراف وأجدرها بالرثاء كان الطرف العربى الذى إستمر يقاتل إلى جانب حكمتيار من أجل إقامة دولة إسلامية عاصمتها كابول. فقاتل بهم حكمتيار حتى الرمق الأخير، وإستشهد أفضل الكوادر العربية، بما فيهم العملاق " أبومعاذ الخوستى" ـ الفلسطينى الأردنى ـ الذى فوض أمره كاملا إلى حكمتيار قائلا ما معناه :

(أنا لست عالم دين ، ولا أحب السياسة ولا أفهمها، ولكنى أثق فيك وأسير خلفك وأضع المسئولية فى رقبتك يوم القيامة) .

فطمأنه حكمتيار ووعده خيرا !! .

وهناك عرب من شمال أفريقيا قاتلوا إلى جانب سياف قتالا "سلفياعقائديا" ضد الشيعة فى كابول. وأبدعوا فى قتل الأطفال والنساء بالأسلحة الثقيلة أثناء محاولتهم التزود بماء الشرب فى ظل حصار مضروب علي منطقتهم. وعربنا يشاهدون سقوط القتلى ويضحكون قائلين لمن إستنكر عملهم: أن ذلك إعداد للجهاد فى سبيل ا .

سياف لم يمنعهم أو ينكر عليهم ، بل زودهم بكل ما يلزم من أدوات القتل، من هاونات ثقيلة ودبابات !! . هؤلاء العقائديون لم يتوقفوا عن القتل إلا بعد أن وجدوا صباح ذات يوم أن سياف قد تحالف مع هؤلاء الشيعة الذين كان يأمرهم بقتلهم بالأمس، فتركوه وغادروا أفغانستان كلها .

أما جماعة أبومعاذ الخوستى فقد إستمروا فى القتال متغافلين عن أن الميلشيا الشيوعية القندهارية التى أسسها القائد جبار والتى قاتلت/ضدهم تحديدا/ فى جرديز، والآن تقاتل معهم جنبا إلى جنب وفى نفس الخنادق ، لصالح حكمتيار. كان ذلك غريبا حقا ، ولكن عربنا جادلوا المعترضين عليهم قائلين أن ميليشيا جبار تابت إلى ا وتبين لها الحق فانضمت إلى حكمتيار!!.

ولكن بعد إستشهاد أبو معاذ وإنضمام دوستم وميليشياته إلى حكمتيار بعد إنتقالهم من معسكر مسعود، تنبه هؤلاء العرب أنهم قد خدعوا فتركوا أفغانستان كلها وذهبوا.

الجمعة أول مايو١٩٩١

اليوم نغادر جرديز فى طريقنا إلى ميرانشاة . لقد إنتهى دورنا هنا وطويت صفحة الجهاد فى أفغانستان. كنت أشعر بحزن شديد وشريط الأحداث يمر برأسى من بدايته إلى نهايته. كنا نسير فوق طريق زدران ما بين خوست وجرديز. كل شبر فى هذا الطريق لنا فيه لنا ذكريات وأصدقاء شهداء ومعارك.. ماذا سيتبقى من كل ذلك؟؟ .. اين نحن الآن؟؟..إلى أين نسير؟؟... لماذا يبدو المستقبل ملبدا بالغيوم منذرا بالشر المستطير؟؟ .. وبأى شكل سوف نستأنف حياتنا ؟؟..

ماذا عن الأسرة والأولاد .. والوطن ؟؟ .. هل نعود إليه أم نبقى فى الجبال؟؟ .. لماذا نعاقب؟؟...وبأى جريمة؟؟... لماذا قادتنا دائما فاسدون، وطنيون كانوا أم إسلاميون، قاعدون كانوا أم مجاهدون؟؟... لماذا الفاسدون دائما طافون على السطح والصالحون مترسبون فى القاع ، أو فى السجون ، لا يصعدون عاليا إلا على أعواد المشانق ؟؟... أين الخلل ؟؟ .. لماذا تجاربنا كلها فاشلة ؟؟... لماذا لايفيدنا الفشل فى تجربة كى نصنع نجاحا فى تجربة تالية ؟؟ .. لماذا نكرر أنفسنا دوما ؟؟ .. ويستغفلنا عدونا بنفس الأساليب دائما ؟؟... هل نحن حمقى إلى هذا الحد ؟؟ .. أين العلماء، هل ماتوا أم إندثروا ؟؟... أم أن الموجودون هم أشباح العلماء وليس حقيقتهم ؟؟.. لماذا فقدوا الإحترام والتقدير والتأثير وأصبحوا مجرد أبواق لساسة فاسدون تافهون ؟؟... ما معنى تحرك إسلامى بلا علماء ؟؟ .. هل يمكن أن ينجح جهاد بدأ متفرقا وبلا قيادة واحدة ؟؟ .. هل ينجح جهاد بتمويل غير إسلامى ؟؟... هل القادة يختارهم الناس ، أم الإعلام الدولى ، أم التمويل الخارجى ؟؟.

كنت أحتضن الطريق بناظرى وكلى خشية أن لا أراه مرة أخرى .

* نزل أبو الحارث من سيارتنا وذهب إلى مركزه فى الخطوط الأولى تحت أقدام "ستى كندو". هو الآخر لايرغب فى ترك المكان، ولا يدرى ماذا سيحدث ولا كيف سيستأنف حياته. لقد عزله مجلس الشورى رسميا عن قيادة المجموعة قبل إستسلام جرديز وتولى أبو معاذ الخوستى القيادة. ولم يمارس أبو الحارث أى دور فى المجموعة بعد ذلك. كان ذلك الإجراء طيا لصفحة أفضل مجموعة عربية فى جهاد أفغانستان الذى طويت صفحته رسميا بدخول حكومة مجددى إلى كابول فى ٢٨/ ٤ /١٩٩٢، أى بعد ١٤ عاما بالتمام والكمال على الإنقلاب الشيوعى فى ٢٧/٤/ ١٩٧٨.

لقد تم إهدار أثمن ثروات العرب المكتسبة من أفغانستان، وهى كوادرهم العسكرية، سواء فى جماعة أبو الحارث أو القاعدة أو العرب غير المتحزبين. كنت أتمنى بشدة أن تبقى تلك القوة متجمعة فى أفغانستان وأن نبنى حولها تجمعا مدنيا. فنحمى بذلك

ثروتنا البشرية التى يتربص أعداء الإسلام كى يفتكوا بها. ثم نقوم بعد ذلك بدور يناسب إمكاناتنا وإمكانات الوسط الأفغانى الذى نحيا فيه. ولكن للأسف فقدنا مستودع الخبرات الذى بنيناه بالدماء الغالية التى بذلت بسخاء فى المعارك.

كان ذلك مشابها تماما لموقف حقانى فى مطالبته الإبقاء على الكوادر الجهادية الأفغانية وبناء جيش أفغانى حولها. ولكن كان هناك إصرار أفغانى وإقليمى ودولى على حرق تلك الثروة البشرية فى حرب أهلية، أو تهجيرهم بحثا عن الرزق فى دول الجوار والخليج. لقد خسر المسلمون أهم ثرواتهم وخبراتهم فى أفغانستان، وكان ذلك أفدح الخسائر.

قبل أن يغادرنى متوجها إلى مركزه القديم، سألنى أبو الحارث إن كنت سأذهب لزيارة كابول، فأجبته أننى سأترك كابول لأهلها.

* تابعتنى هموم جماعة أبو الحارث حتى مضافة حقانى فى ميرنشاة . وجدت هناك ابو محمد الحلبى، أحد أعمدة الجماعة النشطين ومن مهندسى عملية التغييرات الأخيرة فى الجماعة. كان يعلم بتأثرى مما حدث عندهم وعزلهم أبو الحارث. جلس يحدثنى عن الأسباب التى أدت إلى ذلك فقال بأنهم أخذوا عليه عدم مشاركته فى الإقتحامات، وأنه إختار المهاجمين فى عمليات جرديز من بين الجدد، فحدثت فيهم خسائر عالية، وأخيرا أنه وضع فى مجلس الشورى أشخاصا جدد غير جيدين، كانوا هم أنفسهم الذين أجبروه على الإعتزال. وقال الحلبى أن المجموعة متحيرة فى مستقبلها وبرنامجها القادم.

كنت متحفظا على مايقول. وكلمته بأن تشتت هذه المجموعة خسارة كبيرة ، لأنها أفضل المجموعات التى عملت فى أفغانستان ، وأن دور أبو الحارث كان حيويا فى تكوين المجموعة ونجاحها . وأن قائد المجموعة الكبيرة يضع نفسه حيث يجب أن يكون لتحقيق أفضل سيطرة على قواته ونجاحها. قد يكون ذلك فى أى مكان. وغالبا

ما يتنقل أثناء المعركة فى أكثر من مكان، حسب تطور الموقف وليس لذلك قانون ثابت.

قلت له أن عليكم تحديد برنامج جديد وتطرحوه على الشباب، فمن يوافق عليه فهو من المجموعة فى طورها الجديد، ثم تختارون مجلسا للشورى يقوم بدوره بإختيار الأمير.

أعجبته الفكرة وقال أنه سيعمل بمقتضاها.

الساعة الثانية عشر ليلا ... إستسلمنا للنوم.

****

أوضاع مشوشة

السبت ٢ مايو١٩٩٢

وصلت إلى بيشاور ظهرا . قضيت يوما عائليا إحتفاليا بمناسبة عودتى من آخر مهمة لى من أفغانستان قبل "الفتح". أخذنا صورا عائلية جماعية.

* الشيخ نصر الله منصور عقد اليوم مؤتمرا صحفيا أعلن فيه عودته إلى حزب محمدى!!.

الأحد ٣ مايو١٩٩٢

فى الثامنة صباحا تناولت طعام الإفطار مع الأصدقاء القدماء أبو عبيدة وأبو حفص. كنا سنقابل ظهرا أبو عبد الله "أسامة بن لادن". قضينا الوقت فى مناقشة الموقف الراهن فى أفغانستان والمنطقة العربية.

كانوا يعتزمون السفر إلى السودان جميعا . كان لديهم رغبة صادقة فى أن أكون معهم ، ليس تنظيميا ولكن إنسانيا ، بعد طول الوقت الذى قضيناه معا فى أفغانستان ، وكان وقتا غنيا بالأحداث الهائلة . ولكنى قررت البقاء لأن هناك ما يجب إكماله ، وأن ما يحدث فى كابول ليس هو نهاية الطريق ، ولا ينبغى أن يكون كذلك .

وهذا ما كتبته فى مفكرتى عن ذلك اللقاء :

{{ شرحت لهم رؤيتى للمستقبل وتقييم للموقف الحالى، فقلت :

١ ـ لقد إنتصرنا عسكريا وكسبنا الحرب .

٢ ـ إن الخبث الذى تعلق بالجهاد طوال ١٤ عاما، سيحترق فى كابول وتظهر قيادة إسلامية صحيحة . (تحقق ذلك بظهور حركة طالبان فى عام١٩٩٤)

٣ ـ البلد التى فتحت بالجهاد سوف تستخدم فى مواصلة الفتح . والشمال "آسيا الوسطى" هو الأنسب للزحف ، للأسباب التالية:

أ ـ حطام الشيوعية قد كنست إلى الحدود كى تكون حاجزا أمامنا . وهى أنظمة ضعيفة ومرفوضة شعبيا .

ب ـ شعوب تلك المناطق ترى فى أفغانستان مثلا وقدوة . وترى للعرب قيمة خاصة فى الجهاد تذكر بسيرة الصحابة، وذلك سيدفع إلى الأمام بالعمل الإسلامى الجهادى.

ج ـ غزو تلك البلاد وإسقاط الشيوعية فيها قد يستغرق أقل من عشر سنوات ، على شرط أن نعمل على بصيرة وبأسلوب مبتكر مناسب للظروف.

ثم طالبت بتخصيص مجموعة لإستكمال تلك المهمة ومواصلة الزحف إلى بلاد ما وراء النهر.

وقلت أننى لاأطالب أحدا بإلغاء مشروعاته ، بل أطالب بإعطاء الأولوية للعمل فيما وراء النهر.

قال أبو حفص أن "أبوعبد ا " مطلوب من السعودية ومن اليمن . كما أن معظم القضايا فى العالم العربى يذكر فيها إسمه. وإحتمال حدث عمل ضده ، أمر وارد .

*** ***

جلسنا بعد الظهر مع أسامة بن لادن ، ودار حديث متشعب لكنه غنى بتفاصيل ما حدث أثناء تشكيل حكومة مجددى ، ودور الأموال السعودية ووزير الإستخبارات السعودية، والوفد الإخوانى المرافق له . ودور الوزير السعودى فيما يحدث الآن فى كابول .

العرب فى بيشاور ثائرون على سياف بسبب توليته مجددى أمر حكومة كابول .

أخبار متداولة فى بيشاور أن السلطات الباكستانية منعت العرب من دخول مدينة ميرانشاة الحدودية ، أو عبور منفذ تورخم الحدودى .

<u>الأحد١٠ مايو١٩٩٢</u>

ذهبت إلى المكتب السياسى لحقانى فى منطقة "حياة آباد" فى بيشاور . قابلت هناك نائبه مولوى عبيد ا ، ومساعده الشخصى شريعتيار الذى عاد حديثا من كابول ، فى إطار جهود الوساطة وإستطلاع النوايا التى يجريها حقانى هناك .

أخذ شريعتيار يقص علينا جانبا من أحاديثه مع أحمد شاة مسعود ، فقال :

١ ـ يقول مسعود أن الميليشيات غادرت كابول ولم يتبقى سوى ألفين وخمسمئة عنصر ، يعملون فى الخط الأول فى مواجهة حكمتيار .

٢ ـ يقول مسعود أن معه الرسائل التى بعث بها حكمتيار إلى عبد الرشيد دوستم والجنرال مؤمن قائد الجيش فى مزار شريف، وفيها يخاطبهم بالصيغة التالية :

الأخ المجاهد البطل المحترم " فلان " السلام عليكم ورحمة ا وبركاته ..... إلخ .

ويتساءل مسعود : لماذا يقول عنهم الآن أنهم شيوعيين ؟؟.

٣ ـ يقول مسعود أن ثمانمئة عنصر من ميليشيات جبار الشيوعية، يقاتلون فى صفوف حكمتيار. كما يقيم معه مجموعة جنرالات شيوعيين بشتون ، منهم أسلم وطنجار، وشاه نواز تناى ، فلماذا لايستبعدهم؟؟.

٤ ـ مع مسعود صور من رسائل وجهها له حكمتيار يقول فيها: (أنا وأنت إخوان فدعنا نقتسم الحكم ونطرد الباقين) .

{{ مثل هذا العرض قدمه حكمتيار لحقانى عام١٩٩٠ بأن يتوسط شاهنواز لدى حامية خوست كى تستسلم ثم يقتسمها حكمتيار مع حقانى دون الباقين . رفض حقانى العرض قائلا بأن معناه إشعال حرب بين المجاهدين فى خوست }}

***

فى نهاية الحديث أوصيت مولوى عبيد ا أن يبلغ حقانى على لسانى أن لا يتولى أى منصب فى كابول ضمن الحكومة الحالية وأن يبقى مع المجاهدين فى الجبال حول كابول إلى أن يتم تنظيفها.

قال عبيد ا أن مولوى يونس خالص قد نصح حقانى بغير ذلك ، إذ طلب منه أن يقبل أى منصب حكومى وأن يصلح من الداخل!!. فأوضحت له أن ذلك خطأ، وأن الفساد المتراكم هناك لايمكن إصلاحه من الداخل، بل بإستخدام القوة المسلحة من خارجها ، أو على الأقل التهديد بإستخدامها .

الثلاثاء ١١ مايو١٩٩٢

فى الصباح كنت أجلس وحيدا فى البيت عندما زارنى يوسف حمدان مدير أحد هيئات الإغاثة. سألنى إن كان أبو حفص قد تراجع عن فكرته الخاصة بإنشاء مكتب أبحاث. أجبته أنه مازال على الفكرة ولكن بوجهة نظر خاصة . فقال إن كثيرين يبحثون نفس الفكرة، فطلبت منه متابعة الأمر فى إجتماع قبل سفره إلى الخارج .

جاءنى أبو كنعان يدعونى لحفل زواجه الليلة. كان لدى ما أهديه إليه ، إنها صورتنا الجماعية عند مضيق طيرة . فرح بها كثيرا ، فقلت له إنها تذكار النصر، وبإذن ا ، إذا بقى لنا حياة سنأخذ صورا مثلها فى بخارى وسمرقند.

أخبرنى أبو كنعان أن موفد الأمم المتحدة "بنون سيفان" قال فى حديث صحفى:

(أن عبور العرب للحدود مع أفغانستان يجب منعه فهذه حدود دولية يجب إحترامها، وأننا سنواصل دعم مجددى ولو إستدعى الأمر إستخدام القوة المسلحة) .

**** ****

كانت تلك آخر ورقة فى مذكرتى لعام١٩٩٢. وباقى أوراقى مفقودة ــ أرجو أن يكون فقدانا مؤقتا ــ لذا ساكتب الجزء التالى من الذاكرة . فستكون بشكل إجمالى وليست تفصيلية .

السفارة المصرية: إبعدوهم فورا

فى صيف ذلك العام قابلت زميلى فى مجلة منبع الجهاد ، العقيد متقاعد محمد مكاوى الذى أخبرنى بأن المخابرات الباكستانية تبحث عنى فى إسلام آباد . فتعجبت أن تكون المخابرات الباكستانية لاتعلم بوجودى فى بيشاور مع إقامتى فيها منذ أشهر طويلة، أعمل وأتحرك بشكل علنى، فلست مختفيا عن أحد.

فقال بأنهم عثروا عليه بعد بحث فى إسلام آباد، وكان قد تزوج حديثا من باكستانية، وسألوه عنى . ثم عرضوا عليه رسالة من السفارة المصرية فى إسلام آباد موجهة إلى وزارة الداخلية تطلب فيها "الإبعاد الفورى" لشخصين مصريين، أولهما إسم مكاوى والثانى إسمى . سبب إبعاد مكاوى كما جاء فى المذكرة هو أنه هدد بنسف السفاره المصرية أمام مجموعة من المصريين " من أمثاله!! ". ثم قدمت المذكرة بعض المعلومات عنه وعن محل سكنه. ثم قدمت المذكرة معلومات عنى من نفس النوع ، ثم قالت بأننى غادرت إسلام آباد إلى مكان مجهول !! . وطالبت المذكرة بإبعادى فورا بدون أن تذكر أسبابا لذلك . (إعتقلتنى شرطة الجوازات فى إسلام آباد فى يناير ١٩٩٣ وسألنى ضابط التحرى عن سبب طلب السفارة إبعادى. فأجبته أننى لاأدرى السبب وعليه أن يسألهم من ذلك) .

تيقنت أن باكستان لم تعد تقبل بوجودنا وأن "المفرمة" على وشك أن تدور على أجساد المجاهدين العرب. ولكن أزعجنى موقف السفارة المصرية ، فقد كنت أظن أن لاشئ عندى يمكن أن يزعج تلك السفارة أو حكومتها فى القاهرة. وغاب عنى أن شعار حكومة بلادى وكل حكومات العرب هو "من ليس معى فهو ضدى " . فالمهمة الأولى للسفارات العربية هو مراقبة مواطنيها، خوفاعليهم من أى شعور بالأمان أو الحرية. ومعيار عملهم بسيط للغاية، فكل مواطن لايزود سفارة بلادة بكل ما يعرفه ومالا يعرفه من مواطنى بلاده فهو إذن خطر مؤكد . ويكفى تقرير واحد من مخبر نشيط فى السفارة أو مواطن غيور من خارجها، كى يرفع رتبته إلى خطر داهم يهدد الأمن والنظام فى الوطن. إنها أقسام شرطة ومخابرات قمع دولة وليست سفارات.

وكفاءة السفارة تقاس بإنجازاتها الأمنية وعدد التقارير الأمنية المهولة، وعدد مواطنيها الخطرين الذين إكتشفت نشاطاتهم التخريبية الهدامة. وهكذا يتمكن دبلوماسيينا الأمنيين من الحصول على ترقياتهم والسمعة الطيبة لدى النظام.

كانت باكستان مترددة جدا فى إجراء تصفية شاملة للعرب. فلم يكن هناك مبرر مقنع لذلك. ومن المتوقع أن تكون هناك مساندة أو تعاطف داخلى مع العرب، خاصة فى أوساط المجاهدين.

وهناك إحتمال مخيف يتمثل فى دخول العرب إلى أفغانستان فيلجأون إلى مناطق القبائل المتعاطفة معهم، أو أن يقاوموا بالسلاح عملية إعتقالهم. وكان عدد العرب مازال كبيرا ولديهم خبرات قتالية عالية وشجاعة صارت مضرب الإمثال حتى فى بلاد الأفغان موطن الشجاعة .

لذا إتبعت باكستان برنامجا طويل النفس لتصفية التواجد العربى. فهناك المضايقات بشتى أنواعها من الفواتير الخيالية لأسعار الخدمات من ماء وكهرباء وتليفون ، إلى التضييق على منح التأشيرات أو تجديد الإقامات .

ورغم الضغوط الأمريكية والعربية، ماطلت باكستان فى إتخاذ تدابير عنيفة، ولكنها لوحت بها. فبدأ التواجد العسكرى يظهر فى الشوارع ومداخل الأحياء التى يعيش بها العرب، التى خصصوا لها جنود القوات الخاصة والمظلات.

****

فـئران وثعالب .. وكلاب صيد

لم يكن لدى أمريكا أى مبرر لزيادة ضغوطها بشكل مفرط . فأعادوا إستخدام أسلوب معروف لديهم قائم على خطوات متتابعة هى (الغواية ـ الإستدراج ـ الخطيئه ـ التشهير ـ العقاب ـ جنى الأرباح وفرض الإتاوات). "**راجع كتاب صليب فى سماء قندهار ـ والخطوات من فكرة محمد حسنين هيكل**"

بهذا الأسلوب تمت عملية تفجير سيارة مفخخة فى موقف للسيارات أسفل مركز التجارة العالمية فى نيويورك "**فى فبراير ٩٣**" ـ وحسب المعلومات الأمريكية ـ المشهود لها بالكذب والتهويل ـ فإن العملية كانت من تخطيط الباكستانى رمزى يوسف ومشاركة عناصر عربية. { **كان ذلك كان تجربة صغيرة على نفس المركز الذى**

نطحته الطائرات فى سبتمبر ٢٠٠١ فى عملية نفذها عرب وخطط لها بكستانى أيضا هو خالد الشيخ وهو إبن عم رمزى يوسف . فالعمليتان من حيث الأسلوب والهدف والنتيجة كانتا متطابقتان ـ إن أمريكا كررت نفسها إلى حد كبير . وكأنها فقدت القدرة على الإبداع }
كانت تلك العملية ذريعة كى تعيد أمريكا تمثيل دورها الذى أتقنته فى مسرحية "الرجل المجنون" الذى يمكنه تدمير العالم إذا تضررت مصالحة . فبدأت بنفسها أخذ زمام العمل المباشر ضد المجاهدين العرب فى باكستان وأفغانستان.

بعد شهر من عملية مركز التجارة ـ **الأولى** ـ أى فى مارس ١٩٩٣ ، بدأ زبانية الجحيم الأمريكيين يطاردون العرب فى باكستان مستخدمين أدواتهم الخاصة وأدوات الدولة الباكستانية، وخدمات عدد من أجهزة الأمن العربية العاملة منذ سنوات فى باكستان وأفغانستان من أجل مراقبة ومتابعة مواطنيها فى ساحات الجهاد إنتظارا للحظة موعودة وحتمية .. لحظة الإنقضاض عليهم أو بالأحرى على من تبقى منهم على قيد الحياة ، نتيجة تقصير السوفييت الملاعين فى القيام بواجب قتلهم.

القنصل الأمريكى فى بيشاور قام بمهامه الدبلوماسية على خير وجه، متعاونا مع نائب رئيس جهاز الشرطة. فعزلوا المدينة عن باقى باكستان وعن الحكومة المركزية فى إسلام آباد. وقام الأمن الأمريكى بتولى الإشراف على العمل المباشر، فى الإعتقال والتحقيق والتعذيب و توجيه المداهمات. وسارت عربات عناصر الأمن الأمريكى فى شوارع بيشاور تحرسها قوافل أمنية باكستانية. رجال الأمن الباكستانى مارسوا أيضا الدور الذى أتقنوه وسعدوا به ، دور كلاب الصيد لدى السيد الأمريكى الذى جاء لإستعراض مهاراته فى مطاردة وإصطياد الثعالب العربية فى بيشاور، مستمتعا برؤيتها تفر مذعورة من جحر إلى جحر.

لقد كان العرب أسودا فى أفغانستان ولكنهم غفلوا لفترة محدودة جدا من الزمن، أن أمريكا لن تسمح لأى مسلم أن يعيش حرا عزيزا فوق أى أرض إسلامية.

فالأرض الإسلامية لايعيش عليها عزيزا إلا من كان هودا أو نصارى أو .. كلاب صيد . وماسوى ذلك فهو إما أن يكون فأرا يعيش سعيدا فى الشقوق، أو أن يكون مجرد ثعلب يطارده لوردات الغرب وكلاب الصيد المحلية، التى تزداد سمنة وسعارا بتمزيق اللحم ولعق الدم .. لحم ودم الشعوب .

{{ إنتهت قصة : جرديز وسقوط النظام }}